

معجم رمضان

فؤاد مرسى

الإصدار الثانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

يشغل شهر رمضان مكانة شديدة الخصوصية في الوجدان الإنسانى، تدفع باستمرار نحو سَبْر أغواره، وإدراك معانيه، واستكناه الطيوف والسحابات التى تزامن أجواءه.

لقد حظى هذا الشهر الكريم على مدار التاريخ باهتمام بالغ من الناس، فأعدوا وتجهزوا له، واستقبلوه بحفاوة وسرور، وأقاموا لياليه وأحيوها بإخلاص و فرح ،وفاضت دموعهم وهم يودعونه ولسان حالهم يردد:«لاأوحشنا الله منك يارمضان»

ويسعى هذا العمل إلى الإلمام بعناصر شهر رمضان وتفاصيله؛ بما يشكّل قاعدة بيانات (معلومات) تكاد تكون شبه متكاملة عن هذا الشهر الكريم.

أمر آخر يقف وراء إنجاز هذا العمل،وهو تقلّص واندثار العديد من المظاهر والممارسات الاحتفالية بهذا الشهر.

من هنا جاءت فكرة هذا العمل "معجم رمضان" لتسلط الضوء على هذه القضايا.

تصميم الغلاف: الحبيبة حسين



الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774485565



٢٥ جنيه

معجم رمضان

«الإصدار الثانى»

فؤاد مرسي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٣

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : معجم رمضان
«الإصدار الثانى»
تأليف : فؤاد مرسى

الإخراج الفنى : أميرة محسن
تصميم الغلاف : الحبيبة حسين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

مرسي، فؤاد.

معجم رمضان/ فؤاد مرسي. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.

مج ٢: ٢٤ سم.

تدمك ٥ ٥٥٦ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ شهر رمضان ـ معاجم.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٠٣٤/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 556 - 5

ديوى٢٥٢,٣٠٢

سيد الشهور وهذا المعجم

يشغل شهر رمضان مكانة شديدة الخصوصية في الوجدان الإنساني، تدفع باستمرار نحو سبر أغواره، وإدراك معانيه، واستكناه الطيوف والسحابات التي تزامن أجواءه. لقد حظي هذا الشهر الكريم على مدار التاريخ باهتمام بالغ من الناس، فأعدوا وتجهزوا له، واستقبلوه بحفاوة وسرور، وأقاموا لياليه وأحيوها بإخلاص وفرح، وفاضت دموعهم وهم يودعونه ولسان حالهم يردد: لا أوحشنا الله منك يا رمضان. وإلى جانب تجلي هذه المعاني في إتيان العبادات والفروض؛ فإنها أنتجت -كذلك- عددًا من الإبداعات الأدبية والممارسات المادية والمظاهر الاحتفالية، التي صارت رفيقة الروح في هذا الشهر وعلامته الدالة عليه، من تعليق للزينات والفوانيس في الشوارع، وتكثيف إضاءتها، والاحتفال برؤية الهلال، وترديد الأغاني، وإقامة الولائم وموائد الإفطار الجماعية، وإعداد الأطعمة المخصوصة بهذا الشهر، وإحياء سهراته بذكر الله ومدح نبيه المصطفى.

ويسعى هذا العمل إلى الإلمام بعناصر شهر رمضان وتفاصيله، بما يشكل قاعدة معلومات - أطمح إلى أن تكون شبه متكاملة عنه - تساعد على الإجابة عن الأسئلة المتعلقة به.. حفزني إلى هذا الأمر ما يعانيه الباحث في أمور هذا الشهر ومناحيه المختلفة من صعوبات، من أجل العثور على بغيته؛ إذ لا يوجد - حسب علمي حتى الآن - معجم كامل عن هذا الشهر، وإنما تتناثر مواده بين المراجع، حتى العنصر الواحد، يضطر الباحث في كثير من الأحوال إلى اللجوء إلى عشرات المراجع من أجل استجماع نثاراته، أما الكتب التي اتخذت من شهر رمضان عنوانًا رئيسيًا لها، فقد وقفت على بعض الجوانب من دون الأخرى، وذلك حسب اهتمام كل كاتب، فوجوه شهر رمضان وأطيافه من التنوع لتستوعب عشرات المجهودات من دون تعارض.

حافز ثان يقف وراء هذا العمل؛ هو تقلص واندثار العديد من المظاهر والممارسات الاحتفالية بهذا الشهر، تلك الممارسات التي كانت تعمل على بث السرور في النفوس ودعم روح التعاون والألفة، خصوصًا الجانب الفلكلوري منها، الذي كاد أن يندثر تمامًا، بما يجعل تسجيلها واحدًا من أعمال الحفاظ على الذاكرة القومية وتثبيت بنيانها.. من هنا تنطلق فكرة هذا العمل الذي أطلقت عليه تواضعًا، «معجم رمضان».

ثمة إشكالية رئيسية تعترض مثل هذه الأعمال دائمًا، وهي منهج ترتيب وتصنيف المواد، تنطرح هذه الإشكالية مع كل عمل معجمي، إذ إن القاعدة الشائعة هي ترتيب المواد أبجديًا، غير أن بعض المعاجم النوعية تلجأ إلى الترتيب الموضوعي وبعضها يلجأ إلى الترتيب التاريخي، وقد اهتديت إلى الجمع بين أكثر من طريقة في هذا العمل، حيث قمت أولا بتصنيف الموضوعات الرئيسية المتعلقة بشهر رمضان، ثم إدراج الموضوعات الفرعية من تحتها، إما مرتبة أبجديًا، وإما حسب ترتيب حدوثها زمنيًا، أو حسب أولويتها الموضوعية، على نحو ما سيطالع القارئ الكريم.

ربما يرى القارئ الكريم أن بعض الموضوعات الفرعية من التداخل والاشتباك بحيث يمكن إدراجها في أكثر من موضوع رئيسي، غير أني وطبقًا للقواعد المعمول بها في هذا الشأن أدرجتها تحت أكثر الموضوعات الرئيسية قربًا لها وارتباطًا بها، أو ربما يرى -القارئ- أنه كان بالإمكان عمل تصنيفات موضوعية أخرى، وله الحق، فمثل هذه الأعمال يمكن تصنيفها على أكثر من نحو، القصد من كل هذا هو تسهيل البحث والحصول على المعلومة بأقصر الطرق وأيسر المداخل.

ثمة ملاحظة تتعلق بالمراجع التي تم الاعتماد عليها بصورة أساسية في بعض مواد هذا المعجم، فقد كنت أمام سبيلين، الأول هو إثباتها مجمعة في نهاية الكتاب، والثاني هو إدراجها أولا بأول في نهاية كل تصنيف، وهذا ما آثرته، نظرًا لتعدد وتشعب مواد المعجم، وتسهيل البحث لمن يريد الاستزادة في هذه المادة أو تلك، مع إيراد ثبت بالمصادر الأساسية في نهاية الكتاب.

ومنذ صدر الإصدار الأول من هذا المصنف وأنا في حالة انشغال دائم بأمره، فقد صدر الكتاب متضمنًا بعض الأخطاء الناتجة عن عمليات الصف والتنضيد واختلاف برامج التجهيزات الإلكترونية من نظام لآخر مما أثر كثيرًا بالسلب في مواد الكتاب

وطريقـة عرضها، لذلك كان لابد من إعادة مراجعتها وتنقيحها واستدراك ما سـقط، وأثنـاء هذا تبحرت فى إجـراء العديد من التعديلات على المـواد حذفًا وإضافة وتحقيقًا، كـما أضفت إليه موضوعات جديدة وتوسعت فى أخرى، مما يجعل هذا الإصدار مختلفًا بصورة كلية عن الإصدار الأول.

وفى هـذا الصدد تنطرح نقطـة جوهرية تتعلق بمقابلة التواريخ الهجرية بالميلادية، إذ ربما يكتشـف القارئ نسـبة خطأ في التحويـل، تقدر بيوم واحد فقـط، نتيجة لاختلاف مطالـع شـهر رمضان من دولـة إلى أخـرى فى بعض الأعـوام، إضافة إلى تعـدد الطرق الرياضيـة لتحويـل التاريـخ، مما قـد ينتج عنه بعـض الاختلاف فى تقريـب الأيام، وقد اعتمدنـا فى مقابلة التواريخ فى هذه الطبعة عـلى أحد البرامج الإلكترونية، الذى وجدنا بالتجربـة أنـه يتفق مع التجارب الرياضية التقليدية، وقمنا بمضاهاته على ما قام به – فى هـذا الصـدد– د. محمد حلمى محمد أحمد، أسـتاذ التاريخ الإسـلامى بكلية دار العلوم، جامعـة القاهـرة، عند تحقيقـه لكتاب «اتعـاظ الحنفا بأخبـار الأئمة الفاطميـين الخلفا» للمقريـزى، طبعة هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٩. وهو مـا جعلنى أراجع التواريخ جميعها وأقابلها وفقًا لما اهتديت إليه من إجراءات. أجدنى فى هذا مشفوعا بما قاله «عماد الدين الأصفهـاني» منذ قرون عديـدة : إني رأيت أنه لا كتب أحد كتابًا في يومه إلا قال في غده لو غـير هذا لكان حسن، و لو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو تـرك هـذا لكان أجمل، و هذا من أعظم العبر، و هو دليل على اسـتيلاء النقص على جملة البشر.

ونهاية لابد من تأكيد على أن كل عمل معجمي يعتريه النقصان، وليس هذا تبريرًا أو فرارًا من نقد، وإنما تأكيدًا على حقيقة أثبتتها التجارب السـابقة؛ فإن كنت قد أصبت فما التوفيق إلا من عند الله، له الحمد عليه من قبل ومن بعد، وإن كنت قد أخطأت فألتمس من العلي القدير المغفرة ومن القارئ الكريم المعذرة.

فؤاد مرسي

أحداث وأزمنة

- رمضان
- أجندة شهر رمضان
- أحداث ونوادر غريبة فى شهر رمضان

رمضـــــان

الرمض: هو حر الحجارة من شدة حر الشمس.

قال ابن دريد في اشتقاق شهر رمضان منه، إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة أسموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته فسمي به، ثم كثر استعمالها في الأهلة وإن لم توافق ذلك الزمان.

ويقال: إن أول من سماها بهذه الأسماء «كلاب بن مرة» من قريش.

وقيل كذلك إن العرب كانوا يرمضون أسلحتهم في رمضان أي يدقونها، ويشحذونها بين الحجارة استعدادًا للحرب في شوال قبل حلول الأشهر الحرم[1].

ويقال: هذا شهر رمضان، وهذا رمضان، بلا ذكر شهر[2].

وهو شهر قديم الحرمة في الجاهلية وكان من عادتهم أن يصوموا أياماً منه يبدءونها أحياناً من منتصف شعبان، تيمنًا بالصيف وتقرباً إلى أربابهم أن تجعله موسماً من مواسم الخصب والرغد، وكانوا يسمونه قديماً بالناتق أو الناطل، من الناقة الناتق أي كثيرة الولادة، أو من الناطل وهو كيل السوائل. ولا تزال كلمة النطل تفيد معني قريباً من هذا المعني، سواء باللغة العربية الفصحي أو بالعامية التي تجري على ألسنة السواد.

ومما زعمه بعضهم أنه اسم من أسماء الله، وعللوا بذلك أنه كلما ذكر قيل شهر رمضان، ولم يذكروه فرداً بغير إضافة كما يقولون مثلاً «شعبان وصفر والمحرم» وسائر الشهور الأخرى. ويروي صاحب لسان العرب عن «مجاهد» أنه كان يكره أن يجمع رمضان؛ إذ يجمع على وزن جمع المؤنث السالم وعلى أوزان جموع التكسير، فيقال رمضانات ورمضانين وأرمضة وأرمضاء، إلى آخره.

ويجوز أن اسم «رمضان» مشتق من الرمض وهو المطر يأتي قبل الخريف فيجد الأرض حارة محترقة. لكن الرأي الغالب أنه مشتق من الرمضاء وأنه كان يأتي مع الرمضاء في كل سنة، لأن عرب الجاهلية كانوا يحسبون تاريخهم بسنة قمرية شمسية، فيضيفون تسعة أشهر كل أربع وعشرين سنة، أو يضيفون سبعة أشهر كل تسع عشرة سنة، أو يضيفون شهراً كل ثلاث سنوات حسب مواقع الشهور، ويغلب أن يكون هذا الحساب متبعاً في مكة دون البادية ومن يسكنها من الأعراب الذين لا يحسنون الحساب، ولكنهم يتبعون فيه أهل مكة بجوار الكعبة؛ لأن شريعة الكعبة هى التي كانت تسن لهم تحريم القتال في شهور من السنة وإباحته في سائر الشهور.

وقد بحث العلامة محمود الفلكي ـ رحمه الله ـ هذه المسألة في رسالته التي سماها «نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام» فرجح أن أهل مكة كانوا «يستعملون التاريخ القمري في مدة الخمسين سنة التي قبل الهجرة».. وإنما كان أصحاب الحساب يتصرفون في التقديم والتأخير إن أرادوا الحرب في الأشهر الحرم أو أرادوا منعها في غير هذه الأشهر وفقا لأهوائهم ومنافعهم. ومن هنا كان تحريم الإسلام للنسيء؛ لأنهم يحلونه أو يحرمونه كما يشاءون، ولا يستقيم الأمر على هذا الحساب بعد فرض الصيام والحج في أيام معلومات[٣].

نخلص من هذا إلى أن هناك ثلاثة احتمالات في معاني اسم رمضان واشتقاقاته، أولها: أن رمضان هو اسم من أسماء الله سبحانه وتعالي. وثانيها: أنه اسم مشتق من الرمضي بمعني السحاب أو المطر في آخر الصيف وأول الخريف، وثالثها: إنه اسم مشتق من الرمض وهو شدة الحر من وقع أشعة الشمس الحارة على الأرض[٤].

وجدير بالذكر أن فرض صيام شهر رمضان لم يبدأ مع تكليف الرسول بالدعوة، بل كان عليه الصلاة والسلام يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، ثم فرض صيام رمضان كله بعد الهجرة إلى المدينة سنة اثنتين هجرية، في شهر شعبان، وذلك قبل غزوة بدر.

عن معاذ بن جبل، قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال، فذكر أحوال الصلاة. قال: وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلي الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (البقرة، الآية: ١٨٣)، إلى قوله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (البقرة، الآية: ١٨٤)، فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينًا فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» إلى قوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حولان، قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا. قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزل الله «أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم»، إلى قوله «ثم أتموا الصيام إلى الليل»، ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه، وفي الصحيحين عن عائشة، أنها قالت: «كان عاشوراء يصام فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر»[٥]. (انظر: الصيام).

أجندة شهر رمضان

في هذا الشهر المبارك ولدت العديد من الأحداث التاريخية الكبرى التي غيرت معالم الحيـاة، ونقلتها من طور إلى طور، وأسـهمت في تشـكيل خارطة الوجـود البشري على الأرض.

يشـير «ابن كثير» في كتابه «البداية والنهاية»، إلى أن التوراة أنزلت على سـيدنا موسي عليه السـلام في شـهر رمضان، وفيه أنزل الزبور على سـيدنا داود عليه السـلام، وذلك بعد التوراة بأربعمائة واثنتين وثمانين سـنة، كما أنزل فيه الإنجيل على سـيدنا عيسي عليه السـلام بعد الزبور بألف وخمسـين عامًا، كما يروي أن سيدنا عيسي عليه السلام رفع في رمضان[٦]، وفيه بدأ نزول القرآن الكريم، آخر الرسـالات السماوية التي أنزلت فيه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبشـكل خـاص شـهدت نهـارات شـهر رمضـان ولياليـه العديـد مـن الفتوحات الإسـلامية الكبرى، التي مهدت لاستقرار الإسلام ونصرته وإعلاء كلمته؛ ففيه جرت أحـداث غزوة بـدر الكـبرى.. أول وأعظـم انتصار للمسـلمين على الكفـار. وفيه قام الرسـول صلي الله عليه وسـلم بفتح مكة، ودخلها منتصرًا بتأييد ربه، بعد أن خرج منها وقـد نالـه من كره أهلها مـا لا يحتمله بشر. كما جـرت فيه واحدة من أهـم المعارك التي غيرت مجرى التاريخ العربي.. معركة عين جالوت، التي انتهت بانتصار المسـلمين على المغـول، بعـد غزوهم لمدينة بغداد وتهديدهم لبقية بلدان العالم الإسـلامي. وفيه تمَّ فتح المسلمين للأندلس على يد القائد طارق بن زياد، ودامت دولتهم فيها ثمانية قرون.. وفيه انتشر الإسلام في اليمن في السنة العاشرة من الهجرة الشريفة.

هذا بالإضافة إلى العديد من المعارك الحربية الحديثة والأحداث الكبرى التي أعادت ترتيب أوضاع العالم جغرافيا واقتصاديًا، إلى جانب شهوده ميلاد أو رحيل العديد من الفقهاء المهمين أو الزعماء الذين أسهموا في تحرير الإنسانية من ربقة الاحتلال واستعباد البلاد والعباد.

إن هذه الأحداث وتلك، جميعًا لها مكانتها البارزة في التاريخ البشري، مما يجعل المرء مجذوبًا إلى سبر أغوارها واستكناه معانيها.

وفي هذا الجزء نعمل على تقديم بانوراما تاريخية لهذه الأحداث، وفقًا لتسلسلها الزمني.

١ رمضان(٧)

- ٢هـ / ٢٦ فبراير ٦٢٤م: أول رمضان صامه المسلمون. قيل: إنَّ فرضَ صيام رمضان كان يوم الإثنين ١ شعبان ٢هـ.

٢٠هـ / ١٤ أغسطس ٦٤١م: دخول الفتح الإسلامى مصر، حدث في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد القائد عمرو بن العاص. وقيامه بحصار حصن بابليون، بعد أن اكتسح في طريقه جنودَ الروم.

- ٥٦٥ هـ/ ١٩ مايو ١١٧٠م: مولد الإمام «أبو الربيع» سليمان بن موسي بن سالم ابن حسان الكلاعي الحميري، محدث الأندلس وبليغها، صاحب كتاب «الاكتفاء في مغازي المصطفى صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء».

- ٥٩٧ هـ/ ٥ يونيو ١٢٠١م: وفاة الأديب والمؤرخ الفارسى أبى عبد الله محمد ابن محمد بن حامد صفى الدين الملقب بـ عماد الدين الكاتب الأصفهانى، والمعروف بالعماد الكاتب، صاحب كتاب «خريدة القصر وجريدة أهل العصر»، وقد ذكر العماد فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (٥٧٢ هـ)، وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب.. ولد بأصفهان وتوفى بدمشق، وعاصر الدولتين النورية والأيوبية. أرخ لصلاح الدين الأيوبى وفتح بيت المقدس فى كتاب «الفتح القسى فى الفتح القدسى» وهو تاريخ سبع سنين من حياة السلطان صلاح الدين ووصف لمعركة حطين و طرد الصليبيين من بيت المقدس. وكتب عن تاريخ السلاجقة فى كتابه «نصرة الفترة وعصرة الفُطرة فى أخبار الدولة السلجوقية».

- ٦٥٤ هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٢٥٦م: تعرض المسجد النبوي لحريق عقب صلاة التراويح. حدث ذلك بسبب سقوط فتيل قنديل مشتعل من يد الفراش أبي بكر المراغي

- أحد خدمة المسجد - مما أدى إلى نشوب حريق كبير في المسجد المعظم، فأتت النار على جميع سقوفه، ووقعت بعض السواري وذاب الرصاص، وذلك قبل أن ينام الناس.

ولم يستطع الناس فعل شيء أمام ألسنة اللهب الحارقة حتى احتراق سقف الحجرة النبوية الشريفة، التي فيها قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ووقع بعضه في الحجرة. (انظر: ابن العماد.. شذرات الذهب). ولم يسلم من تلك النار إلا قبة بناها الناصر لدين الله سنة ست وسبعين وخمسمائة ٥٧٦هـ وسط المسجد الشريف لحفظ ذخائر الحرم، مثل: المصحف العثماني وبعض المقتنيات، ضمن صناديق كبار صنعت بعد الثلاثمائة.

وإزاء ما حدث كتب أمير المدينة إلى الخليفة المستعصم يخبره الخبر، ويطلب منه المساعدة لإعادة بناء المسجد، وعلى الفور أرسل الخليفة مع الركب العراقي الذاهب إلى الحج فريقاً من الصناع ومعهم الآلات اللازمة، وابتدئ بإعادة العمارة إليه أول سنة خمس وخمسين وستمائة. (انظر: د. محمد السيد الوكيل.. المسجد النبوي عبر التاريخ، ط١، جدة، سنة ١٩٨٨م).

- ٧٣٢هـ/ ٢٧ مايو ١٣٣٢م: مولد العلامة الموسوعي ورائد علم الاجتماع «عبد الرحمن بن خلدون»، بمدينة تونس.. توفي في ٢٥ رمضان ٨٠٨هـ الموافق ١٦ من مارس ١٤٠٦ م، بمدينة القاهرة.

- ٨٦٩هـ/ ٢٧ أبريل ١٤٦٥م: انطلاق أول مدفع يضرب في رمضان بمدينة القاهرة.

- ١٣١٩هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩٠١م: نجاح عالم الفيزياء الإيطالي «جوجليلمو ماركوني» في إطلاق أول بث إذاعي عبر المحيط الأطلنطي. من إنجازات «ماركوني» المهمة قيامه بإدخال عدة تحسينات على الإرسال التلغرافي اللاسلكي، وكانت سببًا في حصوله على جائزة نوبل بالاشتراك مع العالم البريطاني «فرديناند براون»، عام ١٩٠٩.

- ١٣٦٩هـ/ ١٧ يونيو ١٩٥٠م: توقيع «معاهدة الدفاع المشترك» بين الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية. احتوت المعاهدة على عدة بنود تتعلق بفض المنازعات

بين الدول الأعضاء بالطرق السلمية، وبنود أخرى تتعلق بمواجهة أي عدوان مسلح ضد الدول الأعضاء.

- ١٣٩٣ هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣م: الرئيس «السادات» يلقي خطابًا بمناسبة ذكرى وفاة الرئيس السابق «جمال عبد الناصر»، ويعلن قراره بسحب كل القضايا المتصلة بالشباب أمام المحاكم، وقرارًا ثانيًا بعودة جميع الصحفيين الموقوفين عن العمل إلى صحفهم.

- ١٤٢٥هـ/ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م: استشهاد ١١٠ فلسطينيين بينهم ٣٠ طفلا وإصابة ما يزيد على ٤٠٠ فلسطيني نصفهم من الأطفال خلال عملية اجتياح واسعة لشمال قطاع غزة استمرت ١٧ يومًا، وأطلقت عليها إسرائيل اسم «أيام الندم».

٢ رمضان

- ١١٤ هـ/ ٢٦ أكتوبر ٧٣٢م: احتدام معركة «بلاط الشهداء» في سهول فرنسا، على ضفاف نهر اللوار، في المنطقة الواقعة بين مدينتي «تور» و«بواتييه»، وكانت بين المسلمين، بقيادة «عبد الرحمن الغافقي» والفرنجة بقيادة «شارل مارتل»، ولم تنته المعركة بانتصار أحد الفريقين، فقد انسحب المسلمون ليلا تاركين ساحة القتال. وسميت ببلاط الشهداء لكثرة قتلى المسلمين فيها. وقد حدثت في عهد الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك.

- ١٣٢هـ/ ١٤ إبريل ٧٥٠م: استيلاء أبى العباس عبد الله، الشهير بأبى العباس السفاح، على دمشق، وبذلك سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية.

- ٢٥٥ هـ/ ١٤ أغسطس ٨٦٩: مقتل الخليفة العباسي المعتز بالله، وكان المعتز بالله قد أجبر سلفه الملقب بالمستعين بالله على خلع نفسه من الخلافة والتنحي عن السلطة، قبل ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يومًا، وكان الموالي قد ثاروا عليه وخلعوه بحضرة القضاة والفقهاء بعد أن قرعوه ووبخوه وتلاه في الخلافة محمد بن الواثق أبو عبد الله المسمى بالمهتدي، فتتبع أموال المعتز، وأخذ له مالاً وجوهراً وطيباً ومتاعاً كثيرًا. وأخذ من مال أخته ثلاثمائة ألف دينار ونادى المهتدي: من دل على مالٍ من ما لهم فله نصف العشر. فدل الناس على أموال كثيرة وعُذب المعتز بألوان العذاب فلم يكن عنده مال (أي لم يقر على شيء) فأدخل حماماً ومنعوه الماء، حتى اشتد في الحمام عطشه وقارب التلف، ثم أخرج فأعطى ماء فيه ثلج كثير، فحين جرع منه جرعاً مات. (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب).

- ٧٠٢ هـ/ ٢٠ إبريل ١٣٠٣م: نشوب معركة «مرج الصفر» بالقرب من دمشق بين المماليك بقيادة الناصر «محمد قلاوون» والمغول بقيادة «قتلغ شاه»، وقد انتهت المعركة بنصر المماليك الذين أبلوا بلاء حسنًا، ولما بلغت أنباء هذه الهزيمة سلطان المغول «محمود غازان» اغتم واشتد حزنه، حتى مات كمدًا.

- ١٣٠٥هـ/ ١٣ مايو ١٨٨٨م: دولة البرازيل تقرر إلغاء العمل بنظام الرق.

- ١٣٧٣هـ/ ٥ مايو ١٩٥٤م: إغلاق جريدة «المصري» لصاحبها أحمد أبو الفتح.

- ١٣٩٣ هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٩٧٣: صدور قرار من حكومة النمسا يقضي بإغلاق مركز تجميع اليهود المهاجرين إلى إسرائيل.

٣ رمضان

- ٣ هـ/ ١٧ فبراير ٦٢٥: الخروج لغزوة بدر الكبرى، وقيل إن الخروج لبدر كان في الثامن من رمضان.

- ١١هـ/ ٢٢ نوفمبر ٦٣٢م: وفاة السيدة «فاطمة» بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. رحلت بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، وكانت أصغر بناته على المشهور، وليس له نسل إلا من جهتها. فقد تزوجها ابن عمها على بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الهجرة، وذلك بعد بدر بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد ذلك بسبعة أشهر ونصف فأصدقها درعه الحطمية وقيمتها أربعمائة درهم. وكان عمرها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر فولدت له حسناً وحسيناً ومحْسناً وأم كلثوم التي تزوج بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك. وقيل: إنها لم تضحك في مدة بقائها بعد رحيل عليه السلام، وأنها كانت تذوب من حزنها عليه وشوقها إليه. وهى التي قالت لأنس قولتها الشهيرة: «يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراث على رسول الله صلى الله عليه وسلم». ويقال إنها أول من ستر سريرها عند حمل جنازتها.

- ٦٥ هـ/ ١٣ إبريل ٦٨٥ م: وفاة الخليفة الرابع من خلفاء بني أمية «مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية»، وهو أبو عبد الملك بن مروان. كان يلقب (بالمؤتمن بالله). مات متأثرًا بالطاعون وعمره ثلاث وستون سنة، ودفن بقبة دمشق، وكانت مدة خلافته سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ويقال إن زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية خنقته، ثم صاحت وقالت: مات فجأة.

- ١٨١هـ/ ٢٩ أكتوبر ٧٩٧ م: عزل عبيد الله بن المهدي بن أبي جعفر المنصور عن ولاية مصر. عزله هارون الرشيد وكان أخاه لأبيه.

- ٣٥٠هـ/ ١٦ أكتوبر ٩٦١م: وفاة «عبد الرحمن الداخل»، الملقب بالناصر لدين الله، ثامن الأمراء الأمويين في الأندلس.

- ١٣٠٥هـ/ ١٤ من مايو ١٨٨٨م: مولد الصحفية «ماري عبده»، إحدي رائدات الصحافة النسائية السورية، وصاحبة مجلة «العروس».. أول مجلة نسائية سورية، توفيت في ديسمبر ١٩٦٥م.

- ١٣٠٧هـ/ ٢٣ إبريل ١٨٩٠ م: استشهاد القائد المسلم الأمير «رابح بن الزبير» الذي أقام مملكة إسلامية في منطقة «تشاد»، وذلك بعد غزو الفرنسيين لمملكته واحتلال عاصمتها «ديكوا».

- ١٣٢٩هـ/ ٢٨ أغسطس ١٩١١م: مولد الكاتب والمؤرخ المصري «حسين مؤنس»، بمدينة السويس، صاحب «أطلس تاريخ الإسلام»، و«موسوعة تاريخ الأندلس».

- ١٣٤١هـ/ ١٩ إبريل ١٩٢٣م: صدور دستور ١٩٢٣ في مصر.

- ١٣٦٢هـ/ ٣ سبتمبر ١٩٤٣م: استسلام إيطاليا للحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

٤ رمضان

- ٩٢٧ هـ/ ٨ من يوليو ١٥٢١م: نجاح السلطان العثماني «القانوني» في فتح مدينة بلجراد، التي كانت تعد مفتاح أوروبا الوسطي، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصر العثمانيون هذه المدينة ثلاث مرات: سنة ١٤٤١م و١٤٥٦م و١٤٩٢م لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها إلا في عهد «القانوني».

- ١٣٦٣ هـ/ ٢٣ أغسطس ١٩٤٤م: وفاة الخليفة العثماني «عبد الحميد الثاني» آخر خلفاء الدولة العثمانية، في منفاه بباريس، عن عمر يناهز ٧٦ عامًا، بعد أن قضي عشرين عامًا في المنفي، إثر إلغاء الخلافة العثمانية، وطرده من تركيا في مارس ١٩٢٣م، ودفن في المدينة المنورة.

- ١٣٦٧هـ/ ١١ يوليو ١٩٤٨م: قيام وحدة كوماندوز صهيونية بقيادة «موشيه ديان» بارتكاب مجزرة في مدينة «اللد» بفلسطين، حيث قامت باقتحام المدينة في المساء، وأمطرتها بوابل من القذائف المدفعية. وقد لجأ المواطنون إلى مسجد «دهمش» بالمدينة للاحتماء من الهجوم، الذي أسفر عن مقتل ٤٢٦ فلسطينيًا، ولم يكتف العدو بذلك، بل قاموا بعد توقف عمليات القتل باقتياد المدنيين إلى ملعب المدينة؛ حيث تم اعتقال الشباب، وأعطى الأهالي مهلة نصف ساعة فقط لمغادرة المدينة سيرًا على الأقدام دون ماء أو طعام؛ مما تسبب في وفاة الكثير من النساء والأطفال والشيوخ.

- ١٣٧٥ هـ/ ١٥ أبريل ١٩٥٦م: تشكيل أول وزارة تونسية بعد استقلال تونس عن فرنسا، برئاسة «الحبيب بو رقيبة».

- ١٣٩٣ هـ/ ١ أكتوبر ١٩٧٣: انعقاد أول اجتماع لمجلس التخطيط الأعلى بين مصر وليبيا.

٥ رمضان

- ١١٣ هـ/ ١٠ نوفمبر ٧٣١م: مولد القائد «عبد الرحمن الداخل» الملقب بـ «صقر قريش» ولد في دمشق، وقام بتأسيس الدولة الأموية في الأندلس.

- ٦٠٨ هـ/ ١٠ فبراير ١٢١٢م: وفاة الأديب والشاعر «ابن سناء الملك»، صاحب كتاب «دار الطراز في عمل الموشحات»، وهو أول كتاب يتصدى لمقومات فن الموشحات في تاريخ الأدب العربي، حيث قام ابن سناء بوضع أصول وقواعد نظم الموشح كما فعل الخليل بن أحمد الفراهيدى مع قواعد الشعر.

- ٦٦٦هـ/ ١٩ مايو ١٢٦٨م: نجاح المسلمين بقيادة «بيبرس» في استرداد مدينة أنطاكية من يد الصليبيين بعد أن ظلت أسيرة في أيديهم لمدة ١٧٠ عامًا، وكان لوقوعها صدى كبير، فقد كانت ثاني إمارة - بعد الرها - يؤسسها الصليبيون في الشرق. وكانت مدينة أنطاكية من مدن الشام التي شملها الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، فتحت عقب معركة اليرموك بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح - رضي الله عنه -، وظلت بأيدي المسلمين إلى أن بدأت الحملات الصليبية على بلاد الإسلام سنة ٤٩١هـ ١٠٩٧م. فكانت من أوائل المدن التي سقطت في قبضة الصليبيين؛ وذلك لأهميتها البالغة عندهم بحكم موقعها المتحكم في الطرق الواقعة في المناطق الشمالية للشام؛ ولأنها مقر مملكة هرقل أيام الفتح الإسلامي للشام. وفى بعض المراجع ورد أنها فتحت يوم ١٤ رمضان من العام ذاته.

- ١٣١٠ هـ/ ٢٣ مارس ١٨٩٣م: مولد الشاعر الشعبى المصري الكبير «محمود بيرم التونسي». رائد فن الزجل فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين. توفى فى ٥ يناير ١٩٦١.

- ١٣٢٢هـ/ ١٣ نوفمبر ١٩٠٤م: مولد الدكتور «حلمي بهجت بدوي»، أحد أعلام القانون في مصر. ولد بمدينة الإسكندرية، وتوفي سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م. واختير رئيسًا لجمعية القانون الدولي. وقد كرمته الدولة بإطلاق اسمه على أحد شوارع حى الإبراهيمية بمدينة الإسكندرية.

- ١٣٣٦ هـ/ ١٤ يونيو ١٩١٨م: الجيش العثماني يحتل مدينة «تبريز» الإيرانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

٦ رمضان

- ٦٣هـ/ ٩ مايو ٦٨٣ م: فتح بلاد السند على يد القائد الأموى «محمد بن القاسم» وكان ذلك في آخر عهد الوليد بن عبد الملك.

- ٢٢٣ هـ/ ١ أغسطس ٨٣٨ م: بدء حصار مدينة «عمورية» على يد الخليفة «المعتصم بالله»، ثامن الخلفاء العباسيين.. فتحها يوم ١٧ رمضان ٢٢٣هـ الموافق ١٢ أغسطس ٨٣٨م. وكانت عمورية من أقوى الحصون الحربية الرومية.

- ٦ رمضان ٦٣هـ/ ١٤ مايو ٦٨٢م انتصار محمد بن القاسم على جيوش الهند عند نهر السند وبذلك تم فتح بلاد السند، وكان ذلك في آخر عهد الوليد بن عبد الملك.

- ٥٣٢هـ/ ١٨ مايو ١١٣٨م: تحقيق أول انتصار للمسلمين على الصليبيين بقيادة «عماد الدين زنكي» شمال الشام بحلب.

٧ رمضان

- ٣٦١هـ/ ٢٢ يونيو ٩٧٢م: اكتمال بناء الجامع الأزهر وافتتاحه للصلاة. أنشأه القائد الفاطمي «جوهر الصقلي» في القاهرة، العاصمة الجديدة للدولة الفاطمية، وظل منذ ذلك الوقت حتى الآن واحدًا من أهم من مراكز الإشعاع الحضاري في العالم الإسلامي. ويقال إن قاضي القضاة «أبو الحسن على بن النعمان القيرواني» هو أول من جلس بالجامع الأزهر في جمع حافل من العلماء والكبراء يقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت، فكانت هذه أول حلقة للدرس بالأزهر، وذلك في صفر من سنة ٣٦٥ هـ / أكتوبر ٩٧٥ م في أواخر عهد الخليفة «المعز لدين الله» الفاطمي أول خلفاء الدولة الفاطمية بمصر.

ثم توالت حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك، وكانوا من أكابر علماء المغرب الذين اصطفتهم الدولة الفاطمية وخصتهم بعنايتها، ومن ثم لحقوا بها في مصر، وشغلوا مناصب القضاء قرابة نصف قرن.

- ٣٦٢هـ/ ١١ يونيو ٩٧٣م: مجيء الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله»، إلى القاهرة لأول مرة، قادمًا من المغرب. وبذلك أصبحت (القاهرة)، حاضرة الدولة الفاطمية حيث أعلن الخليفة المعز (القاهرة) عاصمة لدولته بعد أن كانت مدينة (المهدية) هي حاضرة الدولة الفاطمية.

ولد المعز في سنة ٣١٩هـ وتسلم الحكم سنة ٣٤١هـ وقضى ٢٤ عامًا في الحكم، وتوفي سنة ٣٦٥هـ وهو رابع الخلفاء الفاطميين.

- ٩٨٢ هـ/ ٢١ ديسمبر ١٥٧٤ م: وفاة السلطان العثماني سليم خان. اشتهر بالكرم والرأفة بالرعية والعفو عن الجرائم كما كان حلياً محباً للعلماء والصلحاء. من أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس وفتح تونس وحلق الواد وفتح ممالك اليمن واسترجاعها. ويقال إنه أول من خُطب له بالحرمين من آل عثمان. دفن بقرب آيا صوفيا باستانبول.

١٤٠٩ هـ/ ١٣ إبريل ١٩٨٩م: الجيش الإسرائيلي يعتدي على قرية نحالين الفلسطينية، حيث اقتحمت قوة من حرس الحدود والجيش الإسرائيلي القرية وداهمت سكانها أثناء تأديتهم لصلاة الفجر، وأطلقت عليهم النار، مما أدى إلى استشهاد أربعة وجرح أكثر من اثنين وخمسين بينهم نساء وأطفال وشيوخ بعضهم بجروح خطيرة.

٨ رمضان

- ٩ هـ/ الموافق ١٩ ديسمبر ٦٣٠م: الخروج لغزوة تبوك، وقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم منها مؤيدًا بالنصر في السادس والعشرين من الشهر نفسه، الموافق ٦ من يناير ٦٣١ م. وهى آخر غزوات النبى التى توطدت بها أركان الأمة الإسلامية. وتسمى هذه الغزوة أيضاً بـ «غزوة العسرة» لما اجتمع فيها من صعاب أمام جيش المسلمين وهو فى طريقه إلى تبوك لملاقاة جيش الروم، تمثلت فى ندرة المؤن وارتفاع حرارة الجوّ، وقلة الماء، وبعد المكان. ولم يجر فيها قتال أو مواجهة؛ إذ تشتت الجيش الرومانى وتفككت أوصاله من الرهبة لملاقاة المسلمين.

- ٢٧٣ هـ/ ٦ فبراير ٨٨٧ م: وفاة الإمام الحافظ الكبير أبى عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القَزْوِينيُّ، الشهير بابن ماجه، صاحب السنن والتفاسير أحد الصحاح الستة. ولد بقزوين سنة ٢٠٩ هـ.

- ٥٧٨ هـ/ ٥ يناير ١١٨٣م: وفاة المحدث والمؤرخ الأندلسي خلف بن عبد الملك الأندلسي، المعروف بـ «ابن بشكوال». صاحب كتاب الصلة الذي جمع فيه تراجم أعيان الأندلس مرتباً أسماءهم ترتيباً أبجدياً، كما ألف العديد من الكتب، منها: الحكايات المستغربة، وغوامض الأسماء المبهمة، ومعرفة العلماء الأفاضل، وكتاب المستعينين عند المهمات والحاجات وما يسر الله لهم من الإجابات. ولي قضاء بعض جهات أشبيلية، ثم ترك القضاء وتفرغ للعلم، عاش في قرطبة وتوفى فيها.

- ١٣١٥ هـ/ ٣١ يناير ١٨٩٨م: صدور مجلة «أنيس الجليس» النسائية في مدينة الإسكندرية، لصاحبتها «ألكسندرا ميلتادي». حققت المجلة انتشارًا واسعًا، واستمرت تصدر لمدة عشر سنوات، حيث توقفت نهائيًا عام ١٩٠٨م.

١٣٩٣ هـ/ ٤ أكتوبر ١٩٧٣: سريان حالة من التوتر في الجبهة السورية مع إسرائيل، ووصولها إلى درجة تهدد بالانفجار على طول خطوط المواجهة.

: زائير تعلن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وأنها لن تعيد تلك العلاقات إلا بعد جلاء إسرائيل عن الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧.

٩ رمضان

- ٢١٢هـ/ الموافق ١ ديسمبر ٨٢٧ م: فتح صقلية على يد زياد بن الأغلب.

- ٢٩٢ هـ/ تحرك الخليفة العباسي المكتفي بالله للقضاء على الحركة الباطنية المعروفة بالقرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، وكانت فتنتهم قد استشرت في بادية الشام. خرج المكتفي بالله متوجهاً نحوهم من عاصمته في العراق في قواده ومواليه وغلمانه وجيوشه، وأخذ على طريق الموصل إلى الرقة وأقام بها، وأناب عنه في قيادة الجيوش هذه القاسم بن عبيد الله، ثم وجه أحد قواده وهو محمد بن سليمان في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شاكٍ نحو القرمطي، فلم يزل يعمل التدبير ويذكي العيون ويتعرف الطرقات حتى التقى محمد بن سليمان مع القرامطة على اثني عشر ميلاً من حماه، وثبت المسلمون حتى منحهم الله أكتاف القرامطة فهزموهم شر هزيمة، وهرب القرمطي الملقب بصاحب الخال، لكنه ألقي القبض عليه أخيراً وجيء به إلى المكتفي بالله في مدينة السلام فتقله. (بغية الطلب في تاريخ حلب).

- ٢٩٧هـ/ ٢٢ مايو ٩١٠م: وفاة الفقيه و العلامة «محمد بن داود بن على الظاهري»، أحد أئمة الفقه في القرن الثالث الهجري، صاحب كتب: «الزهرة في الآداب» الذى جمع فيه نوادر وأشعاراً. إضافة إلى العديد من المؤلفات الأخرى مثل: «التقصي في الفقه» و«الوصول إلى معرفة الأصول»، و«اختلاف مسائل الصحابة»، وكتاب «المناسك»، وكتاب الفرائض.

- ١٣٢٦ هـ/ ٥ أكتوبر ١٩٠٨م: القيصر النمساوي «فرانتس جوزيف الأول» (١٨٣٠-١٩١٦م) يعلن ضم بلاد البوسنة والهرسك ذات الأغلبية المسلمة إلى بلاده، بعد ثلاثين عامًا من احتلال الدولة العثمانية لها، وذلك في إطار خطة تقسيم أملاك الدولة العثمانية.

١٣٢٦ هـ/ ٥ أكتوبر ١٩٠٨م: بلغاريا تعلن انفصالها عن الدولة العثمانية وقيام نظام الحكم الملكي فيها، وقد وافقت الدولة العثمانية على هذا الاستقلال في إبريل ١٩٠٩ مقابل حصولها على ٥ ملايين ليرة ذهبية.

- ١٣٩٣ هـ - ٥ أكتوبر ١٩٧٣م: دول الخليج تبلغ شركات البترول العربية أنها بصدد زيادة أسعارها بنسبة الثلثين.

١٠ رمضان

- ٨هـ/ ١ يناير ٦٣٠ م: قيام الرسول ﷺ وأصحابه بالتحرك لفتح مكة.. تم فتحها في ٢١ رمضان ٨ هـ الموافق ١١ يناير ٦٣٠م، وقد سُمي ذلك العام بعام الفتح.

- ١٣٢هـ/ ٢١ إبريل ٧٥٠ م: مقتل الخليفة الأموي الوليد بن معاوية.

- ٤٨٥هـ/ ١٤ أكتوبر ١٠٩٢م: اغتيال الوزير «أبي علي الحسن علي بن إسحاق»، المعروف بنظام الملك، أحد مشاهير وزراء الدولة السلجوقية في التاريخ الإسلامي، وصاحب فكرة المدارس الفقهية المعروفة بالمدارس النظامية فى بغداد، التي تخرج فيها خيرة العلماء والفقهاء. وهى تعتبر أول نوع من المدارس التعليمية النظامية ظهر في تاريخ الإسلام، وقد توفر لطلابها أسباب العيش والتعليم، وكان الطلاب يتناولون فيها الطعام، وتجري على كثير منهم رواتب شهرية.

- ٦٤٨ هـ/ ٦ ديسمبر ١٢٥٠م: انتصار شجرة الدر (زوجة الملك الصالح) في معركة المنصورة على لويس التاسع؛ حيث أسر هو وقتل عدد كبير من جنوده.

- ٩٦١ هـ/ ٩ أغسطس ١٥٥٤م: نشوب حرب بحرية طاحنة في مضيق «هرمز» بالخليج العربي بين الأسطولين العثماني والبرتغالي، استمرت ١٨ ساعة بدون توقف.

- ١٣٨٠ هـ/ ٢٦ فبراير ١٩٦١م: وفاة الملك المغربي «محمد الخامس» إثر عملية جراحية. وتولية ابنه الملك «الحسن الثاني» حكم المغرب في ١٦ رمضان ١٣٨٠هـ الموافق ٣ مارس ١٩٦١م.

- ١٣٩٣ هـ/ ٦ أكتوبر ١٩٧٣م: بدء معركة أكتوبر المجيدة وارتفاع أول علم مصري على أرض سيناء.

١١ رمضان

- ٩٥هـ الموافق ٣٠ مايو ٧١٤م: استشهاد سعيد بن جبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي.

كان سعيد بن جبير من كبار التابعين، الذين اقتفوا أثر المصطفى، وقد وثقه أهل العلم كافة، حتى قالوا في وصفه: ثقة إمام حجة على المسلمين. لازم سعيد بن جبير عبد الله بن عباس، فأخذ عنه القرآن وتفسيره، وتلقى عنه القراءات القرآنية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ بها، وتفقّه على يديه في الدين، وتعلم منه علم التأويل، حتى أصبح من المكانة ما جعل بعض معاصريه يقول فيه: مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد من أهل زمانه إلا وهو محتاج إلى علمه.

- ٣١٩ هـ/ ٢٧ سبتمبر ٩٣١م: مولد الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله». ولد المعز لدين الله بالمهدية من أفريقية، وعاش خمسًا وأربعين سنة ونصف السنة. كما يقول ابن الأثير. وهو الذي أرسل قائده جوهر الصقلي لفتح مصر.

- ٦٢٤هـ/ ٢٥ أغسطس ١٢٢٧م: وفاة الغازي «تيموجين بن يسوكاي بهادرالغازي»، المعروف بجنكيز خان، مؤسس إمبراطورية المغول. ولد جنكيز خان عام ٥٤٩هـ في منغوليا لأب كان رئيساً لقبيلة مغولية. وسمى ولده الذي ولد يوم انتصاره على إحدى القبائل التي كان يتنازع معها باسم رئيسها المهزوم (تيموجين).

- ٧٦٤هـ/ ٢٤ يونيو ١٣٦٣م: وفاة المؤرخ الكبير «محمد بن شاكر بن أحمد»، المعروف بابن شاكر الكتبي، أحد أعلام المؤرخين في القرن الثامن الهجري، وصاحب كتاب «عيون التواريخ»، و«فوات الوفيات».

٩٨٦ هـ/ ١١ نوفمبر ١٥٧٨م: انتصار العثمانيين على الصفويين في معركة «شماهي» في القفقاس، ضمن سلسلة من الحروب نشبت بين الجانبين من أجل السيطرة على زعامة العالم الإسلامي. وقد خسر الصفويون في تلك المعركة ١٥ ألف قتيل.

- ١٣٩٣ هـ/ ٧ أكتوبر ١٩٧٣م: وزير الخارجية المصري يصرح باستعداد مصر لقبول وقف إطلاق النار إذا وافقت إسرائيل على الانسحاب من الأراضي المحتلة.

: الرئيس القذافي يعلن أن ليبيا ستمول المعركة التي تخوضها مصر وسورية بالمال والبترول.

: وزارة الخارجية الإسبانية تعلن أن إسبانيا لن تسمح لأمريكا باستخدام قواعدها في حالة تدخل أمريكا في القتال في الشرق الأوسط.

١٢ رمضان

- ٣٢ هـ/ ١٦ إبريل ٦٥٣م: وفاة «العباس بن عبد المطلب»، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- ٢٦٥هـ/ ٨ مايو ٨٧٩ م، بناء جامع ابن طولون في القاهرة. وهو ثاني أقدم جامع في مصر بعد جامع عمرو، وأقدم جامع باق على حالته الأصلية. وبنى على نمط جامع سامراء ببغداد.

- ٥٩٧هـ/ ١٦ يونيو ١٢٠١م: وفاة الإمام «الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي»، المعروف بابن الجوزي، شيخ العراق، وإمام الحديث والفقه واللغة والتفسير. له مؤلفات كثيرة بلغت نحو ثلاثمائة مصنف، من أبرزها: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، و«صفو الصفوة» «و«أخبار الأذكياء».

- ٧٤٨ هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٣٤٧م: خلع المظفر «حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون» وفى بعض المراجع خلع يوم ١٨ رمضان من العام ذاته. بدأ عصره بخفض الأسعار أول ما ولى، ولكنه لم يلبث أن انغمس في الشهوات والملذات، وأقبل على اللهو والشغف بالنساء وصار - كما يقول ابن حجر في الدرر الكامنة - يحضر الأوباش بين يديه يلعبون بالصراع وغيره.

وفى النجوم الزاهرة كان يقف مع مطيري الحمام ويراهن على الطير الفلاني والطيرة الفلانية. وكان يتباهى بما لا يليق به أن يفعله. واستعدى كبار القواد عليه، فأخذوا في التدبير ضده.

وخلفه أخوه الناصر حسن الذى أنشأ مسجد ومدرسة السلطان حسن، ويمثل ذرى نضوج العمارة المملوكية. نصب السلطان حسن يوم ١٤ رمضان من العام ذاته. وصف ابن تغري فى (النجوم الزاهرة) السلطان حسن بقوله: كان سلطاناً شجاعاً مقداماً كريماً حازماً مدبراً ذا شهامة وصرامة وهيبة ووقار عالي الهمة كثير الصدقات والبر. ومما يدل على علو همته مدرستة التي أنشأها بالرميلة تجاه قلعة الجبل، وهى المدرسة التي لم يُبْنَ

في الإسلام نظيرها، ولا حكاها معمار في حسن عملها،وهي في الجملة أحسن ما بني في الدنيا شرقًا وغربًا في معناها بلا مدافعة.

-١٣٣٢ هـ/ ٤ أغسطس ١٩١٤م: نشوب الحرب العالمية الأولى.

- ١٣٩٣ هـ/ ٨ أكتوبر ١٩٧٣م: سيطرة القوات المصرية تماما على خط بارليف بطول القناة وتحرير مدينة القنطرة شرق.

- الحكومة العراقية تضع جميع القوات المسلحة العراقية تحت تصرف القيادة المصرية السورية.

- الفدائيون الفلسطينيون يستولون على مستعمرة «أبو روس» الإسرائيلية الواقعة على خط إطلاق النار بين سورية وإسرائيل.

١٣ رمضان

- ١٥هـ/ ١٩ أكتوبر ٦٣٦م: وصول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى فلسطين بعد معارك ضارية لفتح بلاد الشام، وتسلمه مفاتيح مدينة القدس وكتابه لأهلها يؤمن أرواحهم وأموالهم.

-٢٠٢ هـ/ ٢٥ مارس ٨١٨ م: ثورة أهالي الأندلس في قرطبة ضد الأمير «الحكم ابن هشام» المعروفة بثورة «أهل الربض». (انظر: أحداث ونوادر غريبة فى رمضان).

- ٤١٤ هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٠٢٣ م: مبايعة عبد الرحمن بن هشام بالخلافة في قرطبة. تلقب بالمستظهر بالله، ولم تدم خلافته سوى شهر واحد وسبعة عشر يومًا.

-٨٨٦ هـ/ ٥ نوفمبر ١٤٨١م: سقوط صاعقة على المسجد النبوي الشريف، نتج عنها احتراق سقوف المسجد والمنبر والأبواب، وسلمت القبة والقبر.

-١٢٦٥هـ/ ٢ أغسطس ١٨٤٩: وفاة محمد على باشا، مؤسس مصر الحديثة.

- ١٣٨١هـ/ ١٨ فبراير ١٩٦٢م: وفاة الضابط «صلاح سالم» أحد أعضاء حركة الضباط الأحرار التي قامت بثورة ٢٣ يوليو بمصر.

-١٣٩٣ هـ/ ٩ أكتوبر ١٩٧٣م: صدور أمر عسكري مصري باعتبار الأسلحة والذخيرة التي يملكها المواطنون بغير ترخيص، مرخصًا بحملها ابتداء من اليوم حتى يمكن استخدامها في الدفاع عن الوطن.

- توقف النشاط تمامًا في بورصة تأجير ناقلات البترول في لندن.

١٤ رمضان

٣٥٩هـ/ ٢١ يوليو ٩٧٠م: وضع حجر الأساس والبدء في بناء الجامع الأزهر بالقاهرة، وتم بناؤه في قرابة سنتين تقريبًا.

-٥٧٠ هـ/ ٨ إبريل ١١٧٥ م: استيلاء صلاح الدين على قلعتى حمص وبعلبك. لما استقر ملك صلاح الدين لدمشق سار إلى مدينة حمص وفي قلعتها والٍ يحفظها. فلما نزل صلاح الدين على حمص راسل من فيها بالتسليم فامتنعوا، فقاتلهم من الغد فملك البلد وأمّن أهله، وامتنعت عليه القلعة. واقتضى الحال أن يترك حمص ويجعل فيها من يحفظها، ويمنع مَنْ بالقلعة من التصرف أو أن تصعد إليهم ميرة (مؤن) ثم سار إلى حماه فحلب، ثم عاد أدراجه إلى حمص ثانية سريعاً لملاقاة ملك الفرنجة «ريموند» الذي أراد استغلال غياب صلاح الدين لاحتلال حمص. فلما وصل صلاح الدين إلى الرستن وسمع الفرنجة بقدومه رحلوا عن حمص، ووصل إليها صلاح الدين فأعاد حصار القلعة ثانية إلى أن ملكها ثم سار منها إلى بعلبك وبها والٍ اسمه يمن، فحاصرها وتسلم القلعة. (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ. حوادث سنة ٥٧٠هـ).

- ٦٣٠هـ/ ٢٤ يونيو ١٢٣٣م: وفاة «مظفر الدين كوكبوري»، أمير إربل، أحد كبار القادة الذين شاركوا صلاح الدين الأيوبي في جهاده ضد الصليبيين.

- ٦٧٠هـ: ١٤ أبريل ر١٢٧٢ م: الانتهاء من وضع كتاب رياض الصالحين للإمام النووي الدمشقي. قال عن كتابه: رأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة ومحصلاً لآدابه الباطنة.

- ٩٢٢هـ/ ١١ أكتوبر ١٥١٦م: ولاية السلطان «طومان باي» الحكم في مصر بعد مقتل آخر سلاطين الدولة المملوكية، السلطان «قانصوه الغوري» في معركة مرج دابق، والذي بمقتله سقطت الدولة المملوكية في قبضة العثمانيين، وأصبحت مصر ولاية عثمانية.

- ١٣٢٤ هـ/ ١ من نوفمبر ١٩٠٦ م: صدور أول صحيفة هزلية في تونس باسم «ترويح النفوس» أصدرها الصحفي التونسي السيد «عزوز الخياري» اتخذ لها شعار: سلوى للمحزونين، ظاهرها الهزل الرايق وباطنها الجد الشايق.

- ١٣٩٣ هـ/ ١٠ أكتوبر ١٩٧٣م: العدو الإسرائيلي يحاول الإغارة على بعض المواقع الجوية المصرية بمحافظة الشرقية ويلقي عبوات ناسفة على هيئة ساعات وعلب مأكولات وأقلام، نتج عنها إصابة العديد من المدنيين.

: جمهورية فولتا العليا تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: الحكومة البريطانية تقرر إجراء حظر على تصدير الأسلحة إلى أي من الجانبين المتحاربين في الشرق الأوسط.

: شركة الخطوط الجوية المغربية تلغي رحلاتها لكي توفر الطائرات التي تستخدم في نقل قوات مغربية إلى جبهة القتال.

: نقابة المعلمين المصرية تقرر تحويل مدرسة في كل محافظة إلى مستشفي طوارئ بعد تجهيزها بالمعدات اللازمة ووضعها تحت تصرف اللجنة العليا للمعركة.

- ١٤١٤ هـ/ ٢٥ فبراير ١٩٩٤: مذبحة الحرم الإبراهيمي، قام بها متطرف إسرائيلي يدعى باروخ جولدشتاين، وراح ضحيتها ٢٩ مصليًا و ١٥٠ جريحًا.

١٥ رمضان

- ٣ هـ/ ١ مارس ٦٢٥م: مولد الإمام «الحسن بن على بن أبي طالب». حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم من السيدة فاطمة الزهراء.

٣٧هـ/ ٢٤ فبراير ٦٥٨م: ولاية محمد بن أبي بكر الصديق على مصر.

٣٧هـ/ ٢٤ فبراير ٦٥٨م: وفاة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما.

- ٣٥٨ هـ/ ٢ أغسطس ٩٦٩م: دخول القائد الفاطمي «جوهر الصقلي» مصر وبداية العهد الفاطمي بها.

- ١٣٠٦هـ/ ١٥ مايو ١٨٨٩م: مولد الشاعر اللبناني الكبير «إيليا أبو ماضي»، أحد شعراء المهجر المعروفين، الذي هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستقر هناك. من دواوينه: «تذكار الماضي، والجداول، والخمائل.

- ١٣٢٥هـ/ ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧م: الإعلان عن تأسيس الحزب الوطني المصري بزعامة «مصطفي كامل».

- ١٣٥٩هـ/ ١٧ أكتوبر ١٩٤٠م: وفاة المؤرخ المصري الكبير «أحمد شفيق».. ولد بالقاهرة، وتلقي تعليمه بها واستكمله في فرنسا، وبعد عودته عمل لدى الخديو عباس حلمي، ثم اعتزل العمل السياسي واشتغل بالتأليف والبحث، ومن أشهر أعماله: «حوليات مصر السياسية»، و«مذكراتي في نصف قرن».

- ١٣٩٣ هـ/ ١١ أكتوبر ١٩٧٣م: ميادين القتال مع العدو الإسرائيلي تشهد أعنف المعارك البرية والجوية منذ بدء العمليات.

: ٣٧ عضوًا من أعضاء مجلس الأمة الكويتي « من إجمالي ٥٠ عضوًا» يوقعون بيانًا يحثون فيه الحكومة الكويتية على سحب مدخراتها من الولايات المتحدة وإعادة النظر في صادرات البترول إليها.

١٦ رمضان

- ٧٠٩ هـ/ ١٧ فبراير ١٣١٠م: نهاية حكم الملك «المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير» وتولي الملك «الناصر محمد بن قلاوون» ولاية مصر للمرة الثالثة.

- ٨٤٥ هـ/ ٢٨ يناير ١٤٤٢م: وفاة المؤرخ «تقي الدين أحمد بن على المقريزي»، صاحب الخطط المقريزية. (انظر أعلام المعجم).

- ١٣٠٧ هـ/ ٦ مايو ١٨٩٠م: مولد العالم الكبير الشيخ «حسنين محمود حسنين مخلوف» مفتي الديار المصرية وأحد أعلام الفقه في العالم الإسلامي في القرن العشرين. توفي في ١٩ رمضان ١٤١٠هـ/ ١٥ إبريل ١٩٩٠م.

١٣٦٠ هـ/ ٧ أكتوبر ١٩٤١م: وفاة الفيلسوف الفرنسي «هنري برجسون». ولد سنة ١٨٥٩م، وعمل أستاذًا في الكوليج دي فرانس، ونال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٢٧م، ومن مؤلفاته: «الزمن والإدارة الحرة»، «الذاكرة»، و«التطور الخلاق»، وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربية.

-١٣٩٣ هـ/ ١٢ أكتوبر ١٩٧٣م: السلطات المصرية تصدر القوانين الخاصة بضريبة الجهاد الجديدة المخصصة لمساهمة الشعب بجميع فئاته في تكاليف المعركة.

: الصين الشعبية تقدم لمصر مبلغ ١٠ ملايين دولار و١٠٠ ألف طن من القمح مساهمة منها في أعباء المعركة.

١٧ رمضان

- ٢هـ/ ١٣ مارس ٦٢٤ م: غزوة بدر الكبرى».. أول وأعظم انتصار للمسلمين على قريش» ويطلق عليها (غزوة الفرقان).

- ٤٠هـ/ ٢٤ يناير ٦٦١ م: استشهاد الإمام «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه، على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

- ٥٨ هـ/ ١٣ يوليو ٦٧٨م: وفاة «السيدة عائشة» رضي الله عنها، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ودفنت بالبقيع.

- ٥٦٠ هـ/ ٢٨ يوليو ١١٦٥م: مولد الشيخ «أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي»، المعروف بمحيي الدين بن العربي، المُلقب بالشيخ الكبير، صاحب «الفتوحات المكية».

- ١٢١٢ هـ/ ٥ مارس ١٧٩٨ م: صدور قرار من الحكومة الفرنسية بالموافقة على قيام حملة عسكرية بقيادة نابليون بونابرت لغزو مصر، وهي الحملة المعروفة باسم الحملة الفرنسية على مصر.

- ١٢٥٦ هـ/ ١٢ نوفمبر ١٨٤٠م: استعادة سيطرة الجيش العثماني على مدينة حلب السورية بعد خروج الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا من بلاد الشام، وفقًا لمعاهدة لندن في يوليو ١٨٤٠م التي نصت على رحيل جيوش والي مصر محمد على باشا من بلاد الشام وعودة سيطرة الدولة العثمانية عليها.

- ١٣٩٣ هـ/ ١٣ أكتوبر ١٩٧٣م: جمهورية الكاميرون تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: أجهزة الرادار المصرية تكتشف اختراق طائرتي استطلاع أمريكيتين للمجال الجوي المصري على بعد ٢٥ كم.

: حكومة نيجيريا تتبرع بمبلغ ٦٠٠,٠٠٠ جنيه لضحايا الحرب في مصر.

١٨ رمضان

- ٢١هـ/ ٢٠ أغسطس ٦٤٢م: وفاة القائد الإسلامي «خالد بن الوليد» الشهير بـ سيف الله المسلول. صاحب العديد من الفتوحات والانتصارات على أعتى إمبراطوريتين هما «الفرس» و«الروم»، وقد قضى حياته كلها بين كرٍّ وفرٍّ وجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة الدين.

- ٤٠هـ الموافق ٢٤ يناير ٦٦١ م: مبايعة الحسن بن على رضي الله عنهما بالخلافة بعد مقتل أبيه.

- ٣٩٨ هـ/ ٢٧ مايو ١٠٠٨ م: وفاة العالم الفلكي المصري الشهير على بن يُونس. من أهم مجهوداته العلمية رصده لكسوف الشمس لعامي ٣٦٨هـ/ ٩٧٧ م و٣٦٩هـ/ ٩٧٨ م. خلف ابن يونس عددًا من المؤلفات معظمها في الفلك والرياضيات من أهمها: كتاب الزيج الحاكمي، وكتاب الظل، وهو عبارة عن جداول للظل وظل التمام، وكتاب غاية الانتفاع ويحتوي على جداول عن السمت الشمسي، وقياس زمن ارتفاع الشمس من وقت الشروق وجداول أوقات الصلاة، وكتاب الميل، وهو عبارة عن جداول أوضح فيها انحراف الشمس، وكتاب التعديل المحكم وهو معادلات عن ظاهرة الكسوف والخسوف، إضافة إلى كتابين آخرين أحدهما في التاريخ، بعنوان تاريخ أعيان مصر، والآخر في الموسيقى، بعنوان العقود والسعود في أوصاف العود.

- ٤٠٥ هـ/ ١٢ مارس ١٠١٥م: وفاة الإمام الفارسي «ابن الليث الكشي»، من كبار أئمة بلاد فارس.

- ٨٣٤ هـ/ ٣٠ من مايو ١٤٣١م: تنفيذ حكم الإعدام حرقًا في المناضلة الفرنسية «جان دارك» وهي في التاسعة عشرة من عمرها، ولدت عام ١٤١٢م، وقاومت الاحتلال البريطاني لبلادها وهى في الثالثة عشرة، وعرفت بـ «عذراء أوليانز» نسبة إلى مدينتها التي احتلها الإنجليز.

- ١٣٣٠ هـ/ ٣١ أغسطس ١٩١٢م: توقف جريدة «اللواء»، التي كان يصدرها «الحزب الوطني» بزعامة «مصطفي كامل» عن الصدور أثر سلسلة من المقالات هاجمت الحكومة والاحتلال الإنجليزي.. صدر العدد الأول من الجريدة في ٢ يناير ١٩٠٠م.

- ١٣٣٣ هـ/ ٣٠ يوليو ١٩١٥م: توقف صحيفة «الجريدة» عن الصدور.. رأس

تحريرها «أحمد لطفي السيد»، وصدر العدد الأول منها في ٩ مارس ١٩٠٧، وحملت لواء الدعوة إلى «المصرية» ومعارضة الاتجاه إلى تركيا دولة الخلافة وقتذاك.

- ١٣٣٨هـ/ ٥ يونيو ١٩٢٠م: سفر الزعيم المصري «سعد زغلول» إلى لندن لمواصلة المفاوضات مع وزير المستعمرات البريطاني اللورد «ملنر»، بشأن المسألة المصرية، ولتحديد طبيعة العلاقة بين مصر وبريطانيا.

- ١٣٥١ هـ/ ١٥ يناير ١٩٣٣م: صدور العدد الأول من مجلة «الرسالة» الأدبية في القاهرة، أشهر المجلات الثقافية والأدبية والعربية، التي ظهرت في تاريخ الأدب العربي الحديث، وقد رأس تحريرها الأديب الكبير «أحمد حسن الزيات»، وكانت تصدر في البداية أسبوعيًا، ثم تحولت إلى نصف شهرية، واستمرت في الصدور حتى توقفت في ٢٣ فبراير ١٩٥٣م، بعد أن بلغ عدد أعدادها ١٠٢٥ عددًا.

- ١٣٩٣ هـ/ ١٤ كتوبر ١٩٧٣م: الأجواء المصرية تشهد معركة جوية في شمال الدلتا خسر فيها العدو الإسرائيلي ١٥ طائرة مقابل ٣ طائرات للجيش المصري.

: العدو الإسرائيلي يحاول الإغارة على مطار دمشق الدولي.

١٩ رمضان

- ٦٦٥ هـ/ ١٣ يونيو ١٢٦٧م: وفاة العلامّة النحوي الإمام «أبو شـامة». هو: عبد الرحمن بن إسـماعيل بن إبراهيم بن عثمان بـن أبي بكر بن إبراهيم بن محمَّد المقدسي الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي الأصولي المحدِّث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة، أصله من القدس، صاحب: شرح الشاطبية، وزهر الروضتين. والمرشد الوجيز. ولُقِّب أبا شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر.

- ٧٨٤هـ/ ٢٦ نوفمبر ١٣٨٢م: تولى السلطان «الظاهر برقوق الأول» «برقوق بن آنص» الحكم في مصر بعد فترة قلاقل واضطرابات، والسلطان برقوق هو مؤسس دولة المماليك الثانية المعروفة بدولة المماليك البرجية الجراكسة.

- ١٠٩٤ هـ/ ١١ سبتمبر ١٦٨٣م: الجيش العثماني يتعرض لهزيمة قاسية في معركة «ألمان داغي» أثناء حصاره لفيينا للمرة الثانية، استشـهد خلالها ١٠ آلاف عثماني، وتعد هذه المعركة واحدة من أهم المعارك التي أسهمت في تغيير مجري التاريخ العالمي.

- ١٣٧٥ هـ/ ٣٠ إبريل ١٩٥٦م: صدور قرار من الحكومة التونسية ينص على أن يكون جامع الزيتونة جامعة مختصة بالعلم، يطلق عليها «الجامعة الزيتونية».

- ١٣٩٣ هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٧٣م: القوات المصرية تعزز قبضتها على المواقع التي استعادتها في عمق سيناء.

: الاتحاد السوفيتي يعلن إصراره على مساعدة العرب بكل الوسائل لتحرير أراضيهم المحتلة، بما في ذلك تزويدهم بالسلاح.

: الخارجيـة الأمريكيـة تعلن عن إمدادها لإسرائيل بالعتاد العسـكري الثقيل خلال اليومين الماضيين.

: الإذاعة المصرية تذيع برنامجًا لتدريس المناهج المقررة على تلاميذ المرحلتين الابتدائية والإعدادية بعد إغلاق المدارس بسبب الحرب.

٢٠ رمضان

- ٥١ هـ/ ٣٠ سبتمبر ٦٧١م: بناء مسجد القيروان على يد «عقبة بن نافع».

- ٢٠٢ هـ/ ١ إبريل ٨١٨ م: رحيل آلاف الأندلسيين من قرطبة بعد فشل ثورتهم ضد حكم الأمير «الحكم بن هشام» الذي بطش بالثوار بطشًا شديدًا، وهدم منازلهم وشردهم في الأندلس، فرحلت جماعة منهم تبلغ نحو ١٥ ألف إلى مصر، ثم ما لبثوا أن غادروها إلى جزيرة «أقريطش» بكريت سنة ٢١٢هـ، حيث أسسوا بها دولة صغيرة استمرت قرابة قرن وثلث.

- ٦٧٢ هـ/ ٣٠ مارس ١٢٧٤م: وفاة العلامة الزاهد «أبو عبد الله محمد بن سليمان ابن عبد الملك بن على المعافري»، المعروف بالإمام الشاطبي. نزيل الإسكندرية، قرأ بالسبع في الأندلس وبرع في القراءات والتفسير وله تفسير صغير.

- ١٣٩٣ هـ/ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣م: الرئيس السادات يلقي خطابًا في مجلس الشعب يعلن فيه موقف مصر وأهدافها للسلام.

: مصر تستقبل طائرة خاصة مقدمة من الكويت تحمل ٣٠ طنًا من الأدوية والمعدات الطبية للمجهود الحربي.

- ١٤٣٠ هـ/ ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩: وفاة المؤرخ المصرى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.

٢١ رمضان

- ٩٥هـ/ ٩ يونيو ٧١٤م: وفاة «الحجاج بن يوسف الثقفي»، أحد أشهر رجال الدولة الأموية، وواحد من مشاهير التاريخ الإسلامي، اشتهر بالقوة والعنف في معاملة خصومه وأعداء الدولة، وفي الوقت نفسه أسدى للدولة خدمات جليلة، يأتي في مقدمتها: استقرار الأمن، واستئناف الفتوحات الإسلامية، وإنشاء مدينة واسط، وتنقيط المصحف الشريف. (وقيل إنه توفى فى الثالث والعشرين من رمضان من العام ذاته وقال ابن كثير توفى فى السابع والعشرين منه).

- ٧٢٦هـ/ ٢١ أغسطس ١٣٢٦م: وفاة السلطان العثماني عثمان الأول، مؤسس الدولة العثمانية، خلفه في الحكم على عرش السلطنة العثمانية ابنه أورخان، وهو ثاني سلاطينها، عمل على تدعيم أركان الدولة، وتوسيع رقعتها، وأنشأ الفرقة المعروفة بالانكشارية.

- ٧٣٣ هـ/ ٥ يونيو ١٣٣٣م: وفاة الإمام الفقيه والمؤرخ «شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب»، المعروف بالنويري.

- ١٢٧٥ هـ/ ٢٤ إبريل ١٨٥٩م: بدء أعمال الحفر في قناة السويس.. استمر الحفر ١٠ سنوات ونصف، وشارك فيه قرابة ٦٠ ألف فلاح مصري، وبلغ طولها آنذاك ١٦٢,٥ كم، وافتتحت للملاحة في ١٩ نوفمبر ١٨٦٩م.

- ١٢٨٦ هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨٦٩م: مولد الأديب «شكيب أرسلان» أمير البيان العربي، أول من دعا إلى إنشاء جامعة عربية، وأحد أبرز رواد الإصلاح وزعماء التحرر الوطني ضد الاستعمار، وصاحب كتابي «الحلل السندسية» و «تاريخ غزوات العرب». توفى فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦.

- ١٣٧٥ هـ/ ٢ مايو ١٩٥٦ م: المملكة الليبية تطبق قانون مقاطعة إسرائيل بعد ضغوط شعبية كبيرة، وتنشئ مكتبًا للمقاطعة في طرابلس.

-١٣٩٣ هـ/ ١٧ من أكتوبر ١٩٧٣م: بداية أضخم معارك الدبابات في العصر الحديث بين مصر وإسرائيل في القطاع الأوسط من صحراء سيناء.

: الدول العربية المنتجة للبترول تقرر خفض إنتاجها من البترول بحد أدنى ٥٪ وتزداد بنسبة ٥٪ أخرى كل شهر حتى يتم جلاء إسرائيل عن الأراضي المحتلة.

: الحكومة الجزائرية توقف تنفيذ خطة التنمية لتوجيه كل إمكاناتها المادية للاشتراك في المعركة.

٢٢ رمضان

٢ هـ/ ١٨ مارس ٦٢٤م: غزو الرسول صلى الله عليه وسلم لبني سليم ومكوثه فيها ثلاث ليال دون مقاومة.

٨ هـ/ ١٣ يناير ٦٣٠م: موقعة الطائف.

- ٢٧٣هـ/ ٢٠ فبراير ٨٨٧م: وفاة الإمام الحافظ «أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني»، الشهير بابن ماجة، صاحب السنن، أحد كتب الصحاح الستة.

- ٢٧٧هـ/ ٧ يناير ٨٩١ م: مولد «عبد الرحمن الناصر» ثامن أمراء الأندلس من بني أمية، وأول من تسمّي بها بأمير المؤمنين، وتلقب بألقاب الخلافة، استمر عصره نحو نصف قرن، ويعتبر من أزهى عصور الأندلس.

- ٣٥٤هـ/ ٢١ سبتمبر ٩٦٥ م: مقتل الشاعر المعروف أبي الطيب المتنبي.

- ١٢٩٨ هـ/ ١٨ أغسطس ١٨٨١ م: قبائل الغرب والجنوب الغربي التونسي تعلن الجهاد ضد الفرنسيين المحتلين.

- ١٣٧١هـ/ ١٥ يونيو ١٩٥٢م: صدور العدد الأول من جريدة «الأخبار» المصرية التي أسسها الأخوان «علي ومصطفي أمين».

- ١٣٧٤ هـ/ ١٤ مايو ١٩٥٥م: توقيع معاهدة إنشاء «حلف وارسو» الذي ضم الكتلة الشرقية تحت قيادة الاتحاد السوفيتي، عقب إنشاء الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون حلف شمال الأطلنطي وضمهم ألمانيا الغربية إليه عام ١٩٥٥م، وهو ما اعتبره السوفييت تهديدًا مباشرًا لهم. واستمر حلف وارسو حتى تم إلغاؤه في معاهدة براغ في يوليو ١٩٩١م.

-١٣٩٣ هـ/ ١٨ أكتوبر ١٩٧٣م: المملكة العربية السعودية تعلن تخفيض بترولها بنسبة ١٠٪ وليس ٥٪ حتى نهاية شهر نوفمبر ١٩٧٣.

٢٣ رمضان

- ٣١ هـ/ ٨ مايو ٦٥٢م: انتصار المسلمين على الساسانيين وانتهاء دولة الفرس. حدث في عهد الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

- ٢٢٠هـ/ ٢٠ سبتمبر ٨٣٥ م: مولد «أحمد بن طولون» مؤسس الدولة الطولونية. ولد ببغداد، وتلقى تعليمه العسكري والديني بها، وبعدما شبّ لفت الأنظار إليه بعلمه وشجاعته، ثم ولي مصر سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨ م، ونجح في أن يقيم دولة قوية شملت مصر والشام والحجاز، وبني مسجده الشهير في القاهرة، الذي يعد واحدًا من أشهر العمارات الإسلامية نظرًا لتفرد أسلوب بنائه.

-٤٤٩ هـ/ ٢٣ من نوفمبر ١٠٥٧م: وفاة الشاعر المشهور أبي العلاء المعري.

- ٥٨٤ هـ/ ١٥ من نوفمبر ١١٨٨م: وفاة الشاعر واللغوي والأمير الفارس «أسامة ابن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ»، المعروف بأسامة بن منقذ، أحد أبطال المسلمين في الحروب الصليبية، له ديوان شعر مطبوع، ومذكرات بعنوان «الاعتبار» وكتب عديدة في الأدب.

- ١٣٧٩ هـ/ ٢١ مارس ١٩٦٠م: قوات الشرطة في جنوب إفريقيا ترتكب مذبحة ضد المتظاهرين في مدينة «شاربفيل»، سقط خلالها ٦٩ قتيلا خلال بضع دقائق.

- ١٣٩٣ هـ/ ١٩ أكتوبر ١٩٧٣م: تنزانيا تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: ليبيا توقف تصدير بترولها تمامًا إلى الولايات المتحدة.

: اتحاد النقابات العمالية في ألمانيا الديمقراطية يتبرع بمبلغ ١٠ ملايين مارك للمجهود الحربي.

- ١٤١٨ هـ/ ٢٢ يناير ١٩٩٨ م: وفاة فضيلة الشيخ إسماعيل صادق العدوى شيخ الجامع الأزهر.

-١٤٢٢ هـ/ ٩ ديسمبر ٢٠٠١ م: وفاة صائد الدبابات الشهير في حرب أكتوبر ١٩٧٣ «محمد عبد العاطي».. سجل اسمه في الموسوعات الحربية كأشهر صائد دبابات في العالم.

٢٤ رمضان

- ٢٠هـ/ ٦ سبتمبر ٦٤١ م: تمام بناء مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه بالفسطاط.

- ٤١٠ هـ/ ٢٣ يناير ١٠٢٠م: وفاة العلامة الحافظ الكبير «ابن مردويه»، صاحب التفسير والتاريخ والمستخرج على البخاري.

- ٥٥٧ هـ/ ٦ سبتمبر ١١٦٢م: وفاة الأديب واللغوي «أبو سعيد الألوسي».

- ٦٨٤هـ/ ٢٣ نوفمبر ١٢٨٥م: وفاة العلامة اللغوي والشاعر والناقد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسن، المعروف بحازم القرطاجني، صاحب الكتاب الشهير «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، وله قصيدة طويلة عُرفت بالمقصورة تقع في أكثر من ألف بيت.

- ٧١٦ هـ/ ١٠ ديسمبر ١٣١٦ م: وفاة العلامة الفارسي «قطب الدين الشيرازي»، صاحب «درة التاج على لسان الفرس، ونهاية الإدراك».

- ١٢٥١ هـ/ ١٣ يناير ١٨٣٦ م: تمكن الفرنسيون من دخول مدينة «تلمسان» الجزائرية بعد أن اضطر الأمير المجاهد «عبد القادر الجزائري» إلى الانسحاب إلى مدينة «وجدة» على الحدود مع المغرب.

- ١٣٠٤هـ/ ١٦ يونيو ١٨٨٧م: توصل المخترع الأمريكي «توماس أديسون» إلى اختراع أول جهاز لتسجيل الصوت «الجرامفون»، وقد سجل أديسون في حياته قرابة ألف اختراع، من أشهرها المصباح الكهربائي.. ولد عام ١٨٤٧م وتوفى في أكتوبر ١٩٣١م.

- ١٣٦٤ هـ/ ٢ سبتمبر ١٩٤٥م: تقديم وزير خارجية اليابان وثيقة استسلام بلاده في الحرب العالمية الثانية، وكانت اليابان قد اضطرت للاستسلام إثر ضرب هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين ذريتين أحدثتا دمارًا هائلا وشاملا.

- ١٣٩٣ هـ/ ٢١ أكتوبر ١٩٧٣م: قيام كل من الكويت وقطر والبحرين ودبي بوقف تصدير بترولهم نهائيًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا، وذلك تضامنًا مع

مصر وسوريا في معركتهما المظفرة ضد إسرائيل، واللتان حققتا فيها النصر لأول مرة في حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر.

١٣٩٣ هـ/ ٢٠ من أكتوبر ١٩٧٣م: دولة مالاجاش «مدغشقر حاليًا» تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: السعودية توقف تصدير بترولها تمامًا إلى الولايات المتحدة ردا على زيادة الدعم العسكري الأمريكي لإسرائيل.

٢٥ رمضان

هـ/ ٣ يناير ١٠٨٧ م: نشوب معركة الزّلاقة، دارت بين جيش المرابطين المسلمين في الأندلس، بقيادة يوسف بن تاشفين، وجيش الصليبيين بقيادة ألفونسو، وانتصر فيها المسلمون. ويقال إنها وقعت يوم ٩ رمضان من العام ذاته. وهى إحدى النقاط الفاصلة في حياة دولة الإسلام في الأندلس.

-٥٤٤هـ/ ٢٦ يناير ١١٥٠م: مولد الفقيه والأصولي الكبير «محمد بن عمر بن الحسين بن علي»، المعروف بـ«فخر الدين الرازي»، صاحب تفسير القرآن الكريم المعروف بـ«مفاتيح الغيب»، وقد بلغت مؤلفات الرازي أكثر من مائة كتاب.

- ٦٥٨هـ/ ٣ سبتمبر ١٢٦٠م: نشوب معركة «عين جالوت» بين المسلمين بقيادة المظفر «سيف الدين قطز» والمغول بقيادة «كيتوبوقا»، وذلك في المنطقة التي تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين، وقد انتهت المعركة بنصر عظيم للمسلمين أنقذ الحضارة الإسلامية من الدمار، وتم على إثر هذا الانتصار توحيد مصر وبلاد الشام.

- ١٢٨٤ هـ/ ٢٠ يناير ١٨٦٨ م: مولد الزعيم المصري محمد فريد، أحد أهم زعماء الحركة الوطنية في مصر، تسلم قيادتها بعد وفاة الزعيم مصطفي كامل، أنفق كل ماله وجهده في الدفاع عن حق مصر في الاستقلال والتنديد بالاحتلال. توفي غريبًا عن وطنه في ألمانيا، وله مؤلفات تاريخية، من أشهرها «تاريخ الدولة العليا العثمانية».

- ١٣٦٤ هـ/ ٣ سبتمبر ١٩٤٥م: انتهاء سلسلة الحروب الصينية - اليابانية، بعد استسلام اليابان في الحرب العالمية الثانية بيومين، وانسحاب القوات اليابانية من الصين، بعد فترة من الحرب استمرت من ١٩٣٧ حتى ١٩٤٥م.

- ١٣٩٣ هـ/ ٢١ أكتوبر ١٩٧٣م: الحكومة العراقية تصدر قرارًا بتأميم حصة هولندا في شركة نفط البصرة، نظرًا لموقف هولندا المؤيد لإسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

- ١٣٩٣ هـ/ ٢١ أكتوبر ١٩٧٣م: جمهورية إفريقيا الوسطي تقطع علاقاتها مع إسرائيل.

: دول الكويت وقطر والبحرين ودبي يوقفون تصدير البترول نهائيًا إلى الولايات المتحدة.

٢٦ رمضان

- ١٩٣ هـ/ ١٨ يوليو ٨٠٩ م: وصول السيدة نفيسة بنت الحسن بن على رضي الله عنهم أجمعين إلى القاهرة.

- ٥٨٤ هـ/ ١٨ نوفمبر ١١٨٨ م: موقعة حطين الشهيرة بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، التي أنهت الوجود الصليبي في المشرق. (هناك أقوال أخرى فى تاريخها).

- ٧٦٢هـ/ ٣٠ من يوليو ١٣٦١م: مولد الإمام «أبي الثناء محمود بن أحمد بن موسى»، المعروف ببدر الدين العيني، أحد أئمة الفقه والحديث والتاريخ في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، صاحب كتابي: «عقد الجمان»، و«عمدة القاري في شرح صحيح البخاري».

- ١٣٩٣ هـ/ ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣: مجلس الأمن يصدر قراره رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النار بين العرب وإسرائيل والبدء في التنفيذ الفوري لقرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧.

: القائد العام يصدر أمرًا للقوات المسلحة بوقف إطلاق النار تنفيذًا لقرار مجلس الأمن.

: السودان تقرر تزويد مصر بثلاثين طنًا من اللحوم يوميًا مساهمة في المجهود الحربي.

٢٧ رمضان

- ١٣٢٩ هـ/ ٢١ سبتمبر ١٩١١ م: وفاة الزعيم «أحمد عرابي» قائد الثورة العرابية. ولـد بمحافظة الشرقية والتحق بالجيش المصري، وترقي في مناصبه، قاد ثورة احتجاج على تحيز الجيش للضباط الشراكسة، وطالب بالتغيير الوزاري وتشكيل حكومة وطنية وزيادة عدد الجيش، وقد تجمعت عدة أسبب أدت إلى فشل هذه الثورة، مما ترتب عليها نفي زعمائها إلى جزيرة سرنديب، وكان من بينهم «عرابي».

- ١٣٧٣ هـ/ ٣٠ مايو ١٩٥٤م: وفاة الكاتب الكبير «أحمد أمين»، صاحب كتاب «فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام».. بدأ حياته أزهريًا ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وعُين مدرسًا بها، ثم أصبح قاضيًا شرعيًا، والتحق بالجامعة أستاذًا فعميدًا، صاحب فكرة إنشاء الجامعة الشعبية التي شهدت تطورات عديدة، أسفرت عن تأسيس قطاع الثقافة الجماهيرية «الهيئة العامة لقصور الثقافة حاليًا».

- ١٣٩٣ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣م: إثيوبيا تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل نتيجة لرفض الأخيرة الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

: تفجر القتال بعد ساعات من إعلان وقف إطلاق النار.

: الكويت يوقف تصدير البترول نهائيًا إلى هولندا، ردًا على مساندتها للعدو الإسرائيلي وموقفها العدائي من القضية العربية.

: قوات المقاومة الشعبية والجيش الشعبي تقرر بتوجيه من الرئيس السادات الاشتراك في القتال الدائر في منطقة غرب القناة باعتبار أنها معركة كل الشعب.

٢٨ رمضان

- ٤هـ/ ٣ مارس ٦٢٦م: زواج الرسول ﷺ بالسيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث، الملقبة (أم المساكين). (قيل في ٢٨ رمضان وقيل في ٥ رمضان).

- ٩هـ/ ٨ يناير ٦٣١م: قدوم وفد ثقيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلان دخولهم في الإسلام.

- ٩٢هـ/ ١٩ يوليو ٧١١م: نشوب معركة «شذونة» أو «وادي لكة» بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، انتهت بانتصار المسلمين، مما هيأ لدخول الإسلام إلى إسبانيا، واستقراره بها لمدة ثمانية قرون.

- ١٣٦٠ هـ/ ١٩ أكتوبر ١٩٤١ م: وفاة الأديبة اللبنانية الشهيرة «مي زيادة»، بعد أن قضت معظم أيامها الأخيرة في مستشفي الأمراض العقلية بلبنان، وبعد خروجها من المستشفي استقرت بالقاهرة حتى وفاتها.

- ١٣٩٣هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣م: العدو الإسرائيلي حاول باستماتة اقتحام ميناء الأدبية جنوبًا ومدينة السويس لكن القوات المسلحة والقوات الشعبية ردتا ببسالة نادرة ودافعتا عن المدينة بكل الوسائل حتى انسحبت قوات العدو.

: دولتا قطر و«أبو ظبي» توقفان تصدير بترولها نهائيًا إلى هولندا ردًا على مساندتها للعدو الإسرائيلي وموقفها العدائي من القضية العربية.

- ١٤٠٥هـ/ ١٧ يونيو ١٩٨٥م: قيام الأمير السعودي «سلطان بن سلمان» برحلة إلى الفضاء على متن المكوك الأمريكي «ديسكفري»، واستمرت الرحلة لمدة أسبوع.

٢٩ رمضان

- ٢هـ/ ٢٥ مارس ٦٢٤م: فرض زكاة الفطر.

- ١٣ هـ انتصار المسلمين على الفرس في معركة البويب: جرت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين جيوش المسلمين بقيادة المُثنى بن حارثة {رضي الله عنه} وقوات الفرس في أرض العراق، وانتهت بنصر المسلمين، مما ساعد على تمكين المسلمين من بلاد فارس. (ذكرت بعض المراجع أنها وقعت فى ١٢ رمضان).

- ٣٨٦ هـ/ ١٥ إبريل ٩٩٦ م: بداية ولاية الخليفة الفاطمي «الحاكم بأمر الله».. تولي مصر وعمره ١١عامًا.

- ١٢٨٧ هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٨٧٠ م: مولد القاضي المصري الكبير «عبد العزيز فهمي» أحد زعماء حزب الأحرار الدستوريين بمصر، وأحد قادة ثورة ١٩١٩م.

- ١٤٢٥هـ/ ١٢ نوفمبر ٢٠٠٤م: تشييع جنازة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في القاهرة، نقل جثمانه بعدها إلى مدينة رام الله بفلسطين، حيث دفن في باحة مقر المقاطعة التي كان يعيش بها في أواخر أيامه.

٣٠ رمضان

٤٣هـ/ ٥ يناير ٦٦٤ م: وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه عن عمر ١٠٠ عام.

- ٩٣ هـ/ ١٠ يوليو ٧١٢ م: الفتح الإسلامى للأندلس.

- ١١٢هـ/ ١٦ ديسمبر ٧٣٠م: وفاة الجراح «الحكمي»، أحد قواد المسلمين العظام وفاتحيهم في العصر الأموي، لقب ببطل الإسلام، وفارس أهل الشام، والأمير الفاتح.

٢٥٦هـ/ ٣١ أغسطس ٨٧٠ م: وفاة الإمام «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة»، المعروف بالإمام البخاري، صاحب «صحيح البخاري».

٣٨٤هـ/ ٧ نوفمبر ٩٩٤م: مولد الإمام الفقيه «محمد بن على بن أحمد بن سعيد»، المعروف بابن حزم، أحد أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجري، له مؤلفات كثيرة في الفقه والتاريخ، من أشهرها: «طوق الحمامة» و«المحلي»، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل».

أحداث ونوادر غريبة فى شهر رمضان

على مدار التاريخ شهد شهر رمضان بعض الحوادث والنوادر الغريبة التى قطعت عاداته وتقاليده المرعية؛ وألفتت انتباه الناس، وصارت محور اهتمامهم ومناط أحاديثهم، وربط البعض بينها وبين الشهر الكريم؛ فذهبوا إلى أنها علامة على فساد الأحوال وخلل الطباع، بما دفعهم على تأكيد العزم بإخلاص العمل لله وإصلاح ما بداخلهم كى يرفع الله عنهم ما حاق بهم من نوائب ومصائب وما ابتلى به البعض من تكالب على الدنيا وتصارع للفوز بمغانمها الرخيصة.

ومن هذه الحوادث ما تعلق بأخطاء فى الحسابات الفلكية أو الشهادة زورًا برؤية الهلال ترتب عليها أحيانًا إعلان بدء الصيام أو إنهائه بما أوقع الصائمين فى ربكة، لم تخل من فكاهة فى العديد من الأحوال.

زلازل شديدة تضرب بلاد الشام

من حوادث اليوم الرابع والعشرين سنة ١٥٢ هـ ما أورده «أبو شامة» في كتابه (عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) من أحداث زلزلة كبيرة ضربت بلاد الشام وأحدثت خراباً واسعًا. وكانت تلك الزلازل قد بدأت تضرب بلاد الشام ابتداء من شهر صفر، وعادت في جمادى الأولى، ثم في جمادى الآخرة، ثم في رجب، ثم في رمضان. واستمرت بعده حتى شهر ذى القعدة.

قال: وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة روعت الناس وأزعجتهم لما وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها. ووافت الأخبار من ناحية حلب بأن هذه الزلزلة جاءت فيها هائلة، فقلقلت من دورها وجدرانها العدد

الكثـير، وأنهـا كانت بحماة أعظم مما كانت في غيرها، وأنهـا هدمت ما كان عمر فيها من بيـوت يلتجأ إليها، وأنهـا دامت أياماً كثيرة في كل يوم عدة وافـرة من الرجفات الهائلة، يتبعها صيحات مختلفة توفى على أصوات الرعود القاصفة المزعجة.

ثورة أهل الربض في قرطبة:

ومـن حـوادث اليـوم الثالث عـشر من شـهر رمضان الفتنـة التي وقعـت في قرطبة بالأندلـس سـنة ٢٠٢ هـ إبـان خلافـة الحكَـم بـن هشـام الأمـوى، المعروفـة بحادثة «الربـض[٨]». قـال ابن الأثير فى كتابـه «الكامل فى التاريـخ»: كانَ سَـبَبُهَا أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ هِشَـامِ الأمَـوِيَّ، صَاحِبَهَـا، كَانَ كَثِيرَ التَّشَـاغُلِ بِاللَّهْوِ وَالصَّيْـدِ وَالشُّرْبِ، وَغَـيْرِ ذَلِكَ مِمَّـا يُجَانِسُـهُ، وَكَانَ قَدْ قَتَـلَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ قُرْطُبَـةَ، فَكَرِهَهُ أَهْلُهَا، وَصَـارُوا يَتَعَرَّضُونَ لِجُنْدِهِ بِالأَذَى وَالسَّبِّ، إِلَى أَنْ بَلَغَ الأَمْرُ بِالْغَوْغَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ عِنْدَ انْقِضَاءِ الأَذَانِ: «الصَّـلاةَ يَا مَخْمُورُ الصَّلاةَ»، وَشَـافَهَهُ بَعْضُهُـمْ بِالْقَوْلِ، وَصَفَّقُوا عَلَيْـهِ بِالأَكُفِّ، فَشَرَعَ فِي تَحْصِـينِ قُرْطُبَةَ وَعِمَارَةِ أَسْـوَارِهَا، وَحَفْـرِ خَنَادِقِهَا، وَارْتَبَطَ الْخَيْلَ عَلَى بَابِهِ، وَاسْـتَكْثَرَ الْمَمَالِيـكَ، وَرَتَّبَ جَمْعًا لا يُفَارِقُونَ بَابَ قَصْرِهِ بِالسِّـلاحِ، فَـزَادَ ذَلِكَ فِي حِقْدِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ للانتقام مِنْهُمْ.

ثُـمَّ فـرض عَلَيْهِمْ ضريبة عُـشْرَ الأَطْعِمَةِ كُلَّ سَنَةٍ، مِنْ غَيْرِ حِـرْصٍ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ، ثُـمَّ عَمَدَ إِلَى عَشَرَةٍ مِنْ رُؤَسَـاءِ سُـفَهَائِهِمْ، فَقَتَلَهُمْ وَصَلَبَهُمْ، فَهَـاجَ لِذَلِكَ أَهْلُ الرَّبَضِ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ مَمْلُوكًا لَهُ سَلَّمَ سَيْفًا إِلَى أحد صناع السيوف لِيَصْقُلَهُ، فَمَطَلَهُ، فَأَخَذَ الْمَمْلُوكُ السَّـيْفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ الصانع بِهِ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَـهَرَ السِّـلاحَ أَهْـلُ الرَّبَـضِ، وَاجْتَمَـعَ أَهْلُ الأَرْبَـاضِ جَمِيعَهُمْ بِالسِّـلاحِ، وَاجْتَمَعَ الْجُنْـدُ وَالأَمَوِيُّونَ وَالْعَبِيدُ بِالْقَصْرِ، وَفَرَّقَ الْحَكَمُ الْخَيْلَ وَالأَسْـلِحَةَ، وَجَعَلَ أَصْحَابَهُ كَتَائِبَ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ بَـيْنَ الطَّائِفَتَـيْنِ فَغَلَبَهُمْ أَهْـلُ الرَّبَضِ، وَأَحَاطُوا بِقَـصْرِهِ، فَنَزَلَ الْحَكَمُ مِـنْ أَعْلَى الْقَصْرِ، وَلَبِسَ سِلاحَهُ، وَرَكِبَ وَحَرَّضَ النَّاسَ، فَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قِتَالا شَدِيدًا.

ثُمَّ أَمَرَ ابنَ عَمِّهِ عُبَيْدَ اللهِ، فَثَلَمَ فِي السُّورِ ثُلْمَةً[٩]، وَخَرَجَ مِنْهَا وَمَعَهُ قِطْعَةٌ مِنَ الجَيْشِ، وَأَتَى أَهْلَ الرَّبَضِ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا بِهِمْ، فَأَضْرَمُوا النَّارَ فِي الرَّبَضِ، وَانْهَزَمَ أَهْلُهُ، وَقُتِّلُوا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَخْرَجُوا مَنْ وَجَدُوا فِي المَنَازِلِ وَالدُّورِ، فَأَسَرُوهُمْ، فَانْتَقَى مِنَ الأَسْرَى ثَلاثَمِائَةٍ مِنْ وُجُوهِهِمْ، فَقَتَلَهُمْ، وَصَلَبَهُمْ مُنَكَّسِينَ، وَأَقَامَ النَّهْبَ وَالقَتْلَ وَالحَرِيقَ وَالخَرَابَ فِي أَرْبَاضِ قُرْطُبَةَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ.

ثُمَّ اسْتَشَارَ الحَكَمُ عَبْدَ الكَرِيمِ بْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ المُغِيثِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يُوَازِيهِ فِي قُرْبِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ وَالعَفْوِ، وَأَشَارَ غَيْرُهُ بِالقَتْلِ، فَقَبِلَ قَوْلَهُ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ بِالأَمَانِ عَلَى أَنَّهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الرَّبَضِ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ قَتَلْنَاهُ وَصَلَبْنَاهُ، فَخَرَجَ مَنْ بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مُسْتَخْفِيًا، وَتَحَمَّلُوا عَلَى الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ خَارِجِينَ مِنْ حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلادِهِمْ، وَمَا خَفَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَقَعَدَ لَهُمُ الجُنْدُ وَالفَسَقَةُ بِالمَرَاصِدِ يَنْهَبُونَ، وَمَنِ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ قَتَلُوهُ.

فَلَمَّا انْقَضَتِ الأَيَّامُ الثَّلاثَةُ أَمَرَ الحَكَمُ بِكَفِّ الأَيْدِي عَنْ حُرَمِ النَّاسِ، وَجَمَعَهُنَّ إِلَى مَكَانٍ، وَأَمَرَ بِهَدْمِ الرَّبَضِ القِبْلِيِّ.

وَكَانَ «بَزِيعٌ» مَوْلَى أُمَيَّةَ ابْنِ الأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ مَحْبُوسًا فِي حَبْسِ الدَّمِ بِقُرْطُبَةَ، فِي رِجْلَيْهِ قَيْدٌ ثَقِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ قُرْطُبَةَ قَدْ غَلَبُوا الجُنْدَ، سَأَلَ الحَرَسَ أَنْ يُفْرِجُوا لَهُ، فَأَخَذُوا عَلَيْهِ العُهُودَ إِنْ سَلِمَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ، وَأَطْلَقُوهُ، فَخَرَجَ فَقَاتَلَ قِتَالا شَدِيدًا لَمْ يَكُنْ فِي الجَيْشِ مِثْلُهُ، فَلَمَّا انْهَزَمَ أَهْلُ الرَّبَضِ عَادَ إِلَى السِّجْنِ، فَانْتَهَى خَبَرُهُ إِلَى الحَكَمِ، فَأَطْلَقَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ.

المأمون يستحدث بدعة التكبير بعد الصلوات الخمس

ومما ذكر من حوادث اليوم الرابع عشر لشهر رمضان ما جاء في أحداث سنة ٢١٥هـ أيام الخليفة المأمون العباسي، وأورده ابن كثير فى (البداية والنهاية)؛ حيث كَتَبَ المَأْمُونُ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ نَائِبِ بَغْدَادَ يأمره أن يأمر النَّاسَ بِالتَّكْبِيرِ عَقِيبَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، فَكَانَ أَوَّلَ ما بدئ بذلك في جامع بغداد والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة

ليلـة خلـت من رمضان، وذلـك أنهم كانـوا إذا قَضَوُا الصَّلاةَ قَـامَ النَّاسُ قِيَامًـا فَكَبَّرُوا ثَـلاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ اسْـتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الصلـوات. يقول «ابن كثير» معقبًا على ذلك: وهذه بدعة أحدثها المأمون بِلا مُسْتَنَدٍ وَلا دَلِيلٍ وَلا مُعْتَمَدٍ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ قَبْلَهُ أَحَدٌ.

طائر يناشد الناس تقوى الله

ومن الغرائب التى وقعت فى اليوم السَّـابع من شـهر رمضان في سـنة اثنتين ومائتين وأربعـين، مـا أورده «أبو الفـلاح بن العماد الحنبلي» فى كتابه (شـذرات الذهب في أخبار مـن ذهب)، إذ وقع فى ذلـك اليوم طائر أبيض دون الرخمة[10] عـلى دابة بحلب فصاح: يـا معشر الناس، اتقـوا الله.. الله.. الله، حتى صاح أربعين صوتاً، ثم طار وجاء من الغد فصاح أربعين صوتاً. وكتب صاحب البريد بذلك، وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه.

العاشق يتحول إلى شبح فى دار الخليفة المعتضد

ومـن غرائب أفعـال المحبين ما اخترعه البعض من حيـل للوصول إلى محبوبته. ففى عهـد الخليفـة العباسـى المعتضد (٢٤٢ - ٢٨٩ هـ) حدثت قصة اسـتغرقت تفاصيلها الوقـت من شـهر شـعبان حتى رمضان سـنة ٢٨٤ هـ، أوردهـا ابن الجـوزي في كتابه «المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك»، حيث كان قد ظهر شـخص إنسـان في يده سـيف في دار المعتضـد بالثريا. فمضى إليه بعض الخدم لينظر من هو، فضربه الشـخص بالسـيف ضربة قطع بها منطقته ووصل السيف إلى بدن الخادم، وهرب الخادم ودخل الشـخص في زرع في البسـتان فتـوارى فيه، فطلـب لم يوقف له على أثر!. فاسـتوحش المعتضد من ذلـك ورجـم الناس الظنون حتى قالوا: إنه من الجن!، ثم عاد الشـخص للظهور مراراً كثيرة، حتى وكل المعتضد بسور داره، وأحكم عمارة السور. وجيء في يوم السبت لسبع خلون من رمضان بالمعزمين بسـبب ذلك الشـخص وجيء معهم بالمجانين، وكانوا قد قالوا: نحن نعزم على بعض المجانين فإذا سـقط سـأل الجني عن خبر ذلكم الشـخص، فصرعت امرأة فتشاءم المعتضد، وأمر بصرفهم.

وظلت هذه الحادثة غامضة لم يقف أحد على حقيقتها حتى حلت أيام الخليفة «المقتدر»؛ فيذكر أبو يوسف القزويني أن ذلك الشخص كان خادماً أبيض يميل إلى بعض الجواري اللواتي في دواخل دور الخدم، وكان قد أخذ لحىً على ألوان مختلفة، وكان إذا لبس بعض اللحى لا يشك من رآه أنها لحية. فكان يلبس في الوقت الذي يريده لحية منها ويظهر في ذلك الموضع وفي يده سيف أو غيره من السلاح، فإذا طلب دخل بين الشجر وفي بعض الممرات والعطفات، ونزع اللحية وجعلها في كمه، وبقي معه السلاح كأنه بعض الخدم الطالبين للشخص، فلا يرتاب به أحد، ويبادر هو فيسأل: هل رأيتم أحداً. وكان إذا وقع مثل هذا خرج الجواري من تلك الدور فيرى هو تلك الجارية، ويخاطبها بما يريد، وإنما كان غرضه مخاطبة الجارية ومشاهدتها وكلامها. وهذه المعلومات أفضت بها الجارية بعد موت ذلك الشخص.

انهيار جسر على نهر دجلة ببغداد

وفي أحداث اليوم التاسع من رمضان سنة ٣٠٣ هـ يذكر ابن الجوزي في (المنتظم) وقوع كارثة مفاجئة في مدينة الخلافة العباسية بغداد، وهي انهيار أحد الجسور المقامة فوق نهر دجلة. إذ انقطع كرسي الجسر، أي تهاوت قاعدته، والناس عليه فغرق خلق كثير.

تمرد في جيش المماليك ومطالبة بزيادة الرواتب

من حوادث الرابع عشر من رمضان سنة ٨٣٢هـ ما ذكره ابن تغري في (النجوم الزاهرة) من تمرد عسكري قام به المماليك مطالبين بزيادة رواتبهم. قال: حُملت جامكية[١١] المماليك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة، فامتنعوا من قبضها، وطلبوا زيادة لكل واحد ستمائة درهم، وصمموا على ذلك، وترددت الرسل بينهم وبين السلطان الملك الأشرف إلى أن زيد في جوامك عدة منهم وسكن شرهم، وأخذوا الجامكية في يوم الإثنين ثامن عشره.

فيضان دجلة المدمر

وفي غـرة رمضان سـنة ٥٦٩هـ، حـدث فيضان عظيم فى نهر دجلة تسـبب فى مخاطر شـاملة لبغـداد، ثم تفاقم الأمر في سـابع رمضان وجـاء مطر كثير في ليلـة الجمعة ثامن رمضـان، ووقـع في قرى كثيرة وتسـاقط من السـماء برد (قطـع من الثلج) مـا رأوا مثله فهـدم الـدور وقتل جماعة من الناس وجملة من المواشي. وقـال بعض الثقات إنهم وزنوا بردة فبلغ وزنها سـبعة أرطال، وسـاخت الدور ثم زاد الماء في يوم الأحد عاشر رمضان فـزاد عـلى كل زيادة تقدمت، وخـرج الناس وضربوا الخيم على تـلال الصحراء ونقلوا رحالهـم إلى دار الخليفـة ومنهم من عـبر وتقدم بالعـوام يخرجون بالوعـاظ إلى القورج ليعملـوا فيـه فخرجوا وقد انفتـح موضع فوق القـورج بقرية يقال لهـا الزورتقية وجاء الماء من قبله فتداركه الناس فسـدوه وبات عليهم الجند وتولى العمل الأمير قيماز بنفسه وحـده، ثـم انفتـح يومئذ بعد العـصر فتحة من جانب دار السـلطان وسـاح الماء وبات الناس على اليأس يضجون بالبكاء والدعاء، ثم نقص الماء نحو ذراعين فسـكن الناس، وغلا السـعر في تلك الأيام فبيع الشـوك كل باقة بحبة والخبز الخشكار كل خمسة أرطال بقـيراط، ودخـل نزيز الماء مـن الحيطان فملأ المدرسـة النظامية والتتشـية ومدرسـة أبي النجيب وقيصر وجميع الشـاطئات، ثم وصل النزيز إلى رباط أبي سـعد الصوفي فهدمت فيه مواضع وإلى درب السلسلة، ومن هذه المواضع ما وقع جميعه ومنه ما تضعضع وكثر نزيز الماء في دار الخلافة وامتلأت السراديب؛ ونبع الماء من البدرية فهلكت كلها وغلقت أبوابها ونبع في دار البساسـيري ودرب الشـعير من البلاليع، وانهدمت دور كثيرة حتى أنـه نفـذ إلى المواضع البعيدة فوقعـت آدر في المأمونية، وصعد المـاء إلى الحريم الطاهري بالجانـب الغربي فوقعت دوره، ودخل الماء إلى المارسـتان وعلا فيه ورمى عدة شـبابيك من شبابيكه الحديد فكانت السفن تدخل من الشبابيك إلى أرض المارستان، ولم يبق فيه من يقوم بمصلحته إلا المشرف على الحوائج، فحكى أنه جمع أقطاعًا من السياج فشدها كالطوق وترك عليها ما يحتاج من الطعام والشراب حتى الزيت والمقدحة، ونقل المرضى إلى السـطح وبعث بالمرورين إلى سـقاية الراضي بجامع المنصور، وامتلأت المقابر كلها ولم يسـلم منها إلا موضع قبر بشر الحافي؛ لأنه على نشـز (مرتفع)، وكان من يرى المقابر بعـد أيـام يدهش كأن القبور قد قلبـت وجمع الماء كالتل العظيم مـن العظام وكالتل من

ألـواح القبـور، وامتلأ الماء من دجلة إلى سـور دار القز، وكان الناس ينزلون في السـفن من شارع دار الدقيق ومن الحربية ومن درب الشعير، وامتلأت مقبرة باب الشام ووقع المشهد الذي على باب النصرية ووصل الماء من الصراة إلى باب الكرخ، وكان الناس قد وطئوا التلال العالية وهلكت قرى كثيرة ومزارع لا تحصى.

ولما كان يوم الجمعة خامس عشرين رمضان؛ فإذا قد نصب لخطيب جامع السلطان منـبر في سـوق الـدواب يصلي بالناس هنـاك لامتلاء جامع السـلطان بالمـاء، وجاء يوم الخميـس حـادي عشريـن رمضـان بعد الظهـر بـرد كبـار ودام زمانًا كسر أشـياء كثيرة وتوالت الأمطار في رمضان والرعود والبروق.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين رمضان جعل مسجد التوثة جامعًا وأذن في صلاة الجمعة فيه فأقيمت فيه يومئذ ثم عاد الماء في يوم السبت ثالث عشرين رمضان إلى الزيادة الأولى على غفلة، ثم زاد عليها وجاء يومئذ مطر عظيم وغلب الماء فامتلأت الصحراء وضرب الناس الخيم على التلال العالية كتل الزبابية وتل الجعفرية، وقعد الناس ينتظرون دخول الماء إلى البلد وعم الماء السبتي والخيزرانية واسكر أهل أبي حنيفة فجاءهم الماء من خلف المحلـة فنجوا بأطفالهم، وعم المحلة وجامع المهدي فوقعت فيه أذرع، ونبع الماء من دار الخليفـة من مواضع وهدم فيها دور كثيرة ومـلأ السراديب. وانتقل جماعة من الخدم إلى دور في الحريم وامتلأت الصحاري وعبر خلق كثير إلى الكرخ وتقطر السـور وانفتحت فيه فتحات، وكان الناس يعالجون الفتحة فإذا سـدوها انفتحت أخرى، وكثر الضجيج والدعاء والابتهال إلى الله سبحانه وغلا الخبز، وأخذ أصحاب السلطان يقوون القورج ويجتهـدون في سـده وأقامـوا القنا وفي أسـافله الحديـد في المـاء ونقلوا حطبًـا زائدًا عن الحد والماء يغلبهم إلى أن سـده سـكار حاذق في سـابع شوال واسـكر جانب السور لئلا يتمقطر[١٢] (أي لا يتصدع)، وأقام الماء خلف السور نحوًا من شهر ونصب على الخندق الذي خلف السـور جسر يعبر الناس عليه مـن القرى إلى بغداد، وجاءت في هذه الأيام سـفن مـن الموصل فتاهت في الماء حتى بيع ما عليهـا بثمن طفيف، وأخبر أهلها بما تهدم من المنازل بالأمطار في الموصل وقالوا اتصلت عندنا الأمطار أربعة أشـهر فهدمت نحو ألفـي دار، وكانـوا يهدمون الـدار إذا خيف وقوعها فهدموا أكثر ممـا هدم المطر، وكانت الدار تقع على سـاكنيها فيهلك الكل، ثم زادت الفرات زيادة كثيرة وفاضت على سـكر

عندها يقال له «سـكر قنين» وجاء الماء فأهلك من القرى والمزارع الكثير، وبات الناس مدة على التلال يحفظون المحال وقد انبسط الماء فراسخ، ومر خلف المحال ووقع الموتان في الغنم وكان ما يؤتى به سليمًا يكـون مطعونًا حتى بيع الحمل بقيراط، ومرض الناس مـن أكلها، ثم غلـت الفواكه، وغلا الطين الـذي يؤخذ من المقالع وبلـغ الآجر[١٢] كل ألف بثلاثة دنانير ونصف[١٣].

كسوف شديد للشمس

ويورد ابن الأثير في الكامل أنه في رمضان عام ٥٧١هـ انْكَسَـفَتِ الشَّـمْسُ جَمِيعُهَا، وَأَظْلَمَـتِ الأَرْضُ حَتَّـى بَقِيَ الْوَقْتُ كَأَنَّـهُ لَيْلٌ مُظْلِمٌ، وَظَهَـرَتِ الْكَوَاكِبُ، وَكَانَ ذَلِكَ ضَحْوَةَ النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ التَّاسِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، يقول «ابن الأثير»: وَكُنْتُ حِينَئِذٍ صَبِيًّا بِظَاهِرِ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ مَعَ شَيْخٍ لَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ أَقْرَأُ عَلَيْهِ الْحِسَابَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ خِفْتُ خَوْفًا شَـدِيدًا، وَتَمَسَّـكْتُ بِهِ، فَقَوَّى قَلْبِي، وَكَانَ عَالِمًا بِالنُّجُومِ أَيْضًا، وَقَالَ لِيَ: الآنَ تَرَى هَذَا جَمِيعَهُ، فَانْصَرَفَ سَرِيعًا.

القحط يفترس الحياة فى مصر

ويذكر الرحالة «عبد اللطيف البغدادى» فى مشاهداته أثناء زيارته لمصر التى وافقت سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠١ م)، أن هذه السنة دخلت مفترسة أسباب الحياة وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد.

فى تلك السـنة شـهد البغدادي شـهر الصيام فيما ليس له عهد به طول إقامته السابقة في مـصر. يقـول: ووجد في رمضان وبمصر رجل وقد جـردت عظامه عن اللحم فأكل وبقي قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم[١٤].

ويتحـدث البغدادي عن تعلق الفقراء في رمضان بأكل بني آدم حتى أن الناس كانوا يتناقلـون أخبارهـم، ويفيضون في ذلك استفظاعاً لأمره وتعجباً من نـدرة وقوعه، ثم

اشتد قرمهم[١٥] إليه وضراوتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخراً وتفننوا فيه وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له.

وفي ذلك كله لاحظ «عبد اللطيف البغدادى» أن أكثر المتهمين بأكل لحوم الأطفال الصغار كن من النساء، وأرجح ذلك لأنهن أقل حيلة من الرجال وأضعف عن التباعد والاستتار، ولقد أحرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقر أنها أكلت جماعة.

وقد رأى البغدادي فيما رأى امرأة مشجحة الرأس يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوي تأكل منه، وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شئونهم، ولم ير البغدادى فيهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبه منهم أشد وما ذاك إلا لكثرة تكرره على إحساسهم حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق أن يتعجب منه، وكان قد رأى قبل ذلك بيومين صبياً نحو الرهاق مشوياً وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشيه وأكل بعضه»[١٦].

انقلاب القاضي ابن جملة على من سعى له فى توليه القضاء:

ومن حوادث اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة ٧٣٤هـ قضية القاضي ابن جملة.

قال ابن كثير فى (البداية والنهاية): لَمَّا كَانَ فِي العشر الأخير مِنْ رَمَضَانَ وَقَعَ بَيْنَ الْقَاضِي ابْنِ جُمْلَةَ وبين الظهير شيخ مالك الأمراء - وَكَانَ هُوَ السَّفِيرُ فِي تَوْلِيَةِ ابْنِ جُمْلَةَ الْقَضَاءَ - فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا مُنَافَسَةٌ وَمُحَاقَقَةٌ فِي أمور كانت بينه وبين الدوادار[١٧] نَاصِرِ الدِّينِ، فَحَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ منهما على خلاف ما حلف به الآخر عليه، وتفاضلا مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَجَعَ القاضي إلى منزله بالعادلية أرسل إليه الشَّيْخِ الظَّهِيرِ لِيَحْكُمَ فِيهِ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وذلك عن مرسوم النائب، وكأنه خَدِيعَةً فِي الْبَاطِنِ وَإِظْهَارًا لِنُصْرَةِ الْقَاضِي عَلَيْهِ فِي الظَّاهِرِ، فَبَدَرَ بِهِ الْقَاضِي بَادِيَ الرَّأْيِ فَعَزَّرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَتَسَلَّمَهُ

أَعْـوَانُ ابْنِ جُمْلَةَ فَطَافُوا بِهِ الْبَلَدَ عَلَى حِمَارٍ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ سَـابِعَ عِشْرِينَ رَمَضَانَ، وَضَرَبُوهُ ضَرْبًـا عَنِيفًـا، وَنَـادَوْا عَلَيْهِ: هَذَا جَـزَاءُ مَنْ يَكْذِبُ وَيَفْتَـاتُ عَلَى الشَّرْعِ، فَتَـأَلَّمَ النَّاسُ لَهُ لِكَوْنِـهِ فِي الصِّيَـامِ، وَفِي الْعَشْرِ الأخيرة من رمضان، وَهُوَ شَـيْخٌ كَبِيرٌ صَائِـمٌ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ ضُرِبَ يَوْمَئِذٍ أَلْفَيْنِ وَمِائَةً وَإِحْدَى وَسَـبْعِينَ دِرَّةً وَاللهُ أَعْلَمُ، فَمَا أَمْسَـى حَتَّى اسْتُفْتِيَ عَلَى الْقَاضِي الْمَذْكُورِ وَدَارُوا عَلَى الْمَشَايِخِ بِسَبَبِ ذَلِكَ عَنْ مَرْسُومِ النَّائِبِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ تَاسِعِ عِشْرِينَ رَمَضَانَ عَقَدَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ بدار السعادة مجلساً حافلاً بالقضاة وأعيان المفتيين من سائر المذاهب، وأحضر ابن جملة قاضي الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَجْلِسُ قَدِ احْتَفَلَ بِأَهْلِهِ، وَلَمْ يَأْذَنُوا لابْنِ جُمْلَةَ فِي الْجُلُوسِ، بَلْ قَامَ قَائِمًا ثم أجلس بعد سـاعة فِي طَرَفِ الْحَلْقَةِ، إِلَى جَانِبِ الْمِحَفَّةِ الَّتِي فِيهَا الشَّيْخُ الظَّهِيرُ، وَادَّعَى عَلَيْهِ عِنْدَ بَقِيَّةِ الْقُضَاةِ أَنَّهُ حَكَمَ فِيهِ لِنَفْسِهِ، وَاعْتَدَى عَلَيْهِ فِي الْعُقُوبَةِ، وَأَفَاضَ الْحَاضِرُونَ فِي ذَلِكَ، وَانْتَشَرَ الْكَلامُ وَفَهِمُوا مِنْ نَفْسِ النَّائِـبِ الْحَطَّ عَلَى ابْنِ جُمْلَةَ، وَالْمَيْلَ عَنْهُ بَعْـدَ أَنْ كَانَ إِلَيْهِ، فَمَا انْفَصَلَ الْمَجْلِسُ حَتَّى حَكَمَ الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ الْمَالِكِيُّ بِفِسْـقِهِ وَعَزْلِهِ وَسَجْنِهِ، فَانْفَضَّ المجلس عَلَى ذَلِكَ، وَرُسِمَ عَلَى ابْنِ جُمْلَةَ بِالْعَذْرَاوِيَّةِ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْقَلْعَةِ جَزَاءً وِفَاقًا، وَكَانَ لَهُ فِي الْقَضَاءِ سَنَةٌ وَنِصْفٌ إِلا أَيَّامًا، وَكَانَ يُبَاشِرُ الأَحْكَامَ جَيِّدًا.

القبض على رجل غريب التصرف

وفي القاهرة في سـنة ٧٤٢ هـ جرت حادثة غريبة ذكرت في كتاب (النجوم الزاهرة) لابن تغرى بردى؛ مفادها أن رجلا بوارديا يقال له محمد بن خلف بخطّ السّـيوفيّين من القاهرة قبض عليه فى يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحضر إلى محتسب[١٨] القاهرة فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزرازير المملوحة عدّة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين، من ذلك أفراخ حمام بلغ ألف ومائة وستة وتسعين فرخًا. وزرازير بلغت عدّة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد نتنت وتغيّرت أحوالها، فأدّب وشهّر.

وقـد انتهى إيـراد الواقعة دون أن يوضح لنا ابن تغري بـردى السر وراء تخزين هذه الكميـات الكبـيرة من اللحوم الفاسـدة. وهـل كان هذا التاجر يعدها للبيـع أم أنه كان واحدًا من المخبولين.

تمرد في غرناطة ضد السلطان ابن الأحمر

ومن حوادث اليوم الثامن والعشرين من رمضان سنة ٧٥٥هـ حدوث تمرد على السلطان ابن الأحمر صاحب غرناطة. قال المقري التلمساني في (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب): نقلا عن تاريخ ابن خلدون: لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة ونصب ابنه محمد للأمر واستبد عليه رضوان مولى أبيه، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته، فلما عدلوا بالأمر عنه حجبوه ببعض قصورهم، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد، فكان يدعوه سراً إلى القيام بأمره، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان إلى بعض منتزهاته في رياضة، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في أوشاب[١٩] جمعهم من الطغام[٢٠] لثورته، وعمد إلى دار الحاجب رضوان، فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا إلى إسماعيل فرسه وركب، فأدخلوه القصر وأعلنوا بيعته، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء، وفر السلطان من مكانه بمنتزهه، فلحق بوادي آش، وغدا الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه، واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه فخلعه لأشهر من بيعته، واستقل بسلطان الأندلس. ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان، واتصل الخبر بالمولى السلطان أبي سالم، امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعياً لما سلف له في جوارهم، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه، فوصل إلى الأندلس، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب، وكانوا اعتقلوه لأول أمرهم لما كان رديفاً للحاجب رضوان وركناً لدولة المخلوع، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه، فأطلقوه، ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب، وأجاز لذي القعدة من سنته، وقدم على السلطان بفاس، وأجل قدومه، وركب للقائه، ودخل به إلى مجلس ملكه، وقد احتفل ترتيبه، وغص بالمشيخة والعلية، ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرته على أمره، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة، ثم انفض المجلس وانصرف ابن الأحمر إلى نزله، وقد فرشت له القصور، وقربت الجياد بالمراكب الذهبية،

وبعث إليه بالكسا الفاخرة، ورتبت الجرايات له ولمواليه، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل، واستقر في جملته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس، وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين.

إنهاء تمرد عسكري سوري ضد السلطان ابن قلاوون فى مصر

من الحوادث التى استغرقت وقتًا بدأ منذ شهر شعبان سنة ٧٦٢ واستمرت طيلة شهر رمضان من العام ذاته أحداث التمرد العسكرى الواسع، الذى قاده نائب السلطان ابن قلاوون فى دمشق «سيف الدين بيدمر»، بسبب تسلط الوزير يلبغا الناصرى.

الحادثة بالتفصيل أوردها ابن كثير في البداية والنهاية، ومنها نتعرف كثيرًا على الآليات التى كان يستخدمها المماليك فى صراعاتهم.

يقول ابن كثير: كان نَائِبُ السَّلْطَنَةِ فى دمشق الأَمِيرُ «سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ» يضمر فِي نَفْسِهِ عَتَبَ عَلَى أَتَابَكِ[٢١] الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الأَمِيرِ «سيف الدين يلبغا الخاصكى» مُدَبِّرِ الدَّوْلَةِ بِهَا، وَقَدْ تَوَسَّمَ وَتَوَهَّمَ مِنْهُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي صَرْفِهِ عَنِ الشَّامِ، وَفِي نَفْسِ النَّائِبِ قُوَّةٌ وَصَرَامَةٌ شَدِيدَةٌ، فَتَنَسَّمَ مِنْهُ بِبَعْضِ الإِبَاءِ عَنْ طَاعَةِ يَلْبُغَا، مَعَ اسْتِمْرَارِهِ عَلَى طَاعَةِ السُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ إِنِ اتَّفَقَ عُزِلَ مِنْ قِبَلِ يَلْبُغَا، فَعَمِلَ أَعْمَالا وَاتَّفَقَ فِي غُضُونِ هَذَا الْحَالِ مَوْتُ نَائِبِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِدِمَشْقَ وَهُوَ الأمير سيف الدين برناق النَّاصِرِيُّ فَأَرْسَلَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَحَاشِيَتِهِ مَنْ يَتَسَلَّمُ الْقَلْعَةَ بِرُمَّتِهَا، وَدَخَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهَا، وَطَلَبَ الأَمِيرَ زَيْنَ الدِّينِ زُبَالَةَ الَّذِي كَانَ فَقِيهًا ثُمَّ نَائِبَهَا وَهُوَ مِنْ أَخْبَرِ النَّاسِ بِهَا وَبِخَطَّاتِهَا وَحَوَاصِلِهَا[٢٢]، فَدَارَ مَعَهُ فِيهَا وَأَرَاهُ حُصُونَهَا وَبُرُوجَهَا وَمَفَاتِحَهَا وَأَغْلاقَهَا وَدُورَهَا وَقُصُورَهَا وَعُدَدَهَا وَبِرَكَتَهَا، وَمَا هُوَ مُعَدٌّ فِيهَا وَلَهَا، وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ هَذَا الاتفاق فِي هَذَا الْحَالِ، حَيْثُ لَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ لأَحَدٍ مِنَ النُّوَّابِ قَبْلَهُ قَطُّ، وَفُتِحَ الْبَابُ الَّذِي هُوَ تُجَاهَ دَارِ السَّعَادَةِ وَجَعَلَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى الْقَلْعَةِ وَيَخْرُجُ بِخَدَمِهِ وحشمه وأبهته يكشف أَمْرَهَا وَيَنْظُرَ فِي مَصَالِحِهَا.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ خَامِسَ عَشَرَ شَعْبَانَ رَكِبَ فِي الْمَوْكِبِ عَلَى الْعَادَةِ وَاسْتَدْعَى الأَمِيرَ سَيْفَ الدين استدمر الَّذِي كَانَ نَائِبا على الشَّام، وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ كَالْمُعْتَقَلِ فِيهِ، لا يَرْكَبُ وَلا يَرَاهُ أَحَدٌ، فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهِ وَرَكِبَ مَعَهُ، وَكَذَلِكَ الأمراء الَّذِينَ قدموا من الديار المصرية: وَنَزَلَ بِهِمْ كُلِّهِمْ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ كَتِفًا وَاحِدًا، وَعُصْبَةً وَاحِدَةً عَلَى مُخَالَفَةِ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ وَأَنَّهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ عَزْلَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ قَتْلَهُ، وَأَنَّ مَنْ قاتلهم قَاتَلُوهُ، وَأَنَّ السُّلْطَانَ هُوَ ابْنُ أُسْتَاذِهِمُ الْمَلِكُ المنصور بْنُ حَاجِّي بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلاوُونَ، فَطَاوَعُوا كُلُّهُمْ لِنَائِبِ السَّلْطَنَةِ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَلَفُوا لَهُ وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى هَذَا الْحَلِفِ، وَقَامَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ عَلَى عَادَتِهِ فِي عَظَمَةٍ هَائِلَةٍ، وَأُبَّهَةٍ كَثِيرَةٍ.

وَفِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شعبان شَرَعَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ فِي نَصْبِ مَجَانِيقَ عَلَى أَعَالِي بُرُوجِ الْقَلْعَةِ، فَنُصِبَتْ أَرْبَعَةُ مَجَانِيقَ مِنْ جِهَاتِهَا الأَرْبَعِ، ثُمَّ نَصَبَ آخَرَ وَآخَرَ حَتَّى شَاهَدَ النَّاسُ سِتَّةَ مَجَانِيقَ عَلَى ظُهُورِ الأَبْرِجَةِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْقَلْعِيَّةَ وَأَسْكَنَهَا خَلْقًا مِنَ الأَكْرَادِ وَالتُّرْكُمَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ الأَنْجَادِ، وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْغَلاتِ وَالأَطْعِمَةِ وَالأَمْتِعَةِ وَآلاتِ الْحَرْبِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَاسْتَعَدَّ لِلْحِصَارِ إِنْ حُوصِرَ فِيهَا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُرْصَدُ مِنَ الْقِلاعِ، بِمَا يَفُوقُ الْحَصْرَ. وَلَمَّا شَاهَدَ أَهْلُ الْبَسَاتِينِ الْمَجَانِيقَ[٢٣] قَدْ نُصِبَتْ فِي الْقَلْعَةِ انْزَعَجُوا وَانْتَقَلَ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْبَسَاتِينِ إِلَى الْبَلَدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْدَعَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَدِ نَفَائِسَ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ.

هَذَا وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَى الأَمِيرِ نَائِبِ السَّلْطَنَةِ جَمِيعُ أُمَرَاءِ الشَّامِ، ثُمَّ أَحْضَرَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْقُضَاةَ الأَرْبَعَةَ والأمراء كُلَّهُمْ وَكَتَبُوا مَكْتُوبًا سَطَرَهُ بَيْنَهُمْ كَاتِبُ السِّرِّ، فحواه أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِالسُّلْطَانِ كَارِهُونَ لِيَلْبُغَا، وَأَنَّهُمْ لا يُرِيدُونَهُ وَلا يُوَافِقُونَ عَلَى تَصَرُّفِهِ فِي الْمَمْلَكَةِ، وَشَهِدَ عَلَيْهِمُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ، وَأَرْسَلُوا الْمَكْتُوبَ مَعَ مَمْلُوكٍ لِلأَمِيرِ طَيْبُغَا الطَّوِيلِ، نَظِيرِ يَلْبُغَا بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَأَرْسَلَ مَنْجَكَ إِلَى نَائِبِ السَّلْطَنَةِ يَسْتَحِثُّهُ فِي الْحُضُورِ إِلَيْهِ فِي الْجَيْشِ لِيُنَاجِزُوا الْمِصْرِيِّينَ، فَعَيَّنَ نَائِبُ الشَّامِ مِنَ الْجَيْشِ طَائِفَةً يَبْرُزُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَخَرَجَتِ التَّجْرِيدَةُ لَيْلَةَ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ صحبة استدمر الَّذِي كَانَ نَائِبَ الشَّامِ مَدَدًا للأمير مَنْجَكَ فِي عدة أَلْفَيْنِ، وذكر النَّاسُ أَنَّ نَائِبَ السَّلْطَنَةِ بِمَنْ بَقِيَ

مِنَ الْجَيْشِ ذهبوا عَلَى إِثْرِهِمْ، ثُمَّ خَرَجَتْ أُخْرَى بَعْدَهَا ثَلاثَةُ آلافٍ، لَيْلَةَ الثلاثاء الثامن مِنْ رَمَضَانَ كَمَا سَيَأْتِي.

وَفِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ أُحْضِرَ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ ظَاهِرَ بَابِ النَّصْرِ لِيُبَاعَ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَنْدِ وَالْفولاذِ وَالزُّجَاجِ مِمَّا هُوَ فِي حَوَاصِلِ يَلْبُغَا، فَامْتَنَعُوا من ذلك خوفًا من استعادته منهم على تقدير، فضرب بعضهم، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي.

وَخَرَجَتِ التَّجْرِيدَةُ لَيْلَةَ الثُّلاثَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ صحبة ثلاثة مقدمين وَدَخَلَ نَائِبُ طَرَابُلُسَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تُومَانُ إِلَى دِمَشْقَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ عَاشِرِ رَمَضَانَ، فَتَلَقَّاهُ مَلِكُ الأمراء سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمُرُ إِلَى الأقصر، وَدَخَلا مَعًا فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، فَنَزَلَ تُومَانُ فِي الْقَصْرِ الأَبْلَقِ، وَبَرَزَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ إِلَى عِنْدَ قُبَّةِ يَلْبُغَا، هَذَا وَالْقَلْعَةُ مَنْصُوبٌ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقُ، وَقَدْ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَنَائِبُ السَّلْطَنَةِ فِي غَايَةِ التَّحَفُّظِ. وَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الْخَمِيسِ صَمَّمَ تُومَانُ تَمُرُ عَلَى مَلِكِ الأمراء فِي الرَّحِيلِ إِلَى غَزَّةَ لِيَتَوَافَى هُوَ وَبَقِيَّةُ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْجَيْشِ الشَّامِيِّ، وَمَنْجَكُ وَمَنْ مَعَهُ هُنَالِكَ، لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمَرَ بِتَقَدُّمِ السَّبْقِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَخَرَجَ السَّبْقُ وَأَغْلَقَتِ الْقَلْعَةُ بَابَهَا الْمَسْلُوكَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ الْحَدِيثِ، فَاسْتَوْحَشَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ.

وفي يوم الْجُمُعَةِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، صَلَّى نائب السلطنة بِالْمَقْصُورَةِ ونائب طرابلس، ثُمَّ اجْتَمَعَا بِالْخَطَابَةِ فِي مَقْصُورَةِ الْخَطَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ لِدَارِ السَّعَادَةِ ثُمَّ خَرَجَ طُلْبُهُ فِي تَجَمُّلٍ هَائِلٍ عَلَى مَا ذُكِرَ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ فَاسْتَعْرَضَهُمْ ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ فَبَاتَ إِلَى أَنْ صَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ رَكِبَ خَلْفَ الْجَيْشِ هُوَ وَنَائِبُ طَرَابُلُسَ، وَخَرَجَ عَامَّةُ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْجَيْشِ مِنَ الأمراء وبقية الْحَلْقَةِ، وَسَلَّمَهُمُ اللهُ، وَكَذَلِكَ خَرَجَ الْقُضَاةُ، وَكَذَا كَاتِبُ السِّرِّ وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ كُتَّابِ الدَّسْتِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ السَّبْتِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ بِدِمَشْقَ، سِوَى نَائِبِ الْغَيْبَةِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بْنِ حَمْزَةَ التُّرْكُمَانِيِّ، وَقَرِيبِهِ وَالِي الْبَرِّ، وَمُتَوَلِّي الْبَلَدِ الأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ صَدَقَةَ بْنِ أَوْحَدَ، وَمُحْتَسِبِ الْبَلَدِ وَنُوَّابِ الْقُضَاةِ وَالْقَلْعَةُ عَلَى حَالِهَا، وَالْمَجَانِيقُ مَنْصُوبَةٌ كَمَا هِيَ. وَلَمَّا كَانَ صُبْحُ يَوْمِ الأَحَدِ رَجَعَ الْقُضَاةُ بُكْرَةً ثُمَّ رَجَعَ مَلِكُ الأمراء فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ هُوَ وَتُومَانُ تَمُرُ، وَهُمْ كُلُّهُمْ فِي لَبْسٍ وَأَسْلِحَةٍ تَامَّةٍ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا خَائِفٌ مِنَ الآخَرِ أَنْ يُمْسِكَهُ، فَدَخَلَ هَذَا دَارَ السَّعَادَةِ وَرَاحَ

الآخَرُ إِلَى الْقَصْرِ الأَبْلَقِ، وَلَمَّا كَانَ بعد العصر قدم منجك واستدمر، وهما مغلولان قَدْ كَسَرَهُمَا مَنْ كَانَ قَدِمَ عَلَى مَنْجَكَ مِنَ الْعَسَاكِرِ الَّتِي جَهَّزَهَا بَيْدَمُرُ إِلَى مَنْجَكَ قُوَّةً لَهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَمُرَ حَاجِبِ الْحُجَّابِ، وَيُعْرَفُ بِالْمُهَمْنْدَارِ، قَالَ لِمَنْجَكَ كُلُّنَا فِي خِدْمَةِ مَنْ بِمِصْرَ، وَنَحْنُ لا نُطِيعُكَ عَلَى نُصْرَةِ بَيْدَمُرَ، فَتَقَاوَلا ثُمَّ تَقَاتَلا فَهُزِمَ مَنْجَكُ وَذَهَبَ تَمُرُ وَمَنْجَكُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا. وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ مِنْ يَوْمِ الإِثْنِينِ خَامِسَ عشر لم يوجد لتومان تمر وطبترق وَلا أَحَدٍ مِنْ أُمَرَاءِ دِمَشْقَ عَيْنٌ وَلا أثر، فقَدْ ذَهَبُوا كُلُّهُمْ إِلَى طَاعَةِ صَاحِبِ مِصْرَ، وَلَمْ يَبْقَ بِدِمَشْقَ مِنْ أُمَرَائِهَا سِوَى ابْنِ قراسنقر من الأمراء المتقدمين، وسوى بيدمر ومنجك واستدمر، وَالْقَلْعَةُ قَدْ هُيِّئَتْ وَالْمَجَانِيقُ مَنْصُوبَةٌ عَلَى حَالِهَا، وَالنَّاسُ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْ دُخُولِ بَيْدَمُرَ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَيَحْصُلُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ قُدُومِ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ حِصَارٌ وَتَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ عَلَى النَّاسِ.

وَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ نهار الإثنين سادس عَشَرَ دَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي الْقَلْعَةِ وَأُظْهِرَ أَنْ يَلْبُغَا الْخَاصِّكِيَّ قَدْ نَفَاهُ السُّلْطَانُ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ ضُرِبَتْ وَقْتَ الْمَغْرِبِ ثُمَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثُّلاثَاءِ أَيْضًا، وَفِي كُلِّ ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدمر واستدمر مُلْبِسِينَ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى خَارِجِ الْبَلَدِ، ثُمَّ يَعُودُونَ، وَالنَّاسُ فِيمَا يُقَالُ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، ولكن قد شرع إلى تستير القلعة وتهيء الْحِصَارِ. ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْبَشَائِرَ لا حَقِيقَةَ لَهَا، فَاهْتَمَّ فِي عَمَلِ سَتَائِرِ الْقَلْعَةِ وَحَمْلِ الزَّلَطِ والأحجار إليها، وَقَدْ وَرَدَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّ الرِّكَابَ الشَّرِيفَ السُّلْطَانِيَّ وَصُحْبَتَهُ يَلْبُغَا فِي جَمِيعِ جَيْشِ مِصْرَ قَدْ تجاوز غَزَّةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الصَّاحِبُ وَكَاتِبُ السِّرِّ وَالْقَاضِي الشَّافِعِيُّ وَنَاظِرُ الْجَيْشِ وَنُقَبَاؤُهُ وَمُتَوَلِّي الْبَلَدِ وَتَوَجَّهُوا تِلْقَاءَ حَمَاةَ لِتَلَقِّي الأَمِيرِ عَلِيٍّ الَّذِي قَدْ جَاءَهُ تَقْلِيدُ دِمَشْقَ، وَبَقِيَ الْبَلَدُ شَاغِرًا عَنْ حَاكِمٍ فِيهَا سِوَى الْمُحْتَسِبِ وَبَعْضِ الْقُضَاةِ، وَالنَّاسُ كَغَنَمٍ لا رَاعِيَ لَهُمْ، وَمَعَ هَذَا الأَحْوَالُ صَالِحَةٌ والأمور سَاكِنَةٌ، لا يَعْدُو أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فِيمَا بَلَغَنَا، هَذَا وَبَيْدَمُرُ ومنجك واستدمر فِي تَحْصِينِ الْقَلْعَةِ وَتَحْصِيلِ الْعُدَدِ وَالأَقْوَاتِ فِيهَا، والستائر تُعْمَلُ فَوْقَ الأَبْرِجَةِ، وَصَلَّى الأَمِيرُ بَيْدَمُرُ صَلاةَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ الشَّهْرِ فِي الشُّبَّاكِ الْكَمَالِيِّ، فِي مَشْهَدِ عُثْمَانَ، وَصَلَّى عِنْدَهُ مَنْجَكُ إِلَى جَانِبِهِ دَاخِلَ مَوْضِعِ الْقُضَاةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ من الحجبة ولا النُّقَبَاءِ، وَلَيْسَ فِي الْبَلَدِ أَحَدٌ مِنَ الْمُبَاشِرِينَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلا مِنَ الْجُنْدِ إِلا الْقَلِيلُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ سَافَرُوا

إِلَى نَاحِيَةِ السُّلْطَانِ، وَالْمُبَاشِرُونَ إِلَى نَاحِيَةِ حَمَاةَ لِتَلَقِّي الأَمِيرِ عَلِيٍّ نَائِبِ الشَّامِ الْمَحْرُوسِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَلَمْ يَحْضُرِ الصلاة استدمر؛ لأنه كما قيل كان منقطعا أَوْ قَدْ صَلَّى فِي الْقَلْعَةِ.

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ وَصَلَ الْبَرِيدُ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ مِنْ أَبْنَاءِ الرَّسُولِ إِلَى نَائِبِ دِمَشْقَ يستعلم طاعته أو مخالفته، وبعث عليه فيما اعتمده من استحوذ على القلعة ويخطب فيها، وادخر الآلات والأطعمة فيها، وَكَيْفَ تَصَرَّفَ فِي الأَمْوَالِ السلطانية تصرف الملك وَالْمُلُوكِ، فَتَنَصَّلَ مَلِكُ الأمراء مِنْ ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرْصَدَ فِي الْقَلْعَةِ جَنَادِتَهَا وَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهَا، وَأَنَّ أَبْوَابَهَا مَفْتُوحَةٌ، وَهِيَ قَلْعَةُ السُّلْطَانِ، وَإِنَّمَا لَهُ غَرِيمٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ الشَّرْعُ وَالْقُضَاةُ الأَرْبَعَةُ- يَعْنِي بِذَلِكَ يَلْبُغَا- وَكَتَبَ بِالْجَوَابِ وأرسله صحبة البريدي مملوك بقطبه الدويدار، وَأَرْسَلَ فِي صُحْبَتِهِ الأَمِيرَ صَارِمَ الدِّينِ أَحَدَ أمراء العشرات من يوم ذَلِكَ.

وَفِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ شهد انغلاق أَبْوَابُ الْبَلَدِ إِلَى قُرَيْبِ الظهر، وليس ثمة مفتوح سوى باب النَّصْرِ وَالْفَرَجِ، وَالنَّاسُ فِي حَصْرٍ شَدِيدٍ وَانْزِعَاجٍ، وَلَكِنْ قَدِ اقْتَرَبَ وُصُولُ السُّلْطَانِ وَالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ. وَفِي صَبِيحَةِ الأَرْبِعَاءِ أَصْبَحَ الْحَالُ كَمَا كَانَ وَأَزِيدَ، وَنَزَلَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ يَلْبُغَا الْخَاصَّكِيُّ بِقُبَّةِ يَلْبُغَا، وَامْتَدَّ طُلْبُهُ مِنْ سَيْفِ دَارَيَا إِلَى الْقُبَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، وَدَخَلَ بَيْدَمُرُ فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَتَحَصَّنَ بِهَا. وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ اسْتَمَرَّتِ الأَبْوَابُ كُلُّهَا مُغَلَّقَةً سِوَى باب النَّصْرِ وَالْفَرَجِ، وَضَاقَ النِّطَاقُ وَانْحَصَرَ النَّاسُ جِدًّا، وقطع المصريون نهر بانياس وَالْفَرْعَ الدَّاخِلَ إِلَيْهَا وَإِلَى دَارِ السَّعَادَةِ مِنَ الْقَنَوَاتِ، وَاحْتَاجُوا لِذَلِكَ أَنْ يَقْطَعُوا الْقَنَوَاتِ لِيَسُدُّوا الْفَرْعَ الْمَذْكُورَ، فَانْزَعَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِذَلِكَ وَمَلَئُوا ما في بيوتهم من برك المدارس، وَبِيعَتِ الْقِرْبَةُ بِدِرْهَمٍ، وَالْحُقُّ بِنِصْفٍ، ثُمَّ أُرْسِلَتِ الْقَنَوَاتُ وَقْتَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمَئِذٍ، فَانْشَرَحَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ يَوْمَ الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بِزَمَانٍ، فَأَرْسَلَ يَلْبُغَا مِنْ جِهَتِهِ أَرْبَعَةَ أُمَرَاءَ فَدَخَلُوا الْبَلَدَ وَكَسَرُوا أَقْفَالَ أَبْوَابِ الْبَلَدِ، وَفَتَحُوا الأَبْوَابَ، فَلَمَّا رَأَى بَيْدَمُرُ ذَلِكَ أَرْسَلَ مَفَاتِيحَ الْبَلَدِ إِلَيْهِمْ.

وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وصل السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ إِلَى الْمَصْطَبَةِ غَرْبِيَّ عَقَبَةِ سُجُورَا فِي جَحَافِلَ عَظِيمَةٍ كَالْجِبَالِ، فَنَزَلَ عِنْدَ الْمَصْطَبَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى عم ابنته الْمَلِكِ الأَشْرَفِ خَلِيلِ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلاوُونَ، وَجَاءَتِ الأمراء وَنُوَّابُ الْبِلادِ لِتَقْبِيلِ يَدِهِ وَالأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَنَائِبِ حَلَبَ، وَنَائِبِ حَمَاةَ، وَهُوَ الأَمِيرُ عَلاءُ الدِّينِ الْمَارِدَانِيُّ، وكان قَدْ عُيِّنَ لِنِيَابَةِ دِمَشْقَ، وكتب بتقليده بِذَلِكَ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحَمَاةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ خَلَعَ عَلَى الأَمِيرِ عَلاءِ الدِّينِ عَلِيِّ الْمَارِدَانِيِّ بِنِيَابَةِ دِمَشْقَ، وَأُعِيدَ إِلَيْهَا عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ، ثُمَّ هَذِهِ الْكَرَّةُ الثَّالِثَةُ، وَقَبَّلَ يَدَ السُّلْطَانِ وَرَكِبَ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْبَلَدِ لِتَهْنِئَتِهِ، هَذَا وَالْقَلْعَةُ مُحَصَّنَةٌ بِيَدِ بَيْدَمُرَ، وَقَدْ دَخَلَهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ واحتمى بها، هو ومنجك واستدمر وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الأَعْوَانِ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ طَلَبَ قُضَاةُ الْقُضَاةِ وَأُرْسِلُوا إِلَى بَيْدَمُرَ وَذَوِيهِ بِالْقَلْعَةِ لِيُصَالِحُوهُ عَلَى شيء ميسور يشترطونه.

ولَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ أُرْسِلَ قُضَاةُ الْقُضَاةِ وَمَعَهُمُ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ ابْنُ قَاضِي الْجَبَلِ الْحَنْبَلِيُّ، وَالشَّيْخُ سِرَاجُ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ الْحَنَفِيُّ، قَاضِي الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ لِلْحَنَفِيَّةِ، إِلَى بَيْدَمُرَ وَمَنْ مَعَهُ لِيَتَكَلَّمُوا مَعَهُمْ فِي الصُّلْحِ لِيَنْزِلُوا عَلَى مَا يَشْتَرِطُونَ قَبْلَ أن يشرعوا في الحصار، وَأُحْضِرَ مِنْ رِجَالِ النَّقَّاعِينَ نَحْوٌ مِنْ سِتَّةِ آلافِ رَام فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ الْقُضَاةُ وَمَنْ مَعَهُمْ وَأَخْبَرُوهُ عَنِ السُّلْطَانِ وَأَعْيَانِ الأُمَرَاءِ بِأَنَّهُمْ قَدْ كَتَبُوا لَهُ أَمَانًا إِنْ أَنَابَ إِلَى الْمُصَالَحَةِ، فَطَلَبَ أَنْ يَكُونَ بِأَهْلِهِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَطَلَبَ أَنْ يُعْطَى مَنْجَكُ كَذَا بِنَاحِيَةِ بلاد سيس ليسترزق هنالك، وطلب استدمر أن يكون باشمقدارا للأمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبُغَا الْخَاصِّكِيِّ. فَرَجَعَ الْقُضَاةُ إِلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُمُ الأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ جِبْرِيلُ الْحَاجِبُ كَانَ، فَأَخْبَرُوا السُّلْطَانَ والأمراء بِذَلِكَ، فَأُجِيبُوا إليه، وَخَلَعَ السُّلْطَانُ والأمراء عَلَى جِبْرِيلَ خِلَعًا، فَرَجَعَ فِي خدمة القضاة ومعهم الأمير استبغا بْنُ الأَبُو بَكْرِيُّ، فَدَخَلُوا الْقَلْعَةَ وَبَاتُوا هُنَالِكَ كُلُّهُمْ، وَانْتَقَلَ الأَمِيرُ بَيْدَمُرُ بِأَهْلِهِ وَأَثَاثِهِ إِلَى دَارِهِ بِالْمُطَرِّزِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الإثنين التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ خَرَجَ الأمراء الثَّلاثَةُ مِنَ الْقَلْعَةِ وَمَعَهُمْ جِبْرِيلُ، فَدَخَلَ الْقُضَاةُ وَسَلَّمُوا الْقَلْعَةَ بِمَا فيها من الحواصل إلى الأمير استبغا بن الأبو بكرى.

ولَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ يَوْمِ الإثنين التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ رَجَعَ الْقُضَاةُ إِلَى الْوِطَـاقِ الشَّرِيفِ، وَفِي صُحْبَتِهِمُ الأمراء الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَلْعَةِ، وَقَدْ أَعْطُوا الأَمَانَ مِنْ جِهَةِ السُّـلْطَانِ وَمَنْ مَعَهُمْ وَذَوِيهِمْ، فَدَخَلَ الْقُضَـاةُ وَحُجِبَ الأمراء الْمَذْكُورُونَ، فَخُلِعَ عَـلَى الْقُضَاةِ الأَرْبَعَةِ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ مَجْبُورِيـنَ، وَأَمَّا الأمراء الْمَذْكُورُونَ فَإِنَّهُمْ أُرْكِبُوا عَلَى خَيْلٍ ضَعِيفَةٍ، وَخَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وسـاقي أخذ بوسـطه قبل، وفي يد كل واحد مـن الوسـاقية خِنْجَرٌ كَبِيرٌ مَسْـلُولٌ لِئَلا يَسْـتَنْقِذَهُ مِنْهُ أَحَدٌ فيقتله بهـا، فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم الَّتِي قَدْ لَبِسَـتْهُمْ، وَقَدْ أَحْدَقَ النَّاسُ بِالطَّرِيقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقَامَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يُقَارِبُونَ الْمِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا، فَرَأَى النَّاسُ منظرًا فظيعًا، فدخل بهم الوساقية إِلَى الْمَيْدَانِ الأَخْضَرِ الَّذِي فِيهِ الْقَصْرُ، فَأُجْلِسُوا هُنَالِكَ، وَأُرْسِلَتِ الجيوش داخلـة إلى دمشـق أطلابـا في تجمل عظيم، ولبس الحـرب بنهر النصر وَخُيُولٍ وَأَسْـلِحَةٍ وَرِمَاحٍ، ثُمَّ دَخَلَ السُّـلْطَانُ فِي آخِرِ ذَلِكَ كُلِّهِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِزَمَنٍ، وَعَلَيْهِ من أنواع الملابس قباز بخاري، وَالْقُبَّةُ وَالطَّيْرُ يَحْمِلُهُمَا عَلَى رَأْسِـهِ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تُومَانَ تَمُرٌ، الَّذِي كَانَ نَائِبَ طَرَابُلُسَ، والأمراء مُشَـاةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْبُسُـطُ تَحْتَ قَدَمِي فَرَسِهِ، وَالْبَشَائِرُ تُضْرَبُ خَلْفَهُ فَدَخَلَ الْقَلْعَةَ الْمَنْصُورِيَّةَ، وَرَأَى مَا قَدْ أُرْصِدَ بِهَا مِنَ الْمَجَانِيقِ وَالأَسْـلِحَةِ، فَاشْـتَدَّ حَنَقُـهُ عَلَى بَيْدَمُـرَ وَأَصْحَابِهِ كَثِـيرًا، وَنَزَلَ الطَّارِمَـةَ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيـرِ الْمَمْلَكَةِ وَوَقَفَ الأمراء وَالنُّوَّابُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الثُّلاثَاءِ سَـلْخَ الشَّـهْرِ نُقِلَ الأمراء الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِيمَا كَانُوا أَبْرَمُوهُ مِنْ ضَمِيرِ سُوءٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الْقَلْعَةِ فَأُنْزِلُوا فِي أَبْرَاجِهَا مُهَانِينَ مُفَرَّقًا بَيْنَهُمْ، بَعْدَ مَا كَانُوا بِهَا آمِنِينَ حَاكِمِينَ، أَصْبَحُوا مُعْتَقَلِينَ مهانين خائفـين، فجاروا بَعْـدَ مَا كَانُوا رُؤَسَـاءَ، وَأَصْبَحُوا بَعْدَ عِزِّهِـمْ أذلاء، ونقبت أصحاب هـؤلاء وَنُودِيَ عَلَيْهِـمْ فِي الْبَلَدِ، وَوُعِدَ مَنْ دَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِـمَالٍ جَزِيلٍ، وَوِلايَةِ إِمْرَةٍ بِحَسَـبِ ذَلِكَ، وَرُسِـمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى الرئيس أمين الدين ابن الْقَلانِسِيِّ كَاتِبِ السِّرِّ، وَطُلِبَ مِنْهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَسُـلِّمَ إِلَى الأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ زُبَالَةَ نَائِبِ الْقَلْعَةِ، وَقَدْ أُعِيدَ إِلَيْهَا وَأُعْطِيَ تَقْدِمَةَ ابْنِ قَرَا سُنْقُرَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ إِلَى أَنْ يَزِنَ هَذَا الْمَبْلَغَ، وَصَلَّى السُّلْطَانُ وَأُمَـرَاؤُهُ بِالْمَيْـدَانِ الأَخْضَرِ صَـلاةَ الْعِيدِ، ضُرِبَ لَهُ خَامٌ عَظِيـمٌ وصلى به خطيبا القاضي

تاج الدين الساوي الشافعيّ، وَدَخَلَ الأمراء مَعَ السُّلْطَانِ لِلْقَلْعَةِ مِنْ بَابِ الْمَدْرَسَةِ، وَمَدَّ لَهُمْ سِمَاطًا هَائِلا أَكَلُوا مِنْهُ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ، وحمل الطير فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى رَأسِ السُّلْطَانِ الأمِيرُ عَلِيٌّ نَائِبُ دِمَشْق، وَخُلِعَ عَلَيْهِ خِلْعَةٌ هَائِلَةٌ.

وَفِي هَذَا الْيَوْم مُسِكَ الأمِيرُ تُومَانُ تَمُرُ الَّذِي كَانَ نَائِبَ طَرَابُلُس، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى بَيْدَمُرَ، فَكَانَ مَعَهُ، ثُمَّ قَفَلَ إِلَى الْمِصْرِيِّينَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ فَعَذَرُوهُ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَدَخَلَ وهو حامل الخبز عَلَى رَأسِ السُّلْطَانِ يَوْمَ الدُّخُولِ، ثُمَّ وَلَّوْهُ نِيَابَةَ حِمْص، فَصَغَّرُوهُ وَحَقَّرُوهُ، ثُمَّ لَمَّا اسْتَمَرَّ ذَاهِبًا إِلَيْهَا فَكَانَ عِنْدَ الْقَابُونِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَمْسَكُوهُ وَرَدُّوهُ، وَطُلِبَ مِنْهُ الْمِائَةَ أَلْفِ الَّتِي كَانَ قَبَضَهَا مِنْ بَيْدَمُرَ، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى نِيَابَةِ حِمْص.

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ اشْتَهَرَ الْخَبَرُ بِأَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ بِمِصْرَ مِنْ طَوَاشِيَّةٍ[٢٤] وخاصكية[٢٥] ملكوا عليهم حسين النَّاصِرِ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَاقْتَتَلُوا، وَأَنَّ الأمْرَ قَدِ انْفَصَلَ وَرُدَّ حُسَيْنٌ لِلْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ مُعْتَقَلا فِيهِ. وبذلك انتهى التمرد دون إراقة دماء.

دولات خجا يعين واليا على القاهرة

ومن حوادث اليوم السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٤١ هـ تعيين السلطان الأشرف لرجل يعرف بـ (دولات خجا) واليًا على القاهرة.

قال ابن تغري فى (النجوم الزاهرة) والمقريزى فى (السلوك فى معرفة الدول والملوك): إن السلطان خلع على دولات خجا الظاهرىّ باستقراره والى القاهرة عوضًا عن التاج الشّوبكى وأخيه عمر، ودولات خجا هو أحد أصاغر المماليك الظاهرية برقوق ومن شرارهم، وكان وضيعًا تركى الجنس، كثير الشرّ، يمشى على قدميه بالأسواق فى بعض الأحيان، وكان الملك الأشرف يعرفه أيام جنديّته ويتوقى شرّه، فلما تسلطن ولاه الكشوفيّة ببعض النواحى، فأباد أهل تلك الناحية، ثم ولاه الكشف بالوجه القبلى فتنوّع فى عذاب أهل الفساد وقطّاع الطريق أنواعًا كثيرة، منها: أنه كان إذا قبض على الحرامى أمسكه ونفخ بالكير فى دبره حتى تندر عيناه وينفلق دماغه، ومنها أنه كان يعلّق الرجل منكسًا ولا يزال يرمى عليه بالنشّاب إلى أن يموت، وأشياء كثيرة من ذلك،

فلـما ولى الو لايـة بالقاهرة أوّل ما بدأ به أنه أفرج عن جميـع أرباب الجرائم من المحبوس، وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهم وقد سرق ليوسـطنّه، وأرهب إرهابًا عظيمًا، وصار يركـب فى الليـل ويطوف بحرمـة زائدة عن الحد، وصـدق فى يمينه فى السّرّاق فما وقع له سـارق ممن أطلقه- وقد كتب أسماءهم عنده - إلا وسّطه، فذعر أهل الفسـاد منه، وانكفّوا عن السّرقة، ثم أخذ فى التضييق على الناس وإلزامهم بإلزامات منها: أنه أمرهم بكنس الشوارع ثم رشّها بالماء، وبتعليق كل سوقى قنديلا على دكّانه، وعاقب على ذلك خلائق، ثم منع النسـاء من الخروج إلى التّرب فى أيّام الجمع، وأشـياء كثيرة إلى أن سئمته الناس وعزله الأشرف عنهم.

ثبوت رؤية الهلال صباحًا

وفي أحداث شـهر رمضان سـنة ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٣ م، زمـن الأشرف قايتباي، يذكر «ابن إياس» أنه قد نودي بالصوم بعد صحوة النهار وكان أول أيام رمضان، وقد ثبتت رؤية الهلال بعد ثلاثين درجة، وقد أكل غالب الناس في ذلك اليوم لا سيما العوام، فثقل عليهم الإمساك في ذلك اليوم بعد الإفطار.

العيد بأمر السلطان

ومـن النـوادر الغريبـة التـى أوردهـا ابن إيـاس أيضًـا، ما حـدث في اليوم التاسـع والعشريـن من رمضان عام ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٧ م، زمن الناصر محمد بن قايتباي، إذ أمر بأن تدق أجراس القلعة، وقال أنا أعمل العيد يوم الغد هذا الشـهر إن رأوا الهلال أو لم يروا الهلال، فلما أشيع ذلك بين الناس ركب قاضي القضاة الشافعي «زين الدين زكريا» وطلع إلى القلعة فاجتمع بالسلطان وعرفه أن العيد لا يكون إلا برؤية الهلال فشق ذلك على السـلطان وهمَّ بعزل القاضي في ذلك اليوم..!! فلما دخل الليل لم يُر الهلال في تلك الليلـة وجـاء يـوم الجمعة بدلاً من الخميس، وكان السـلطان الناصر قـد تطير من العيد أن يجـيء يـوم جمعة ـ فكان ذلـك على رغم أنفه ـ ولم يخرج السـلطان إلى صلاة العيد ولم يستقبل الخليفة أو أياً من الأمراء والوجهاء الذين طلعوا إلى القلعة لتهنئته بالعيد[٢٦].

خلاف بين القاضي والوالى حول رؤية الهلال

وعن تأثيرات السياسة فى تحديد مطالع الشهور، ما أورده «الجبرتى» فى العجائب من أحداث اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان عام ١٢١٩ هـ، الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م، حيث حضر صالح أغا وصحبته جانم أفندي الدفتردار ونزلا عند الباشا بالقلعة وذكر جانم أفندي ومن معه للباشا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة الإثنين وصاموا بالإسكندرية بدءًا من ذلك اليوم وكذلك صاموه في رشيد وفوه وغالب بلاد بحرى، وكان الشيخ سليمان الفيومي قد حضر أيضًا قبل ذلك بأيام وحكى نفس الحكاية فلم يعمل به القاضي، وقال: إن رؤى الهلال ليلة الأربعاء أفطرنا وأن لم ير فهو من رمضان، فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ضربت مدافع من القلعة فاشتبه على الناس الأمر وذهب جماعة إلى القاضي وسألوه فقال: لا علم لي بذلك وأرسل في المساء جماعة من أتباعه وباش كاتب إلى منارة المارستان فصعدوا إليها وطلع معهم آخرون وترقبوا رؤية الهلال فلم يروه وأخبروا القاضي بذلك فأمر بالصوم ونادوا به وأوقدوا المنارات والقناديل وصلوا التراويح بالمساجد، وتحقق الناس الصيام من الغد، فلما كان بعد العشاء الأخيرة ضربت مدافع كثيرة من القلعة وسواريخ وشنك فوقع الارتباك فأرسل القاضي ينادي بالصوم وذكروا أن هذا المسموع شنك لأخبار وردت بملك المنية وحضر المبشر بذلك لابن السيد أحمد المحروقي وخلع عليه خلعة وكذلك بقية الأعيان، وبعد حصة من الوقت مر الوالي ينادي بالفطر والعيد فزاد الارتباك وركب بعض المشايخ إلى القاضي وسألوه فأخبر أنه لم يأمر بذلك ولم يثبت لديه رؤية الهلال وأن غدا من رمضان فخرجوا من عنده يقولون ذلك للناس ويأمرونهم بالصوم وانحط الأمر على ذلك وطافت المسحرون على العادة، فلما كان في سادس ساعة من الليل أرسل الباشا إلى القاضي وطلبه فطلع إليه فعرفه بشهادة الجماعة الواصلين من بحري وأحضرهم بين يديه فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الإثنين وهم نحو العشرين شخصًا فما وسع القاضي إلا قبول شهادتهم وخصوصًا لكونهم أتراكًا ونزل القاضي ينادي بالفطر ويأمر بطفي القناديل من المنارات وأصبح كثير من الناس لا علم له بما حصل آخرا في جوف الليل، وبالجملة فكانت هذه الحادثة من النوادر، وتبين أن خبر المنية لا أصل له بل هو من جملة اختلاقاتهم، على حسب تعبير «الجبرتى».

مطر وبَرَد عجيبان في القاهرة

جاء في (عجائب الآثار) في حوادث سنة ١٢٢٣ هـ، أنه في السابع والعشرين من رمضان في هذه السنة غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى، وذلك من أطراف القاهرة، وأمطرت برداً في مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر، فهدمت دوراً وأصابت أنعاماً، وتسببت في خسائر واسعة غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدري.

فتنة في دار الخلافة العثمانية باستانبول

ومن حوادث اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٢٣هـ الفتنة العظيمة التي وقعت في دار الخلافة العثمانية في أواخر أيامها.

جاء في عجائب الآثار، أن مصطفى باشا البيرقدار[٢٧] كان قد زادت سطوته وبات يتحكم في أمور الدولة العثمانية، فقد دبر لقتل السلطان سليم وتولية السلطان محمود وخذل جنود الحماية وسعى في قتلهم ونفيهم، أما من استمر منهم تحت إمرته، فقد أجمعوا أمرهم ومكروا مكرهم، ومنهم من حذر مصطفى باشا مما يكاد له فلم يكترث بذلك واستهون أمرهم واحتقر جانبهم، ثم أنهم تحزبوا وحضروا إلى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان وجماعته وطائفته متفرقون في أماكنهم فحرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من أتباعه وهرب من هرب، واختفى مصطفى باشا في سرداب فلم يجدوه وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب وخاف السلطان محمود؛ لأن سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ففتح باب السراية التي بناحية البحر وأرسل يستعجل قاضي باشا بالحضور وكذلك قبطان باشا فحضرا إلى السراية، واشتدت الحرب بين الفريقين وأكثر الينكجرية[٢٨] من الحريق في البلدة حتى احرقوا منها جانبًا كبيرًا فلما عاين السلطان ذلك هاله وخاف من عموم حريق البلدة وهو ومن معه محصورون بالسراية يومًا وليلة فلم يسعه إلا تلافي الأمر فراسل كبار الينكجرية وصالحهم، وأبطلوا الحرب وشرعوا في إطفاء الحريق وخرج قاضي باشا هاربًا وكذلك قبودان باشا. ثم إنهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان، الذي اختفى فيه

ميتا من تحت الردم وسحبوه من رجليه إلى خارج وعلقوه في شجرة ومثلوا به وأكثروا على رمته من السخرية.

شهادة كاذبة في هلال شوال

ومن حوادث اليوم التاسع والعشرين من رمضان سنة ١٢٩٢ هـ نادرة غريبة حدثت فى المغرب أبطالها جماعة من شُهُود اللفيف[٢٩]، وكان عددهم اثنى عشر رجلا؛ جاءوا إلى القاضي أبي عبد الله بن إِبْرَاهِيم لَيْلَة التَّاسِع وَالْعِشْرين من رَمَضَان، وشهدوا عِنْده أنهم رَأَوْا هِلال شَوَّال بعد الْغُرُوب رُؤْيَة مُحَقّقَة لم يلحقهم فِيهَا شك وَلا رِيبَة فَسمع القَاضِي شَهَادَتهم وسجلها وَكتب للسُّلْطَان بذلك وَهُوَ بقرميم فارتحل السُّلْطَان فِي جَوف اللَّيْل وَدخل دَاره وَأصْبح من الْغَد معيدًا وَعِيد أهل العدوتين وأعمالها والجم الْغَفِير من أهل الْمغرب الَّذين حَضَرُوا مَعَ السُّلْطَان وَلما كَانَ ظهر ذَلِك الْيَوْم وَهُوَ التَّاسِع وَالْعشْرُونَ من رَمَضَان حقق الفلكيون من أهل الدولة أن الْعِيد لا يُمكن فِي ذَلِك الْيَوْم وَتَكَلَّمُوا بذلك وفاهوا بِهِ فَكثر الْكَلام بذلك، وَكَانَ جلّ النَّاس على شكّ أَيْضًا وَلما حَان وَقت الْغُرُوب ارتقب النَّاس الْهلال وَالسَّمَاء مصحية لَيْسَ فِيهَا قزعة[٣٠] فَلم يرَوا لَهُ أثرا فَأمر السُّلْطَان بالنداء وَأن النَّاس يُصْبِحُونَ صياما، لأن رَمَضَان ما زَالَ فصَام النَّاس من الْغَد وَبعد ذَلِك ظهر الْهلال ظهورًا مُعْتَادًا وَتبين كذب الشُّهُود فسجنوا ثمَّ سرحوا بعد حِين[٣١]. (انظر: استطلاع هلال شهر رمضان).

الهوامش

(١) مصطفى عبد الرحمن: رمضانيات، ص٩.

(٢) الفراء: الأيام والليالي والشهور.

(٣) عباس محمود العقاد: رمضان .. وليلة القدر، مجلة الهلال، رمضان ١٩٦٠ م.

(٤) شوقي على هيكل: رمضان في اللغة، مجلة الفنون الشعبية، ع ٥٤- ٥٥، يناير - يونية- ١٩٩٧م

(٥) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية.

(٦) روى الطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان. وعند ابن كثير في البداية والنهاية أن الزبور نزل على داود عليه السلام في اثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان.

(٧) قد توجد نسبة ضئيلة لحدوث الخطأ في التحويل، تقدر بيوم واحد فقط، نتيجة لاختلاف بداية شهر رمضان من دولة إلى أخرى فى بعض الأعوام، إضافة إلى تعدد الطرق الرياضية لتحويل التاريخ، مما قد ينتج عنه بعض الاختلاف فى تقريب الأيام، وقد اعتمدنا فى مقابلة التواريخ هنا على أحد البرامج الإلكترونية، الذى وجدنا أنه يتفق مع التجارب الرياضية التقليدية، وقمنا بمضاهاته على ما قام به - فى هذا الصدد- د. محمد حلمى محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عند تحقيقه لكتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» للمقريزى، طبعة هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٩.

(٨) الربض: تعني الضاحية ويطلق أيضًا على الحي، والجمع أرباض.

(٩) الثُلْمَةُ: فجوة في الحائط.

(١٠) الرخمة: طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة.

(١١) الجامكية: الجراية والرواتب المقررة.

(١٢) يتمقطر: المِقْطَرَةُ هي الفَلَقُ، وهي خشبة فيها خروق، كل خرق على قدرِ سَعَةِ الساق. (لسان العرب).

(١٣) الآجر: طوب البناء.

(١٤) ابن الجوزى: المنتظم

(١٥) القرم، أى شدة الشهوة إلى اللحم.

(١٦) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص٩٦- ٩٧.

(١٧) الدوادار: حامل دواة السلطان. من وظائفه إبلاغ الرسائل عن السلطان.

(١٨) المحتسب: هذه الوظيفة كانت تعنى بالتفتيش على الأسواق ومراقبة الموازين وأمانة البيع والشراء.

(١٩) الأَوْشابُ: الأَخلاطُ من الناس والأَوْباشُ، واحدُهم وِشْبٌ. يقال: بها أَوباشٌ من الناس، وأَوْشابٌ من الناس، وهم الضُّروبُ الـمُتَفَرِّقون. (لسان العرب).

(٢٠) الطَغامُ: أوغاد الناس.

(٢١) الأتابك: تعني الأب الأمير وهو أمير الجيوش أي القائد العام للجيش. وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد نائب السلطنة. ويدعى أيضاً أتابك العساكر ولم تكن له صلاحيات أمر ونهي. (شهاب الدين الخفاجي. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل).

(٢٢) الحواصل: أماكن التخزين والمفرد حاصل.

(٢٣) المجانيق: جمع المَنْجَنِيقُ وهو آلةٌ قديمةٌ من آلات الحصار، كانت تُرمى بها حجارةٌ ثقيلة على الأسوار فتهدمها

(٢٤) الطواشية هم العبيد الذي كان يُقطع لهم عضو الذكورة في طفولتهم ويكلفونه بالخدمة في أجنحة سكن حريم السلاطين والخلفاء والأمراء وكثير من هؤلاء الطواشية وصلوا إلى مناصب مهمة في البلاط والجيش.

(٢٥) الخاصكية: أقرب المماليك السلطانية إلى السلطان. وهم الحرس الشخصي له. وكانوا يسوقون المحمل الشريف. وأحيانًا يشير اللقب إلى مماليك ينتمون إلى فئة واحدة تلتف حول أحد كبار الأمراء. (شهاب الدين الخفاجي. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل).

(٢٦) حسين المصري: رمضان زمان، جريدة البديل، ٧/ ٩/ ٢٠٠٨، و قاسم عبده قاسم: رمضان أقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربى، العدد ٦٣٣ - ٨/٢٠١١.

(٢٧) البيرقدار: هو لقب لرتبة عسكرية في الجيش العثماني ويتكون من كلمتين وهى البيرق (العلم أو الراية) ملحقة بكلمة دار التي تلحق بألقاب المهن .

(٢٨) الينكجرية: فرق الحماية الخاصة بالسلطة.

(٢٩) فى لسان العرب: اللَّفِيفُ هم القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً. وشهود اللفيف هم جماعة من الشهود يؤتى بهم من مكان واحد أو من عدة مناطق بشرط أن يكونوا جميعًا شهدوا نفس الواقعة، وقد جرى العمل على تحديدهم في اثني عشر رجلا .

(٣٠) القزعة: السحابة أو قطعة من الغيم.

(٣١) انظر: الناصري في (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى).

أيام مخصوصة

- يوم الشك
- ليلة القدر
- الجمعة اليتيمة
- يوم الوقفة

يوم الشك

هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان، ويحدث فيه الشك، فإما قد يكون مكملا لشهر شعبان (ثلاثون يوما) وإما أن يكون بداية أيام رمضان. وقد نهي الرسول صلي الله عليه وسلم عن صيامه.

وهذه المسألة فيها ثلاثة أحاديث شريفة:

الأول: عن صِلَةَ بْنِ زُفَرَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، فَأُتِيَ بِشَاةٍ مَصْلِيَّةٍ فَقَالَ: "كُلُوا"، فَتَنَحَّى بَعْضُ القوم فقال: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشُكُّ فِيهِ النَّاسُ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم، وقال الترمذي: "حَدِيثُ عَمَّارٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والعمل على هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَبِهِ يَقُولُ سفيان الثوري وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ المبارك والشافعي وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ؛ كَرِهُوا أَنْ يَصُومَ الرجل اليوم الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، وَرَأَى أَكْثَرُهُمْ إِنْ صَامَهُ فَكَانَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَنْ يَقْضِيَ يَوْمًا مَكَانَهُ".

والثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ) رواه الجماعة، قال الترمذي: "حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عند أهل الْعِلْمِ؛ كَرِهُوا أَنْ يَتَعَجَّلَ الرَّجُلُ بِصِيَامٍ قَبْلَ دخول شهر رَمَضَانَ لِمَعْنَى رَمَضَانَ، وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يَصُومُ صومًا فوافق صِيَامُهُ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ بِهِ عِنْدَهُمْ".

والثالث: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ) متفق عليه.

وبناءً على ذلك فقد اختلف العلماء في تحديد يوم الشك:

فعند جمهور العلماء من الحنفية والشافعية: يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان إذا تَحَدَّث الناس بالرؤية ولم تثبت، أو شهد بها من ردت شهادته لفسقٍ ونحوه، فإن لم يتحدَّث بالرؤية أحدٌ فليس يومَ شكٍّ حتى لو كانت السماء مُغيمة؛ وذلك عملا بظاهر قول عمار بن ياسر رضي الله عنه: "الَّذِي يشك فيه النَّاسُ" من غير التفات إلى وجود غيمٍ أو انتفائه.

أما المالكية فإنهم يجعلون مناط الشك هو الغيم، فلو كانت السماء مُصْحِيَة فليس يومَ شكٍّ؛ لأنه إن لم يُرَ الهلالُ كان من شعبان جزمًا، ويجعلون قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ» تفسيرًا ليوم الشك، واعترض ذلك ابن عبد السلام من المالكية بأن قوله عليه الصلاة والسلام: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ» -أي: أكملوا عدة ما قبله ثلاثين يومًا- يدل على أن صبيحة الغيم من شعبان جزمًا.

ويقابلهم الحنابلة الذين يوافقون الجمهور، لكنهم يرون في ظاهر المذهب عندهم أن وجود الغيم ينفي كونَه يومَ شكٍّ؛ لأنه حينئذ يُعَدُّ من رمضان، ويجعلون قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ» مسوقًا لبيان التفرقة بين حكم الصحو والغيم؛ فإذا كانت رؤية الهلال شرطًا للصوم في الصحو فالمغايرة تقتضي عدم كون الرؤية شرطًا في الغيم، ومعنى «فَاقْدُرُوا لَهُ» عندهم: أي: فضيِّقوا له وقدِّروه تحت السحاب؛ عملًا بمذهب راوي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذلك.

وتواردُ رواياتِ الحديث الصحيحة الصريحة على تفسير «فَاقْدُرُوا لَهُ» بإكمال عدة شعبانَ ثلاثين يرجح مذهب الجمهور في ذلك؛ حملًا للمطلق على المقيَّد، والسُّنَّة هي أَوْلى ما تُبَيِّنُ به السُّنَّة، ولذلك اختار كثير من محققي الحنابلة والمالكية مذهب الجمهور،

قـال الإمـام النووي في المجموع: "فالصواب ما قاله الجمهور، وما سـواه فاسـد مردود بصرائح الأحاديث السابقة".

أما حكم صوم يوم الشك فله حالتان:

الأولى: أن يُصام عـن رمضان بنية الاحتيـاط له، فهذا هو المـراد بالنهي عند جمهور العلماء، ثـم منهـم مـن جعله حرامًـا لا يصح صومـه كأكثر الشـافعية، ومنهـم من رآه مكروهًـا كالحنفيـة والمالكيـة والحنابلة، فإن ظهر أنـه من رمضان أجـزأه عند الليث بن سعد والحنفية، ولم يجزئه عند المالكية والشافعية والحنابلة.

وهـذا عنـد الحنابلـة في غير يوم الغيـم؛ فأما يوم الغيـم فإنهم أوجبـوا صيامه عن رمضــان في ظاهـر الرواية عندهم ولم يجعلوه يومَ شـك؛ عملًا بمذهـب راوي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما سبق، وللإمام أحمد رواية أخرى توافق الجمهور أخذ بهـا كثير من محققيهم؛ لتوارد الروايات الصحيحـة الصريحة على ذلك، حتى قال الإمام ابـن تيمية الحنبلي رحمه الله تعـالى -فيما نقله عنه الحافظ ابن عبد الهادي الحنبلي في "تنقيح التحقيـق"-: "الَّذِي دَلَّتْ عليه الأحاديث في هذه المســألة -وَهُـوَ مُقْتَضَى الْقَوَاعِدِ- أَنَّ أَيَّ شَـهْر غُمَّ أُكْمِلَ ثَلاثِينَ؛ سَـوَاءٌ فِي ذَلِكَ شهر شَعْبَان أو شهر رَمَضَان أوغَيْرهمَا". وقد سبق نقل كلام الإمام النووي في ذلك.

الثانيـة: أن يُصام عن غير رمضان، فالجمهور أنه يجوز صومه إذا وافق عادةً في صوم التطـوع كـما هـو نص حديـث أبي هريـرة رضي الله عنـه، ويلتحق بذلـك عندهم صوم القضـاء والنذر، أمَّا التطوع المطلق من غير عادة فهو حرام على الصحيح عند الشـافعية إلا إن وصله بما قبله من النصف الثاني فيجوز، ولا بأس به عند الحنفية والمالكية.

أمّا عن الحكمة في النهي عن صومه:

ففيهـا خـلافٌ يذكره الحافظ ابـن حجر في "فتح البـاري" بقولـه: "والحكمة فيه: التَّقَـوِّي بِالْفِطْرِ لِرَمَضَان لِيَدْخُلَ فِيهِ بِقُوَّة وَنَشَـاط، وَهَذَا فِيـهِ نَظَرٌ؛ لأَنَّ مُقْتَضَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَوْ تقدمه بصيام ثَلاثَةِ أَيَّام أَوْ أَرْبَعَة جَاز ... وَقِيلَ: الْحِكْمَة فيه خشـية اِخْتِلاط النَّفْل بِالْفَـرْضِ، وَفِيـهِ نَظَرٌ أَيْضًا؛ لأَنَّهُ يجوز لمن لَهُ عَادَةٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، وَقِيلَ: لأَنَّ الْحُكْمَ علق بالرؤية فَمَنْ تَقَدَّمَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ فَقَدْ حاول الطعن فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ. وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ".

وهـذا الـذي اعتمـده الحافـظ في حكمة النهـي يزيد وضوحًـا عند معرفـة منهج الإسـلام في رؤية الهلال؛ فـإن الحاكم هو الذي يقضي بصحة بينـة الرؤية -عند إمكانها فلكيًّا-، فإذا حكم بعدم ثبوت الشهر فإن حكمه هذا يرفع النزاع في الأمر الظني ظاهرًا وباطنًـا ويحسـم مادة الخلاف فيه، وليس المسـلم مكلَّفًا -تحت أي سـقف معرفي يعيش فيه- بالوصول إلى ما في الواقع ونفس الأمر، بل المَظِنَّة في ذلك تُنَزَّلُ منزلةَ المَئِنَّة، والأخذ بغلبـة الظـن واجب شرعي، وهذا يُعَلِّم المسـلمين القوة والثبـات في دينهم، والجِدِّيَّة في أمـر عبادتهم، ويحذرهم من أن يكونوا نَهْبًا لخطر الشـائعات بين أهـل البلد الواحد عن طريـق تَحَدُّثِ بعض الناس بينهم بالرؤية وإحداثهـم للبلبلة والفوضى في ذلك مع عدم الحكـم بثبوتهـا، وإذا كان هـذا عصيانًا للمصطفى صلى الله عليه وآله وسـلم في حق من دعا إلى رؤيةٍ لم تثبتها البينة الصحيحة وترك الأخذ بالظن الغالب إذا قضى به الحاكم، فما بالنا بمن يخالف الجماعة ويشـق عصا الطاعة ويزرع بذور الفرقة والاختلاف بالتشـبُّث والدعـوة إلى رؤيةٍ قطع الحسـاب الفلكـي القطعي ببطلانها ولم يعتمدهـا أهل بلده، كما يفعلـه كثـير من المتعالمين في هـذا الزمان؛ في زيغ عن الحق من غـير حجة ولا برهان من عقـل أو نقل، واقعِـينَ بذلك في محظورَيْن: تفريقِ الجماعة، والأخـذ برؤية موهومة عُلِم بطلانُها بالضرورة. وناهيك بذلك خروجًا عن الجادة وعصيانًا لسـيدنا النبي المصطفى أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم. والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم[1].

ليلة القدر

هي ليلة عظيمة الشأن، نزلت بشأنها سورة كاملة من سور القرآن الكريم هى سورة القدر. بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)(سورة القدر، الآيات ١ : ٤).

وهى ليلة يستجاب فيها الدعاء، فهي الليلة التي نزل فيها القرآن على الرسول ﷺ، ولم يحدد القرآن موعدها بالتحديد، ولكن الرسول حث على تحريها في العشر الأواخر من شهر رمضان، وأخبرنا أن من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وقد ورد في فضلها العديد من الأحاديث النبوية.

قال الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله: سميت ليلة القدر إما بمعني ليلة التقدير، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه، أو بمعني العظمة والشرف من قولهم فلان له قدر أي له شرف وعظمة، لأن الله قد أعلي فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة.. ثم قال إنها خير من ألف شهر؛ لأنه قد مضي على الأمم آلاف من الشهور وهم يختبطون في ظلمات الضلال، فليلة يسطع فيها نور الهدي خير من ألف شهر من شهورهم الأولي..[٢]».

وضمن مشاهداته في مصر قال عنها الرحالة والمستشرق الإنجليزي "إدوار لين": إن المسلمين يحتفلون بليلة القدر ويعتقدون أن الملائكة تنزل في بدء تلك الليلة إلى الفجر لتحمل النعم إلى المؤمنين وأن الدعاء يجاب بلا ريب، إذ إن أبواب السماء تفتح حينئذ.

ويقال إن الماء المالح ينقلب فجأة إلى ماء حلو سائغ شرابه في هذه الليلة المباركة!، إذ يجلس الأتقياء في هذه الليلة بخشوع كبير، وأمامهم إناء فيه ماء مالح، وبين حين وآخر يتذوقون طعمه ليروا ان أصبح حلو المذاق فيتأكدون ان هذه الليلة هي: ليلة القدر[٣].

ولذلك يراعي الأتقياء الليالي العشر الأخيرة من رمضان بخشوع عظيم لعدم تحققهم من موعدها لأن المتواتر أنها ليلة ٢١أو٢٣ أو ٢٥ أو ٢٧ أو ٢٩ .

ويعبر البعض عن استجابة الله لدعائه في هذه الليلة بأن (طاقة القدر انفتحت له)، والمقصود بها هو ذلك النور الباهر الذي تنشق عنه السماء فجأة، من دون شعاع، وذلك عند أول إشراق لصباح بعض ليالي الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان، إذ يعتبرون هذا إشارة من المولي عز وجل باستجابة الدعاء، وأن الليلة السابقة كانت هي ليلة القدر فعلا، وفي حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم (أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها).

وفي هذا الصدد يحكي شيخ الصحافيين "حافظ محمود" أن العجائز كن يقلن له وهو طفل صغير "إن الموعود بليلة القدر يستيقظ من نومه في هذه الليلة وهو ناس أنها ليلة القدر، ثم يقرأ أكبر قسط من القرآن دون أن ينوي شيئا، ثم ينظر إلى السماء بلا إرادة فإذا به يري في كبد السماء قرصا كبيرا من النور ينشق إلى نصفين ثم يلتئم ثم يغيب في لمح البصر. وأية أمنية تخطر ببال (الموعود) في هذه اللمحة لابد أن تتحقق"[٤].

وفي بعض المجتمعات الشعبية ـ مثل واحة أم الصغير ـ يبدأ الاحتفال بليلة القدر مبكرا؛ بأن يتجمع كل رجال الواحة في المضيفة لتناول إفطار جماعي. وبعد صلاة العشاء ثم التراويح الجماعيتين يقام حضرة للذكر والدعاء حتى موعد السحور.

وفي مجتمعات أخري ـ مثل رشيد ـ كانت النساء تتجمع على أسطح المنازل، يقضين الوقت حتى الفجر بين الحديث الديني وترديد الأدعية وتقليب وجوههن في السماء، آملات أن تنفتح لهن «طاقة القدر» ويستجاب لهن الدعاء[٥].

وفى واحة باريس بالوادى الجديد؛ يقيم بعض الأفراد كل بمفرده احتفالا بهذه المناسبة فيذبح كل منهم على حسب مقدرته بداية بذوات الأربع وانتهاء بذوات الأجنحة ويدعو الأهل والجيران للإفطار سويا فى تلك الليلة وبعد الإفطار يصلون العشاء والتراويح فى الجامع[٦].

الجمعة اليتيمة

هي آخر جمعة في شهر رمضان المبارك. ويرجع الأستاذ «مصطفي عبد الرحمن» في كتابه "رمضانيات" سبب وصفها باليتيمة لتفردها بالحسن، فالدر اليتيم هو المتفرد بالحسن والبهاء. ورغم وجاهة التفسير إلا أنه لا توجد مصادر دينية تميز هذه الجمعة عن غيرها من الجمع الثلاث الأولي من شهر رمضان، غير أنه من المرجح وبسبب كونها الجمعة الأخيرة من الشهر الكريم ولن تلحق بها جمع أخرى فقد أطلقت عليها الجماعة الشعبية هذا الوصف.

وكان الخليفة الفاطمي يحرص على أداء صلاة أيام الجمعة الثلاثة الأخيرة في الجوامع الآتية: الجمعة الثانية في جامع الحاكم والثالثة في الجامع الأزهر، أما الرابعة التي تعرف بالجمعة اليتيمة فكان يؤديها في جامع عمرو باعتباره أقدم جوامع مصر، وكان يصرف من خزانة التوابل ماء الورد والعود برسم بخور الموكب والمسجد، وكانت الناس تستعد بالزينات قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام ويقوم والي مصر بمتابعتهم، وكان الخليفة يعطي دينارا لكل واحد من أرباب المساجد التي يمر عليها" ٧. وعقب صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان يذاع بلاغ رسمي عرف بسجل البشارة، وفي آخر ليلة من الشهر الكريم كان القراء والمنشدون يحيونها بالقصر الشرقي الكبير والخليفة يستمع من خلف ستار، وفي نهاية السهرة كان الخليفة ينثر على الحاضرين دنانير الذهب.

وكانت الجمعة اليتيمة تحظى باهتمام الملك فؤاد ومن بعده ابنه فاروق، وكان الشعب يخرج للفرجة على الموكب الملكي في احتفال صلاة الجمعة اليتيمة في رمضان في جامع عمرو بن العاص.

وقـد قدمت مجلـة «المصور» في عددها الصـادر في الرابع والعشرين مـن أكتوبر عام ١٩٤١ متابعة مصورة للشـعائر الدينية الرمضانية التي شـارك فيها الملك فاروق في يوم الجمعة الأخيرة من رمضان، وهي الاحتفالية التي شـاركت فيها طوائف من الشـعب، ورجـال القـصر وأفـراد العائلة المالكيـة، رجالا ونسـاء، وجاءت التغطيـة تحت عنوان «المليك وشـعبه في صلاة الجمعـة اليتيمة" وكان الملك فاروق قـد أدي صلاة الجمعة في مسـجد السـيدة زينب وخرج أهل الحي لتحية الملك على جانبي الطريق وقد وصفتهم المجلـة تحـت عنـوان «الوجوه المسـتبشرة» بقولهـا «خف أهل الحـي الزينبي لاسـتقبال المليك والتمتع برؤية موكبه في ذهابه وإيابه إلى المسـجد وها هى طائفة من سكان الحي، اصطفـت على الرصيف تتطلع للموكب الملكي، وقد اسـتبشرت الوجوه برؤية مليكها المحبوب فانفرجت الأسارير وابتسمت الشفاة»[٨].

ويعتقـد العامـة أن وقـت صلاة الجمعـة الأخيرة مـن الأوقات التى يسـتجاب فيها الدعـاء، كـما يقوم البعـض بكتابة التعاويـذ والأحجبة في نفس الوقت الـذي تؤدى فيه الصلاة ، معتقدين إنها تمنع وسوسة الشيطان أو مس الجن[٩].

يوم الوقفة

هو آخر أيام شهر رمضان، الذي يسبق العيد مباشرة، ويشهد استعدادًا كبيرًا لاستقبال العيد، بتنظيف البيوت وفرشها بالفرش والبسط الجديدة، وإعداد ملابس العيد، والتجهيز لزيارة المقابر بعد صلاة العيد.

الهوامش

(١) دار الإفتاء المصرية، فتوى صيام يوم الشك، الرقم المسلسل : ١١٠١، تاريخ الإجابة : ٠٥/٠٩/٢٠٠٧.

(٢) عباس محمود العقاد: رمضان .. وليلة القدر، مجلة الهلال ، رمضان ١٩٦٠.

(٣) رمضان...في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن- الكويت، ملف الأسبوع ١٧-٧-٢٠١٢، و: عرفه عبده علي: رمضان في دفتر الذكريات الأوروبية.. صور ومعانٍ باهرة ومؤثرة، مجلة الرافد.

(٤) راجع: حافظ محمود، المعارك في الصحافة والسياسة والفكر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة ذاكرة الكتابة، ع ٦٦، ٢٠٠٥م، ص ١٤٠ .

(٥) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة ، السنة الخامسة ، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤ .

(٦) شوقى عبد القوى حبيب: الاحتفالات الدينية فى الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠، ص٨٢.

(٧) شوقي عبد القوي حبيب، مرجع سابق.

(٨) المصرى اليوم، الجمعة ٥ أكتوبر ٢٠٠٧ عدد ١٢٠٩.

(٩) د. فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية من خلال دراسة الفولكلور المصري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ١١٦- ١١٧. و: محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفولكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، ص ٩٦- ٩٧.

استقبال شهر رمضان

- استطلاع هلال شهر رمضان
- استقبال شهر رمضان
- الاحتفال برؤية الهلال «موكب الرؤية»

استطلاع هلال شهر رمضان

تعتبر الرؤية شرطًا من الشروط التي يجب أن تتوافر لحلول شهر الصيام، ولا يحل إلا بها لقوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٨٥). ذلك أن الشهور القمرية تتم دورتها أحيانًا في تسعة وعشرين يومًا وأحيانا في ثلاثين يومًا. والذي يحدد مبدأ الشهر ونهايته هو ظهور الهلال. لذلك استوجب صوم شهر رمضان، المعرفة الدقيقة بالأهلة، والعناية خصوصًا بأربعة من الأهلة وهي هلال شعبان لارتباطه بأول رمضان، وهلال الشك، وهلال رمضان، وهلال شوال.

ويثبت شهر رمضان برؤية الهلال، ولو من واحد عدل أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني رأيته، فصام، وأمر الناس بصيامه. رواه أبو داود، والحاكم، وابن حبان، وصححاه. وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: « صوموا لرؤيته[1] وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا. »رواه البخاري ومسلم.. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، قالوا: تقبل شهادة رجل واحد، في الصيام، وبه يقول ابن المبارك والشافعي، وأحمد. وقال النووي: وهو الأصح. وأما هلال شوال، فيثبت بإكمال عدة رمضان ثلاثين يومًا ولا تقبل فيه شهادة العدل الواحد، عند عامة الفقهاء. واشترطوا أن يشهد على رؤيته، اثنان ذوا عدل، إلا أبا ثور فإنه لم يفرق في ذلك بين هلال شوال، وهلال رمضان، وقال: يقبل فيهما شهادة الواحد العدل. قال ابن رشد: «ومذهب أبي بكر بن المنذر، هو مذهب أبي ثور، وأحسبه مذهب أهل الظاهر». وقد احتج أبو بكر بن المنذر، بانعقاد الإجماع على وجوب الفطر، والإمساك عن الأكل، بقول واحد، فوجب أن يكون الأمر كذلك، في دخول الشهر وخروجه، إذ كلاهما علامة، تفصل زمان الفطر من زمان الصوم». وقال الشوكاني:

وإذا لم يـرد ما يدل على اعتبار الاثنين في شـهادة الإفطـار من الأدلة الصحيحة، فالظاهر أنـه يكفي فيه قياسًـا على الاكتفاء به في الصوم. وأيضًـا، التعبد بقبول خبر الواحد، يدل عـلى قبوله في كل موضع، إلا ما ورد الدليـل بتخصيصه، بعدم التعبد فيه بخبر الواحد، كالشـهادة عـلى الأمـوال ونحوهـا، فالظاهر ما ذهـب إليه أبـو ثور. اختـلاف المطالع: ذهـب الجمهـور: إلى أنه لا عبرة باختـلاف المطالع. فمتى رأى الهـلال أهل بلد، وجب الصوم على جميع البلاد لقول الرسـول صلى الله عليه وسـلم « صوموا لرؤيته، وافطروا لرؤيتـه». وهـو خطاب عام لجميع الأمة فمن رآه منهـم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعًا. وذهب عكرمة، والقاسم بن محمد، وسالم، وإسحاق، والصحيح عند الأحناف، والمختـار عند الشـافعية: أنه يعتبر لأهـل كل بلد رؤيتهم، ولا يلزمهـم رؤية غيرهم. لما رواه كريب قال: قدمت الشـام، واسـتهل على هلال رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلـة الجمعـة. ثم قدمت المدينة في آخر الشـهر، فسـألني ابن عباس - ثـم ذكر الهلال - فقال: متى رأيتم الهلال ؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه النـاس، وصاموا، وصام معاويـة، فقال: لكنا رأيناه ليلة السـبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين، أو نراه، فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال: لا... هكذا أمر رسـول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد، ومسلم والترمذي. وقال الترمذي: حسن، صحيـح، غريب، والعمل عـلى هذا الحديث، عند أهل العلم، أن لكل بلد رؤيتهم. وفي «فتـح العـلام فى شرح بلوغ المـرام»: الأقرب لزوم أهـل بلد الرؤية، ومـا يتصل بها من الجهات التي على سمتها.

مـن رأى الهـلال وحده: اتفقت أئمة الفقه على أن من أبـصر هلال الصوم وحده أن يصـوم. وخالـف عطاء فقـال: لا يصوم إلا برؤيـة غيره معه. واختلفـوا في رؤيته هلال شـوال، والحـق أنه يفطر كما قال الشـافعي، وأبو ثور. فإن النبـي ﷺ قد أوجب الصوم والفطر للرؤية، والرؤية حاصلة له يقينًا، وهذا أمر مداره الحس، فلا يحتاج إلى مشاركة. (السيد سابق، فقه السنة).

ومنـذ دخول الإسـلام إلى مـصر وولاتهـا وقضاتها يحرصـون على اسـتطلاع هلال شـهر رمضـان، وعلى مدار العصور تم الاحتفاء بهذا الحـدث على نحو خاص، لما يمثله

من إعلان حلول الشـهر المبـارك وبدء الصيام. ولم يكن الخلفـاء والأمراء يتكبرون على الصعود مع القضاة والشهود إلى الأماكن العالية لرؤية هلال رمضان[2].

ذكر جلال الدين السيوطي في «حسـن المحاضرة» أن أول من خرج لرؤية الهلال في مصر القاضي غوث بن سليمان الذي توفي عـام ١٦٨ هـ[3]. ويذكر الكندي أن القاضي «عبـد الرحمـن عبد الله بن لهيعة»، الذي ولي القضاء سـنة (١٥٥ هـ/ ٧٧١م)، كان أول قـاض حضر لنظر الهلال في شـهر رمضـان، وكان القضاة بعده يخرجـون مع الناس إلى جامع بسفح المقطم لرؤية الهلال في شهر رجب وشعبان احتياطًا لشهر رمضان، وكانت توجـد هناك دكة معدة عـلى مكان مرتفع عرفت بدكة القضاة وقـد أعدت لكي ينظروا الهلال عندها، واستمرت تستعمل إلى أن بنى مكانها القائد الفاطمي بدر الجمالي مسجدًا، اتخذت مئذنته مرصدًا لرؤية الهلال.

وفيما «عمد الطولونيون والإخشـيديون والمماليك إلى استطلاع الهلال، حسبما ذهب إليـه أهل السـنة، نجـد أن الفاطميين لم يلجأوا إلى ذلك حسـب مذهبهـم الديني. فمن المعروف عن الفاطميين أنهم لم يعملوا باستطلاع أهلة الشهور إنما كانوا يقومون بحسابها فلكيًا، فكانت الشهور عندهم، شهر تسعة وعشرون يومًا وشهر ثلاثون يومًا[4].

وقـد ظلت مصر تسـتطلع هلال شـهر رمضان حتـى بدأ العمل بالحسـاب الفلكي لأول مـرة عـام (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، وذلـك بعد أن تعـذرت رؤية هـلال رمضان بالعين المجردة، بسـبب كثافة السحاب، بينما سجل مرصد حلوان ميلاد الهلال في نفس اليـوم، فأعلنـت الرؤية وفقًا للحسـابات الفلكية. وجدير بالذكر أن أول مرصد أنشـئ بمصر كان عام ١٨٣٨م، وكان يوجد بالقلعة، ثم نقل إلى العباسية فيما كان يعرف حتى الخمسينيات باسم الرصدخانة، وفي سنة ١٩٠٣، انتقل إلى حلوان بعدما رؤي أن مكانه بالعباسية لم يعد يتناسب والأجهزة الدقيقة.

ومنـذ ذلـك التاريـخ انتظـم العمـل بالحسـابات الفلكيـة في مـصر جنبًـا إلى جانب الاسـتطلاع بالعـين المجـردة والمناظير المكـبرة، وإن كان هناك العديد مـن العلماء قاموا بتبيـان نواحـي الضعف في عملية اعتماد الحسـاب بدلاً مـن الرؤية مـن الناحية العلمية البحتـة، وكذلـك عدم جواز الاكتفاء بالحسـاب من وجهة النظـر الشرعية البحتة، على النحـو الذى وضحه «فؤاد سـعيد وهبة» فى دراسـة له، قال فيهـا: إن الشرع عندما ألزم

بضرورة الرؤية لتحديد بداية ونهاية شهر الصيام، فإنه استلزم تحقق شرطين معًا: الأول هو حصول ابتداء الشهر فلكياً أي خروج القمر من المحاق، والثاني أن يكون القمر قد أصبح قابلا للرؤية بعد غروب الشمس، وليس فقط تحقق الشرط الأول، وهذه نقطة مهمة ربما خفيت على الكثير من الفقهاء المعاصرين فنادى بعضهم باعتماد الحساب الفلكي وحده في تحديد بداية ونهاية شهر الصوم. فشهر الصوم هو غير الشهر القمري الفلكي، ويختلف عنه قليلا كما عرّفنا في البداية، فالأول يبتدئ برؤية هلال رمضان وينتهي برؤية هلال شوال ويساوي عددًا صحيحًا من الأيام، إما ٢٩ أو ٣٠ يومًا، أما الثاني فهو من ميلاد القمر في نهاية شهر شعبان إلى ميلاد القمر في بداية شهر شوال ويساوي وسطياً قرابة ٢٩ يومًا ونصف اليوم (تزيد أو تنقص بضع ساعات تختلف من شهر قمري إلى آخر بسبب الحركة المعقدة وغير المنتظمة للقمر) أي يساوي عددا غير صحيح من الأيام، فهذه ميزة أخرى في اعتماد الرؤية بدلا من اعتماد الحساب، وهي جعل طول شهر الصوم عدداً صحيحاً من الأيام.

نعم يمكن، بل ويجب الاستفادة من الحسابات الفلكية عند الاستهلال، فإذا دل الحساب مثلا على أن القمر لم يولد أصلاً قبل غروب الشمس فيتوفر عناء الاستهلال، كما أن الحساب يمكن من تحديد موقع القمر في السماء بالنسبة للشمس وقت غروبها مما يسهل رؤيته.

وثمة حكمة عظيمة في ربط تحديد بداية شهر الصوم ونهايته بالمشاهدة، إذ إن ذلك يجعل كل فرد مسلم أيًا كانت درجة ثقافته يشعر بأنه يستطيع أن يقدم شيئًا لمجتمعه أو أن يكون له دور وذلك بالمشاركة في عملية الاستهلال، فيزداد تفاعل عامة الناس مع شهر الصيام أكثر، ويصبح لشهر الصيام صفة جماعية أكثر، بينما لو اعتمد على الحساب فقط وبفرض إمكان ذلك لاقتصر إمكان المساهمة في تحديد البداية والنهاية على فئة قليلة جدًا فقط من الناس هم المختصون بالحسابات الفلكية، ولانعدم الإحساس بالجماعية، بل وحتى القائمون بالحساب يتجمد دورهم بعد وضع جداول مواليد القمر لبضع عشرات من السنين، كما تتحول العبادة الروحانية في أول ونهاية الصيام إلى مجرد عملية إجراء حسابات نظرية وقياسات عملية أي كأنما هي عملية تجارب فيزيائية أو فلكية خاصة بفئة محدودة[٥]. (انظر: يوم الشك).

❊❊

وكان استطلاع هلال شـهر رمضان يأخذ طابعًا خاصًا لدى العديد من المجتمعات المصرية، فقد كان أهالى سيناء، يحرصون على استطلاعه من أعلى القمم الجبلية والمناطق الخلويـة المرتفعة، ومع ذلـك يلتزمون بالرؤية الشرعية التي تقوم بها الأجهزة الرسـمية بمـصر وعنـد ثبـوت الرؤية ترفع الأعـلام البيضاء للتعبير عن الفرحة باسـتقبال شـهر رمضان.

وكانوا يسـتدلون على مواعيد الإفطار والسـحور بحركتي الشمس والنجوم، حيث لم يكـن موجـودًا لديهـم مذياع أو تلفزيـون أو كهرباء فكانوا يسـتدلون على موعد أذان المغرب بمراقبة الشـمس بالعين المجردة والاسـتدلال على وقت الغروب فيفطرون، كما كانوا يسـتدلون على مواعيد السـحور والإمسـاك بمراقبة حركة النجوم وتحديد موعد أذان الفجر[٦]. إضافة إلى خبرتهم في معرفة هلال رمضان، إذ يقولون إن خامس الصوم صوم، بمعني إذا صامت الأمة في العام السابق يوم السبت يكون الصيام في العام الحالي على سبيل المثال يوم الخميس[٧].

وفي مطـروح تتميز قبائل «أولاد على» بعادات مختلفة وطقوس خاصة في اسـتطلاع هلال شـهر رمضان، حيث يقوم البدو باختيار شـيخ يحظى بثقـة بين أهل النجع، ومعه شـاب موفور الصحة، وقوي البصر لاسـتطلاع الهلال بعد صلاة المغرب، وعند صلاة الفجر في آخر أيام شعبان، وحال التأكد من رؤيته يتم سؤال الشاهد الذي يحضر عملية الاستطلاع، والشاب الذي يرى الهلال، وبعدها يمر الشيخ على أهالي النجع فوق ظهر حصان ويقول لهم: «اليوم تصوموا الشهر الكريم»[٨].

وفى واحـة القـصر بالوادى الجديـد؛ يخرج أصحـاب النظر الحاد إلى الجبـل ليراقبوا الهـلال - مثلما يحدث فى واحة باريـس- وإذا ثبتت رؤية الهلال يحضر أهل القصر طبلة كبـيرة وتلـف الطبلة البلـد، ويكون هـذا إعلانًا بأن غـدًا رمضان، ولم يكـن هناك غناء يصاحب الطبلة، ولكن كان يصاحبها مجموعات كثيرة من الرجال والأطفال[٩].

استقبال شهر رمضان

علي مدار العصور تنوعت أشكال ومظاهر استقبال شهر رمضان الكريم والاحتفال بنهاراته ولياليه، وتركت كل فترة تاريخية بصمتها الخاصة المميزة على هذه الاحتفالات، لتضاف إلى جماع المظاهر الرمضانية التى شغلت أبوابًا عديدة في التاريخ الاجتماعي المصري، وأسهمت فى رسم صورة مصر والمصريين خلال هذا الشهر الخاص.

في القرن الثالث الهجري اهتم «أحمد بن طولون» بأمر العمال خاصة في شهر رمضان.. فقد خرج مرة لزيارة مسجده وقت بنائه، فرأى الصناع يشتغلون إلى وقت الغروب، فقال: متى يشتري هؤلاء الضعفاء إفطارًا لعيالهم، اصرفوهم العصر فأصبحت سنة من ذلك الوقت، فلما فرغ رمضان قيل له: لقد انقضى رمضان فيعودون إلى عاداتهم فقال: «قد بلغني دعاؤهم وقد بركت به وليس هذا مما يوفر العمل»، ومنذ ذلك التاريخ دأبت الحكومات المصرية على ترتيب أوقات العمل بما يتناسب مع خصوصية هذا الشهر ويسهل على الصائمين أمورهم.

ويذكر «ابن زولاق» أن «محمد بن طغج الإخشيدي» كان يرسل النفقات في أول رمضان لعمارة المساجد وتزيينها مثل ما كان يفعله أحمد بن طولون من قبل.

ويشير المؤرخ «ابن المأمون» إلى أن العادة قد جرت في الأيام الأفضلية بإغلاق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة، في آخر جمادى الآخرة من كل سنة وأن يحظر بيع الخمر، ثم رأي الوزير المأمون لما ولي الوزارة بعد الأفضل بن الوزير بدر الجمالي.. أمير الجيوش (٤٥٨-٥١٥هـ/ ١٠١٦-١١٢١م) - رأى أن يكون ذلك في سائر الدولة؛ فكتب به أمرًا إلى جميع ولاة الأعمال بأن ينادي على الناس «أن من تعرض لبيع شيء من المسكرات أو شرائها سرًا أو جهرًا فقد عرض نفسه لتلفها وبرئت الذمة من هلاكها».

وقد اهتمت الدولة الفاطمية بهذا الشهر بشكل خاص، فقد كان مناسبة لإظهار إغداق الفاطميين على المصريين بغية ترغيبهم في مذهبهم، فجاءت احتفالاتها به غير مسبوقة وعلى غير مثال من الدول السابقة عليها. بداية كانت تحذر بيع المكسرات ابتداء من شهر رجب وتعاقب من يبيعها أو يشتريها سرًا أو جهرًا وخصته بحفلات يعد بعضها تمهيدًا لحلوله والبعض لإعلان رؤية هلاله، وهى حفلات غنية بمظاهر العظمة شاملة لأنواع البر والصدقات مما يرفه عن الفقير ويدخل السرور عليه. فإذا أقبل شهر رمضان عهد إلى قضاة مصر بالطواف قبل حلوله بثلاثة أيام بالمساجد والمشاهد في القاهرة ومصر وذلك لتفقد ما تم إجراؤه فيها من إصلاح وفرش وتعليق المسارج والقناديل، حتى أن الرحالة «ناصر خسرو» الذي زار مصر في القرن الخامس الهجري وصف التنور «الثريا» الذي أهداه الخليفة الحاكم بأمر الله إلى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بأنها كانت تزن سبعة قناطير من الفضة الخالصة، وكان يوقد به في ليالي المواسم والأعياد أكثر من ٧٠٠ قنديل، وكان المسجد يفرش بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض، وما إن ينتهي شهر رمضان حتى تُعاد تلك الثريا والقناديل والمشكاوات إلى مكان أعد لحفظها فيه داخل المسجد، كما أن الدولة في ذلك الوقت كانت تخصص مبلغًا من المال لشراء البخور الهندي والكافور والمسك، الذي يصرف لتلك المساجد في شهر الصوم.

وكذلك أعد الحاكم بأمر الله للجامع الأزهر تنورًا (ثريا) من الفضة و٢٧ قنديلا ولجامع راشدة تنورًا و١٢ قنديلا، واشترط إضاءتها في شهر رمضان وبعدها تعاد إلى مكان أعد لحفظها فيه، هذا عدا ثمن العود الهندي للبخور والكافور والمسك، الذي يصرف لتلك المساجد في شهر رمضان(١٠).

وتشير العديد من المراجع إلى أنه في غرة رمضان كان الخليفة الفاطمي يهدي إلى جميع الأمراء وغيرهم من المواطنين وأولادهم ونسائهم أطباقًا مملوءة بالحلوى. وفي وسط كل طبق صرة بها نقود ذهبية، فيعم هذا الإنعام سائر كبار الدولة. «وكانت دار الفطرة تشهد نشاطًا وعملا دائبًا في صناعة الحلوى الرمضانية، والأصناف المستعملة في تلك الدار هى السكر والعسل والزعفران والطيب والدقيق وذلك لصناعة الخشكنانج والبستندود والفانيد الذي يقال له كعب الغزال وغيرها، وكانت تصنع من هذه الأصناف كميات هائلة كالجبال. وكان لكل صنف منها صناعه المتخصصون فيه، وله

مقـدم (رئيس) ويبلغ عدد الصناع بهذه الدار المئات. وفي منتصف شـهر رمضان يحضر الخليفـة وبصحبته الوزير إلى دار الفطرة، ويشـاهد ما تم صنعه ويأمر بتفريغه، وتتراوح الكمية المعطاة للفرد بين ربع قنطار وعشرة أرطال ورطل واحد وذلك حسـب مكانته، وعلي حد قول المقريزي: «لا يزالون يوزعون هذا إلى أن ينقضي شهر رمضان ولا يفوت أحدًا شيء من ذلك، ويتهاداه الناس في جميع الأقاليم».

ولم تمدنـا المصـادر التاريخيـة بأخبار وفـيرة عن احتفالات شـهر رمضـان في العصر الأيـوبي، ويبدو أن الاحتفال به وبغيره من المناسـبات اضمحلت أو اختفت وذلك بين أصحاب السـلطان، محـور الكتابة في ذلك العصر وغيره، وربـما كان ذلك راجعًا إلى أن الأيوبيين كانوا في حروب مستمرة مع الصليبيين مما أدى إلى عدم تفرغ السلاطين لإحياء ليالي شهر رمضان فضلا عن تأثر اقتصاديات مصر بتلك الحروب»[١١].

أما في العصر المملوكي، فقد كان السـلطان يسـتهل الشـهر بالجلوس في الميدان تحت القلعة ويتقدم إليه الخليفة والقضاة الأربعة بالتهنئة، ثم يسـتعرض أحمال الدقيق والخبز والسـكر، والغنم والبقـر المخصصة لصدقات رمضان يعرضها عليه المحتسـب بعد أن يكون اسـتعرضها في أنحاء القاهرة تتقدمها الموسـيقى فينعم على المحتسـب وعلى كبار الموظفين.

وكان المحتسـب يحاسـب المفطر بعد أن يسـأله عن سـبب إفطاره لاحتمال أن يكون مريضًـا أو مسـافرًا فإن أثبت شـيئًا مما يبيح لـه الإفطار عذره للجهر بـه وإن كان مفطرًا لغير سبب، أدبه، هذا عدا ما يلاقيه من استهزاء الأطفال والمناداة عليه «يا فاطر ياخاسر دينك»، كما كانت الحكومة تعاقب المفطرين من موظفيها بغير عذر شرعي.

وقد جرت عادة سـلاطين المماليك على اسـتدعاء القضاة والفقهاء والعلماء إلى قلعة الجبل (مقر الحكم في مصر منذ عهد السلطان الكامل الأيوبي) لقراءة صحيح البخاري طـوال شـهر رمضان مـن كل عام. وفي فـترة لاحقة انضم إليهم عـدد آخر من الطلاب والموظفين. وفي هذا الحشـد كانت تجرى مناقشـة المسـائل الفقهية. وكان النقاش يحتدم أحيانًا في حضور السـلطان بحيث يتجاوز بعض الفقهاء حدود أدب النقاش كما حدث

سنة ٨٣٨ هجرية / ١٤٣٤م في حضور السلطان الأشرف برسباي الذي أمر بإحضار «الفلقة والعصا» في المجلس لتأديب المتجاوزين. وبعدها بسنوات قليلة منع السلطان جقمق الحاضرين في مجلس قراءة صحيح البخاري من المناقشة(١٢).

وفي دولة المماليك البحرية كان يقرأ البخاري طول الشهر في الجامع الأزهر ويختم في ليلة القدر في حفل كبير يدعون فيه لأولي الأمر بالتوفيق والسداد، ويحضره القضاة الأربعة، ثم توزع الخلع والهبات على العلماء والفقهاء، وفي نهاية دولة المماليك الجراكسة كانت تقام حفلة ختام قراءة البخاري في خيمة كبيرة في الحوش السلطاني بالقلعة رسميًا في مصر والإسكندرية (١٣).

وعن أيام الحملة الفرنسية على مصر، يقول الجبرتي: إن ساري عسكر الفرنسيس أمر بالمناداة في أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عاداتهم مع المسلمين ولايتجاهرون بالأكل والشرب في الأسواق، ولايشربون الدخان ولا شيئًا من ذلك بمرأى منهم، كل ذلك لاستجلاب خواطر الرعية.

أما عن مظاهر التعامل الاجتماعى مع أيام وليالي شهر رمضان في الدولة العثمانية، فيصفها لنا الرحالة الإنجليزي «إدوار لين»، فيقول:

«لم يعد المرء يشاهد في رمضان المارة يمسكون بشبكهم في الشوارع كما كان يشاهد في أوقات أخرى فيراهم بدلا من ذلك إلى ما قبل الغروب، يحملون عصا أو مسبحة ويجاملهم المسيحيون في عدم التدخين علانية، وتبدو الشوارع كئيبة في الصباح، إذ إن كثيرًا من الحوانيت يغلق، غير أنها تفتح جميعًا في العصر وتزدحم كالمعتاد، وبعض الصائمين ينحرف مزاجه قليلا في النهار وفي الليل بعد الإفطار يمشون ويمرحون وعادة كبار الأتراك بالقاهرة وكثيرين غيرهم أن يقصدوا مسجد الإمام الحسين عصر كل يوم من رمضان للصلاة، وفي هذه الوقت يعرض بعض التجار الأتراك الذين يسمون تحفجية على الناس في ساحة الميضأة مجموعة من البضائع ذات ذوق وترف يلائمان رغبات مواطنيهم وغيرهم».

ومن الشائع في هذا الشهر أن تشاهد تجارًا في حوانيتهم يتلون القرآن أو الأدعية أو يوزعون الخبز على الفقراء. وفي الليل تزدحم المقاهي بأخلاط الناس لتناول القهوة والتدخين في الشبك.

ويشير «لين» إلى صمت الشوارع وتراخي حركة الحياة نهاراً، التى تستأنف قبيل المغرب بوضع مائدة الإفطار في غرفة الاستقبال، حيث يستقبل رب الدار ضيوفه، وتعد صينية فضية كبيرة تزدان بأطباق المكسرات والزبيب والحلوى وأواني الشربات والماء، وفي الحسبان دائماً الضيوف الذين قد يهبطون بغتة، وتجهز أدوات (الشوبك) للتدخين.. وبعد أذان المغرب، يتناول رب الدار مع أسرته وضيوفه أكواباً من شراب الورد أو البرتقال، ثم يؤدون صلاة المغرب وبعدها يتناولون شيئاً من المكسرات ويدخنون.. وبعد تناول شراب منعش يجلسون لتناول إفطارهم، غالباً من اللحوم وأطايب الطعام، ثم يؤدون صلاة العشاء ويعقبها صلاة التراويح، التي تؤدى جماعة في المسجد، ثم يتدفق الناس إلى الشوارع، ويتحول الليل إلى نهار، ويرتاد العامة المقاهي ليستمعوا إلى المنشدين ورواة السير الشعبية، ويعقد دراويش الصوفية حلقات الذكر وختمة القرآن في منازل شيوخهم كل ليلة.

وفيما تقفل المساجد الصغيرة في رمضان بعد صلاة التراويح فإن الجوامع الكبيرة تظل مفتوحة إلى السحور أو إلى الإمساك ويضاء داخلها ومداخلها مادامت مفتوحة وتضاء المآذن طول الليل، ويختلف مدى الوقت الذي يصومون فيه ما بين ١٢ ساعة إلى ١٤ ساعة تبعا لطول الليل أو قصره.

وكان المصريون يتناولون فطورهم بالمنزل في شهر رمضان وبعد ذلك يمضون أحيانًا ساعة أو ساعتين في منزل أحد الأصدقاء، ويقصد الكثير منهم وخاصة متوسطي الحال إلى المقاهي مساء للاستماع إلى أحد القاصين الذين يسلون القوم في عدة مقاه كل ليلة من هذا الشهر، ويشاهد في الشطر الأكبر من الليل كثيرًا من المارة في الشوارع وتظل دكاكين المشروبات والمأكولات مفتوحة وهكذا ينقلب الليل نهارًا وبخاصة عند الأغنياء الذين ينام أكثرهم معظم النهار.

أما إذا بلغنا العصر الحديث، ففي القرن التاسع عشر الميلادي كانت دوائر الحكومة تستنجز الأعمال الجاري تشغيلها لصرف قيمتها قبل حلول شهر رمضان وكانت دواوين الحكومة تعطل فيه عدا ديواني الخارجية والضبطية والجمرك، ليتفرغ المستخدمون فيه للعبادة بشرط إنجاز جميع ما لديهم من مواد متأخرة، وتصدر الأوامر بذلك منذ منتصف شهر شعبان، وعلى أن لا يعطل من الدواوين إلا من أنجز جميع

أعماله. وقد أصدر محافظ القاهرة أمرًا في منتصف شعبان سنة ١٢٧٣هـ ١٨٥٦م بإقامة زينة ومهرجان مرتين في شهر رمضان، واتخاذ اللازم لإحضار لوازم الزينة والألعاب النارية التي يلزم استعمالها لذلك.

وكانت المطاعم تغلق أبوابها نهارًا ومنها ما يغلق طول الشهر، وفيه تستعيد تجديد نظافتها ومن القهاوي ما يغلق نهارًا استعدادًا لسهر الليل حتى الفجر(١٤).

ومما يؤثر عن السلطانة «ملك» أرملة السلطان حسين كامل، أنها كانت تخرج في موكب لتوزيع نقود ذهبية على الأطفال، وكانت ترتدي فستانًا طويلًا، وعلى الطفل أن يقبل ذيل فستانها، وهنا تقوم السلطانة بإهداء كل طفل كيسًا صغيرًا من الحرير يحمل عشرة ريالات ذهبية.

وفى عهده كان الملك فاروق يطلب من الحكومة كل عام أن يكون الاحتفال برمضان بالغًا أقصى حدوده، ويصدر تعليمات محددة بمنع بيع المنكرات والمشروبات الروحية في المحلات العامة بالميادين والأحياء الكبرى، وكان هناك ما يسمى بالمأدبة الملكية، وكانت تسع لألف شخص في حين كان يتزاحم عليها الآلاف من الشعب المسكين(١٥). (انظر: موائد الخير).

وفي أحد حواراته أشار الأديب «نجيب محفوظ» إلى أن المنازل -وقت طفولته- بميدان بيت القاضي، كانت تفتح أحواشها للناس، وكانت تأتي بالمنشدين، الذين كانوا يقيمون ما كان يسمى بالتوليد النبوي، وهو مثل حلقات الذكر، تنشد فيه قصائد المديح في النبي، وكانت هذه المنازل تتبارى فيمن يأتي به للإنشاد، وكان الناس يتنقلون بين هذه البيوت للاستمتاع بأصوات المنشدين.

أما في الريف المصري فقد اعتاد الناس أن يقضوا سهراتهم الرمضانية بالالتفاف كل ليلة حول أحد الشعراء أو المؤدين الشعبيين، لينشدوهم السير والحكايات الشعبية، وكذلك كان حال بعض المقاهي في المدن المصرية.

ويعكس الروائى «محمد خليل قاسم» استعدادات أهالى النوبة القديمة لاستقبال رمضان فى روايته «الشمندورة» بقوله: منذ شهر أو يزيد استعدت كل امرأة لهذا الشهر: تتلقى طرود قمر الدين، وتفتل الشعرية من دقيق القمح، وترعى حقول الفجل

والطماطم والبصل والرجلة لإعداد السلطات والمشهيات اللازمة وتفرك بالرمل أغطية القلل لتلمع، وتدفن حبات الليمون فى الطين، تعصر منه قطرات فى الماء، وتخمر دقيق الذرة تدحو منه إبريجًا شفافًا مززًا تنقعه فى ماء مسكر، تملأ منه سلطانيات بيضاء، وتتركها فى مهب النسيم، ثم تقدمه شرابًا مرطبًا للزوج أو الابن يتبلع به فى المساء ويبل به ريقه بعد صيام مرهق، أما هى فقد تتجرع رشفه من هذا الإبريج، وقد تكتفى بالماء القراح أو بحفنه من التمر تزدردها.

ويجرى حاليًا الاستعداد في بعض المحافظات قبل شهر رمضان بثلاثة أشهر تقريبًا، حيث تبدأ ربات البيوت بتربية الطيور الداجنة لشهر رمضان، ومنذ منتصف شعبان تبدأ معظم المحافظات بتجهيز وإنارة وإعادة طلاء أماكن التجمع سواء في المساجد أو المضايف والدواوين والمنادر وقاعات الاستقبال في المنازل. كما يقوم شباب وصبية الأحياء المختلفة بتعليق الزينات ولمبات الإنارة والمجسمات على شكل فوانيس ومساجد وأشكال أخرى. وقد يدخلون في مسابقات لاختيار أجمل الزينات مثلما يحدث في محافظة الإسماعيلية[١٦].

الاحتفال برؤية الهلال

«موكب الرؤية»

أولى الفاطميون اهتمامًا عظيمًا للاحتفال بمقدم شهر رمضان، وأنفقوا على تلك الاحتفالات أموالا ضخمة، حيث كانت من أهم دعائم سياسة الدولة تجاه المصريين، وربما كان القصد منها المبالغة في إظهار عظمة الدولة الشيعية الإسماعيلية في عيون رعاياها السُنة. وربما كانت الدولة الفاطمية تتصرف بمنطق «حكومات الأقلية» على حد تعبيرنا المعاصر[١٧]. وإن كانت تلك الاحتفالات لم تتعد كونها موكبًا يخرج فيه الخليفة الفاطمي من باب الذهب «أحد أبواب القصر الفاطمي»، متحليًا بملابسه الفخمة، وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة وخيولهم بسروجها المذهبة، وفي أيديهم الرماح والأسلحة المطعمة بالذهب والفضة والأعلام الحريرية الملونة، وأمامهم الجند تتقدمهم الموسيقى، ويسير في هذا الاحتفال التجار وصانعو المعادن والصاغة، وغيرهم الذين كانوا يتبارون في إقامة مختلف أنواع الزينة على حوانيتهم، فتبدو الشوارع والطرقات في أبهى زينة.

كان موكب الخليفة الفاطمي يبدأ من بين القصرين «مكانه الحالي شارع المعز بحي الصاغة»، ويسير في منطقة الجمالية حتى يخرج من باب الفتوح «أحد أبواب سور القاهرة الشمالية»، ثم يدخل من باب النصر عائدًا إلى باب الذهب بالقصر، وفي أثناء الطريق توزع الصدقات على الفقراء والمساكين، وحينما يعود الخليفة إلى القصر يستقبله المقرئون بتلاوة القرآن الكريم في مدخل القصر ودهاليزه، حتى يصل إلى خزانة الكسوة الخاصة، فيغير ملابسه ويرسل إلى كل أمير في دولته بطبق من الفضة مملوء بالحلوى، تتوسطه صرة من الدنانير الذهبية وتوزع الكسوة والصدقات والبخور وأعواد المسك

على الموظفين والفقراء، ثم يتوجه لزيارة قبور آبائه حسب عاداته، فإذا ما انتهي من ذلك أمر بأن يكتب إلى الولاة والنواب بحلول شهر رمضان.

ومما يثير الدهشة في هذا الصدد أن المصريين لم ينبهروا باحتفالات الفاطميين وإنما «مصروها» فقد تركوا للفاطميين احتفالاتهم الرسمية وحولوا رمضان إلى مناسبة دينية.. اجتماعية زاهية أريجها التقوى والتدين والفرح معًا، وهو التراث الذي تراكم مع الزمن حتى بات من سمات مصر في رمضان على مر العصور. ولم ينس المصريون أن أول ما فعله جوهر الصقلي كان إلغاء موكب استطلاع هلال رمضان، الذي بقى مناسبة مهمة لديهم. وزاد من حنقهم أنهم ظلوا طوال الفترة الفاطمية لا يحتفلون بالرؤية [١٨]. (انظر: استطلاع هلال شهر رمضان).

ويذكر أن «محمد الأخشيدي» هو أول من استخدم الشموع المضاءة لكي توضع على ظهور الدواب في الزفة التي تسير بعد رؤية الهلال.

الاحتفال برؤية الهلال فى العصر المملوكى

إذا كان الحال كذلك فى العهد الفاطمى؛ فإن سلاطين المماليك حرصوا منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس، على إضفاء الواجهة الدينية للحكم كسبًا للشرعية التي حازوها شكلا بعد إحياء الخلافة العباسية في القاهرة[١٩]. ففي دولتي المماليك (البرجية والبحرية) كان يخرج قاضي القضاة، والقضاة الأربعة والشهود ومعهم الشموع والفوانيس لرؤية الهلال، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة- الذي كان يتولي أمور الأسواق ويفتش على الموازين والمكاييل والأسعار، وكانت سلطته تشمل جمع الضرائب من طوائف الباعة والتجار- ومعه التجار ورؤساء الطوائف والصناعات والحرف، وكانوا يشاهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين، فإذا تحققوا من رؤيته، أضيئت الأنوار على الدكاكين وفي المآذن وتضاء المساجد، ثم يخرج قاضي القضاة في موكب تحف به جموع الشعب حاملة المشاعل والفوانيس والشموع حتى يصل إلى داره، ثم تتفرق الطوائف إلى أحيائها معلنة الصيام.

ويذكر الأستاذ «إبراهيم حلمي»[20] أن «مسار الاحتفال في العاصمة في العصر المملوكي كان يبدأ دائمًا من نقطة بداية ثابتة، وهى المدرسة المنصورية بمنطقة بين القصرين، أما نقطة نهاية الاحتفال فكانت دائمًا عند بيت المحتسب وهو الممثل للسلطان في هذا الحفل الديني».

احتفالات نفس الفترة ولكن بالأقاليم المصرية، يصفها لنا الرحالة ابن بطوطة، الذي نزل إلى ميناء الإسكندرية زائرًا لمصر في أول جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ، زمن الولاية الثالثة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ هـ/ ١٣١٠م- ٧٤١هـ/ ١٣٤١م). وأثناء سفره من الإسكندرية إلى القاهرة، واكب مروره الاحتفال برؤية الهلال في مدينة أبيار - كفر الزيات حاليًا - فشهد ذلك الاحتفال وقال عنه: لقيت بأبيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي وحضرت عنده يوم الركبة وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان بدار القاضي ويقف على الباب نقيب المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة لاستقبال الوفدين، فإذا أتي أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب، ومشى بين يديه مقدمًا إياه قائلا: (بسم الله، «سيدنا فلان الدين» فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به، فإذا تكاملوا هناك ركب القاضي وركبوا معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان، حتى يصلوا إلى موضع مرتفع خارج المدينة، وهو مرتقب الهلال عندهم، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش، فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال، فإذا ما رأوه يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع، ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون. هكذا فعلهم في كل سنة).

ومن جانبه يصف «ابن إياس» احتفال أهل مصر برؤية الهلال عام ٩٢٠ هـ فيقول: «وأما في ليلة رؤية الهلال، حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية، وحضر الزيني بركات بن موسى المحتسب، فلما ثبتت رؤية الهلال وانفض المجلس، ركب المحتسب ومشى قدامه السقاءون بالقرب، وأوقدوا له الشموع على الدكاكين وعلقوا له التنانير

والأحمال الموقودة بالقناديل من الأمشاطيين إلى سوق مرجوش، إلى الخشابين، إلى سويقة اللبن إلى عند بيته (بيت الزيني بركات).

ويذهب «قاسم عبده قاسم» في كتابه «عصر سلاطين المماليك» إلى أن هذا - في أغلب الظن - كان هو الترتيب السائد في كل أنحاء المحروسة خلال العصر المملوكي لاستطلاع هلال شهر رمضان بالمدن «وإذا كانت ثمة اختلافات طفيفة؛ فإن الشكل العام للاحتفال كان واحدًا».

ويذكر أن المماليك كانوا يسمون يوم الرؤية «يوم الارتقاب»، بما يحمل من معاني الشوق والحنين تليق بغائب طال انتظاره[٢١].

الاحتفال برؤية الهلال فى العصر العثمانى

فى سنة ١٦٧٠م، زار الرحالة التركي «أوليا جلبي» (المولود سنة ١٦١١م)، مصر وقضي فيها ثماني سنوات؛ سجل مشاهداته خلالها في كتابه (سياحتنامه مصر).

شهد جلبي احتفال مصر برؤية هلال رمضان سنة ١٦٧٠م، وأطلق عليه اسم «موكب ليلة المحتسب»، وادعى[٢٢] أن البعض كانوا يسمونه «بعيد النسوان» وذلك بحسب تعبيره: لأن أحدًا لا يستطيع أن يمنع زوجه من الخروج في هذه الليلة، فلا مندوحة لها عن الخروج للتفرج على الحفلة برؤية هلال رمضان، بل وقد اشترطت الزوجة عند زواجها أن يكون لها الخروج من بيت الزوجية في هذه الليلة، وأصبح هذا الأمر يمثل جزءًا من العرف المصري. وقبل يوم الاحتفال بأسبوع، يستأجرون الحوانيت في الأسواق السلطانية من قرش إلى خمسة عشر قرشًا، أو يذهبون إلى بيوت أقاربهم وأصدقائهم المقيمين في تلك الأسواق والشوارع وليس لأحد أن يسأل أهله أين كانت في تلك الليلة؟، ويجعل أهل مصر المحروسة هذه الليلة ليلة الانفصال عن اللذة والنعيم، فلذا يحيونها حتى الصباح، فقد زين كل صاحب حانوت وجه حانوته بما فيه من السلع والأمتعة، وزينت الشوارع بمئات الألوف من المصابيح والقناديل واجتمعوا مع رفقائهم كما اجتمع العشاق مع من يحبون منتظرين حفلة المحتسب.

ويردف «جلبي» قائلا: وإذا كانت ليلة الرؤية -أي ليلة الشك في أن هلال رمضان سيرى أو لا يرى- اجتمع البك المحتسب والصوباشي ومع كل منهما خمسمائة رجل

من أتباعه، فيذهبون إلى القلعة وهم يدقون طبولهم ويدخلونها من باب العزب ويقابل المحتسب الباشا بعد العصر في ديوان الغوري. يصدر الباشا أمره إليه بالذهاب إلى مشايخ القضاة الأربعة وقاضي عسكر لكي يسأله عن رمضان المبارك أيحل غدا؟، ويأمر باتخاذ كافة الإجراءات التي تلزم الحفلة بمشاركة الرؤساء العسكريين وغيرهم ومعهم فرقة موسيقى الباشا، ينزل الموكب من باب الوزير، يشترك فيه مئتا جندي من كل بلوك من البلوكات السبعة التي بمصر، مزينين، مسلحين، وبعد صلاة المغرب في جامع محمود بميدان الروميلي تطلق الفرق العسكرية طلقة نارية دفعة واحدة وتكبر تكبيرة جهرية تملأ القاهرة بأصوات «الله أكبر» ويسير الصوباشي برجاله ومعه نحو ألف من فرسان الغربان وثلاثمائة مشعل والمطربين والراقصين التابعين لإدارته، بل والمشعوذين، يمرون بموكبهم الصاخب ويضاء حول الصوباشي ألوف القناديل المعلقة على العصي ويسير معه أربعون أو خمسون غلامًا يتسمون بالجمال وقد وضعوا على رءوسهم قلانس مزينة وخلفهم فرقة الموسيقى ولا يشترك في ليلة المحتسب هذه أحد من الأعيان والأشراف والعلماء والصلحاء والمشايخ والسادات وأئمة المساجد والخطباء وحاملي رتبة المولوية والقضاة، ولكنهم يشاهدون الموكب في السوق السلطانية، وليسوا مأمورين بالاشتراك فيه.

تظل القاهرة في تلك الليلة ساطعة الأنوار حتى الفجر كأنها ليلة القدر، يجتمع النساء والغلمان جماعات جماعات، فلذا يسميها بعض الظرفاء ليلة «الجمال» لأن كل ما امتاز في القاهرة بالجمال والخفة يستعير من أبيه أو أمه أو سيده أسبابًا وأثوابًا مقصبة مزركشة فيخرج كما يخرج أبناء مشايخ أهل الحرف راكبين جيادًا أصيلة مسرجة بسروج مرصعة، يتهادون في أثوابهم السمورية وطررهم المزينة، وتسير معهم موسيقاهم عازفة أنغامًا شجية ويسمي بعض الظرفاء هذا الموكب موكب السخرية «تشمران» وموكب المضحكين، والحق أن كل من بالقاهرة من المضحكين وأهل الهزل يغادرون بيوتهم فيقومون في الشوارع بضروب الهزل والهذر.

بعد موكب الصوباشي تأتي عدة مواكب: المزارعون، البستانيون، السقاءون الحمالون، محترفو صناعة الزيت الحار «زيت حارجية» المعماريون، النجارون، الخبازون، وتجار الغلال، الجزارون، الطباخون، البقالون، وأهل السوق وبائعو الصابون والحمص، الجراحون، السيوفية، الحدادون، النحاسون، الصاغة، الخياطون، الخيامون، القواسون،

العزاءون، نساجو الكسوة الشريفة، الدباغون، صناع الأحذية، السراجون، العطارون، الحلاقون، والمزينون، حرفة نقش الأقواس، تجار خان الخليلي، البهلوانات، والعازفون، وغيرهم من موكب الجيش المصري.

يصل هذا الموكب إلى سراي القاضي «بيت القاضي» فيستقبلهم، يقدم لهم القهوة، والبخور الوردي، ويقوم المحتسب بسؤال القاضي عما إذا كانت هذه الليلة هى ليلة رمضان وصباحها يوم الصيام أو يوم الشك؟، يأمر القاضي بإحضار مشايخ المذاهب الأربعة، وإذا ثبتت الرؤية تقدم الحجة الشرعية إلى المحتسب الذي يرسل كتخداه حاملا إياها إلى الباشا مبشرًا بحلول رمضان، تنار منارات المساجد والجوامع، وتطلق من مدافع القلعة أربعون أو خمسون طلقة ترتج الأرض من دويها، في نصف الليل يذهب الناس إلى المساجد لإقامة صلاة التراويح وينوون الصيام صباحها، ويقوم أهل الحرف بضروب الألعاب والصخب والجلبة ويقدم اللاعبون سبعة آلاف لعبة وسط الغناء والعزف، ومن المعروف أن جميع أهل الحرف يسهمون في مصاريف حفل ليلة المحتسب سواء ثبت الهلال أم لم يثبت، يأخذها المحتسب من المائة والستين صنفًا من أهل الحرف والصنائع الذين يخضعون له ويأتمرون بأمره.

أما عن ليلة الرؤية وموكبها خلال فترة الحملة الفرنسية (١٧٩٨/ ١٨٠١م) على مصر؛ فيصفها المهندس والجغرافي والأثري الفرنسي «آدم فرانسوا جومار» أحد علماء الحملة الفرنسية في الجزء الثامن عشر من موسوعة وصف مصر، قائلا: يبدأ رمضان في ميلاد هلال هذا الشهر، ويعلن عن ذلك موكب احتفالي يسبق بداية الشهر بيومين ويتكون هذا الموكب من حشد كبير من الرجال، يحمل بعضهم المشاعل وبعضهم الآخر يحمل عصا، يقومون بأداء حركات مختلفة بها، ويفتتح سير الموكب آلاتية يمتطون ظهور الجمال، يضربون كوسًا معدنية، بينما يمتطي آلاتية آخرون ظهور الحمير، ويضربون كذلك على الطبل، أو يعزفون على بعض آلات النفخ الأكثر صخابة، والتي يمكن أن نتصورها، ويأتي بعد ذلك رجال يرتدون لباسًا أحمر، وعلي رءوسهم قلنسوات عالية، متصل بها ثوب أحمر فضفاض يسقط على الظهر ومقدمة القلنسوة مزينة بالنحاس، وهو لباس مشابه للباس الانكشارية، ويختم الموكب شيوخ ممتطون صهوة خيول مجللة بفخامة.

عين أخرى رصدت ذلك الاحتفال في عهد «محمد علي»، وهي عين المستشرق الإنجليزي «إدوار لين» الذي يصف مشهد الرؤية في ذلك العصر بقوله: والليلة التي يتوقع أن يبدأ صبيحتها الصيام تسمَّى ليلة الرؤية، فيُرسَل عددٌ من الأشخاص الثقاة إلى مساحة عدة أميال في الصحراء؛ حيث يصفو الجو لكي يروا هلال رمضان، بينما يبدأ من القلعة موكب الرؤية الذي يضم المحتسب وشيوخ التجار وأرباب الحرف والطحانين والخبازين والجزارين والزيَّاتين والفكهانيين. وتتقدَّم الموكب فرقة من الجنود، ويمضي الموكب حتى ساحة بيت القاضي، ويمكثون في انتظار من ذهبوا لرؤية الهلال، وعندما يصل نبأ ثبوت رؤية هلال رمضان يتبادل الجميع التهاني، ويسير الدراويش في مجموعات يطوفون أحياء القاهرة وهم يصيحون (يا أمة خير الأنام.. صيام.. صيام)، أما إذا لم تثبت الرؤية في تلك الليلة فيكون النداء (غدًا متمّم لشهر شعبان.. فطار.. فطار).

موكب الرؤية في العصر الحديث

في عهد خلفاء محمد علي؛ انتقل إثبات رؤية الهلال الي المحكمة الشرعية بباب الخلق، وكان يحتفل برؤية الهلال احتفالا عظيمًا. ففي عهد السلطان عباس حلمي الثاني كان موكب الرؤيا يخرج من محافظة القاهرة إلى المحكمة الشرعية، تتقدمه الموسيقى والجنود والتجار ومشايخ الحرف بطبولهم. فهذا موكب أرباب الحرف على عربات مزينة بالزهور والأوراق الملونة، وهذا موكب الطرق الصوفية بشاراتهم وراياتهم وبيارقهم، وفرق محدودة من الجيش والبوليس بموسيقاها العسكرية المميزة، وكانت هذه المواكب تمر بقصر البكري بالخرنفش؛ حيث نقيب السادة الأشراف وأمراء الدولة والأعيان يستقبلون وفود المهنئين، وتوزع المرطبات، ويتبادل الجميع التهاني، بينما مدافع القلعة والعباسية تدوي، وتطلق الألعاب النارية وتضاء الأسواق والشوارع.. والقباب والمآذن[٢٣].

وفي عددها الصادر في ٢٩ شعبان ١٣١٩ هـ / ١١ ديسمبر ١٩٠١م، تحدثت جريدة الأهرام عن استعدادات الدولة للاحتفاء باستطلاع الرؤية، قائلة: في الساعة الثالثة والنصف يجتمع أرباب الطرق في محافظة القاهرة ويسيرون موكبًا يهلل ويكبر

إلى المحكمـة الشرعية لإثبات رؤية الهلال، ويسـير في الموكب أورطة من البيادة تتقدمها موسـيقاها وعند ثبوت الرؤية تطلق المدافع تبشـيرًا برؤية الهلال، ويصبح المسـلمون في الغد صائمين.

وفي الأربعينيـات إبان العهد الملكي اتخذ موكب اسـتطلاع الهلال طبيعة أسـطورية؛ فمـن مقر محافظـة القاهرة كان الموكـب ينطلـق إلى دار المحكمة الشرعيـة العليا تتقدمه الموسـيقى وفرقة من الجيش وقوة من مشـاة البوليس ومن خلفهم الشـعب بكل أطيافه وكانـت تتـم عملية الاسـتطلاع في مرصد حلـوان ومصلحة الطبيعيـات، وإذا ما ثبتت الرؤيـة أذيـع الخبر في جميع أنحاء المملكة عبر محطـات الراديو ومآذن الجوامع، وعلى أثر ذلك تنطلق المدافع من فوق القلعة إيذانًا ببدء الشهر الكريم. وكان الملك يحضر في هذه الاحتفالات وقد جرت العادة أن يوجه رسالة إلى الشعب في أول أيام رمضان يهنئه فيها بقدوم الشهر الكريم.

ويصف الأديب يحيي حقي (١٩٠٥-١٩٩٢م) موكب ليلة الرؤية كما عاينه في كتابه «فيض الكريم» بقوله: في مقدمة الموكب موسيقى السواري، يبهرنا ضارب الطبلة المغلفة بجلد فوق حصان، ونقول في سرنا: كيف يقود حصانه دون أن يمسك بلجامه، ثم تأتي شـلة من المشـاة فتدمع عيوننا ونحن نحس لرؤيتهم بالعزة والمتعة. ثم.. ثم.. يا للفرحة موكـب أرباب المهن الشـعبية، المعلم وحـده في تلاميذه وأولاده.. هاهـم النجارون في أيديهم المقدمة يمشي مشـية البطل وراءه صفوف من أقواسهم، وهاهم مبيضو النحاس قـد تحزمـوا كأنما على اسـتعداد لدعـك الأواني بأقدامهم في رقصة تشـبه رقص حلقات الذكـر، وأخـيرًا هاهم الحلاقـون. ولكن ماذا تظنهـم يفعلون؟ ركب نفـر منهم «عربية كارو» في يد واحد منهم فردة حذاء قديمة - برطوشـة - يتصنع أنه يحلق بها ذقن زميل له غارقة في رغاوي الصابون ولا يأبه لمحاولاته الزوغان من هذا السلاح العجيب. كان لـه مهنة رباطها وتقاليدها ومعلمها الذي يشـهد للصبي ببلوغ مرتبة الأسـتاذ فيحق له الاستقلال في عمله، ينسى الصبي يومئذ من حلاوة الفرح ما أصابه من ضرب وعذاب يد من كان يتدرب على يديه. تؤلف بين الجميع تلك الليلة هزة دينية فلا يصدر منهم في هذا الموكب فعل عن زيف وافتعال».

هكذا كانت مواكب الرؤية والاحتفال بقدوم الشهر الكريم تجري في كل بقاع مصر، باشتراك طوائف الشعب والمسئولين، ثم أخذت تتقلص تدريجيًا، حتى توقفت تمامًا في السنوات الأخيرة واقتصر إعلان مقدم شهر رمضان على الاحتفال الذي تقيمه دار الإفتاء بمقرها، ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان، حيث يقوم مفتي الديار المصرية بإذاعة بيان يفيد إذا ما كان شهر شعبان ثلاثين يومًا أم تسعة وعشرين. ففى عهد عبد الناصر اختفت مواكب الرؤية التقليدية في صورتها الأسطورية السابقة، واتساقا مع أهداف الثورة فقد كان الموكب الرسمي لاستطلاع الهلال يبدأ من محافظة القاهرة وتشترك فيه عربات أعدتها المصانع والشركات والعمال كما يشترك في الموكب أيضًا فرق الموسيقى والمدارس العسكرية والمصانع الحربية، وكان هذا الموكب يتجمع في ميدان التحرير في ليلة الرؤية، ويطلق الصواريخ لمدة ساعة في المساء إيذانًا ببدء الشهر الكريم، وكان هذا الاحتفال يتكرر في ليلة غزوة بدر وليلة القدر(٢٤).

وظل موكب الرؤية الرسمى يأخذ فى الاندثار تدريجيًا في عهدى السادات ومبارك بدعاوى أمنية، حتى اختفى تمامًا من مشهد الحياة المصرية.

ورغم اندثار الموكب الرسمى لاستطلاع الهلال والاحتفال برؤيته على المستوى الرسمى، إلا أن الاحتفال بمقدم رمضان ما زال يحظى بتقدير خاص من طبقات الشعب ويعدون له العدة، كل بحسب تقاليده وما تتيحه له الإمكانات، حيث مازالت معظم محافظات مصر تحرص على الاحتفال برؤية الهلال، إذ يتجمع ممثلو الطرق الصوفية وأصحاب الحرف وممثلو السلطات المحلية والتنفيذية في مواكب منظمة من عند أشهر المساجد في كل محافظة، يجوبون الشوارع الرئيسية حاملين البيارق والأعلام ومرددين الهتافات والأذكار الدينية ابتهاجًا بثبوت الرؤية، وقد تظهر بعض التنويعات في شكل احتفالية ليلة الرؤية.

ففي محافظة البحر الأحمر يستقبل الأهالي ليلة الرؤية بسباق للهجن، ويرقصون رقصاتهم الشهيرة مثل (الهوسيب) (الواندوب) (البيوب).

وفي محافظة الشرقية مثلا يتجمع شباب كل شارع بعد ثبوت الرؤية يطلقون الألعاب النارية ويظلون هكذا حتى موعد سحور أول يوم، فينضمون للمسحراتي في أول جولاته اليومية لإيقاظ الصائمين لتناول طعام سحور أول ليالي رمضان.

وفي محافظة الإسماعيلية بقرية منشية الشهداء يتجمع الشباب أمام مسجد وضريح الشيخ حسن، أحد مشايخ القرية حاملين مجسمًا مصغرًا من ضريح الشيخ حسن على عربة كارو، ويلفون المجسم المصغر بوشاح أخضر مطبوع بالعبارات الدينية ويطوفون به شوارع القرية، ثم تنتهي جولتهم عند الضريح وهم يهتفون (وحوي ي.. وحوي ي)[٢٥].

وعن استقبال هذه اللحظات فى النوبة القديمة، يروى محمد خليل قاسم فى روايته «الشمندورة» أنه ما إن كان يرتفع من المئذنة العالية صوت المؤذن يسبح، ويعلن فى النجع كله رؤية هلال رمضان.. ويهتف فى كلمات منغومة:

- ياعباد الله.. وحدوا الله.

ويهبط درج المئذنة فى أناة حتى يستقبله عند الباب الصغار بالتهليل والصياح ويرجون الأرض بأقدامهم وهم يتحلقون حوله ويطوفون معه دروب النجع، داقين بقبضاتهم على كل باب، مرددين.. وحدوا الله ياعباد الله.

وفي الوادي الجديد يبدأ احتفال البدو بالشهر الكريم بخروج مئات من الشباب حاملين الطبول والمزمار البلدي ليجوبوا أنحاء القرية، ويكون للأطفال نصيب الأسد من هذه الاحتفالية، إذ يرتدون ملابس جديدة كأنه يوم العيد، فيما يزور الكبار أقاربهم وجيرانهم في منازلهم لتقديم التهنئة، والاتفاق على تقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين دون أن يشعر بهم أحد[٢٦].

وفى سيناء، حين يثبت أن الغد هو أول يوم من رمضان يجهز أبناء البادية مائدة غذاء ضخمة يدعون إليها الأحبة والأقارب وأبناء السبيل والغرباء تسمى هذه المائدة بالغدوة الطويلة؛ أي أنهم اعتبارًا من غد سوف ينقطعون تمامًا عن الغذاء ويبدأ الصيام، والهدف من إنشاء هذه المائدة ليس الطعام بل الأمر أكبر من ذلك فالهدف الأساسي هو أن يجتمع أبناء القبائل ويخبرونهم أن القضاء العرفي قد توقف وأيضًا الزواج والخطبة يرجئان إلى ما بعد انقضاء العيد الصغير، ويجب على الجميع أن يبحث عن أرقاء الحال والمساكين لتكون الصدقة منذ اليوم الأول كما يتم تحديد الأيتام لإرسال مبالغ نقدية لهم تكفيهم طول شهر رمضان، وهكذا تبحث الغدوة الطويلة الخطة المستقبلية لرمضان مع بداية أول يوم[٢٧].

الهوامش

(١) المراد بالرؤية: الرؤية الليلية (انظر: السيد سابق، فقه السنة).

(٢) محمود الشرقاوي: شهر رمضان عادات ونوادر، مجلة العربى، العدد ٤١٢ - مارس ١٩٩٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي هيئة الكتاب، مصر ١٩٨٥م.

(٥) انظر: فؤاد سعيد وهبة، تحديده فلكيًا.. لا يمكن الاعتماد عليه!، مجلة العربى، العدد ٥٤٠ - ٢٠٠٣/١١، الكويت.

(٦) أحمد سليم: عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائى، بتصرف يسير.

(٧) أحمد سليم: حكايات رمضانية سيناوية، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/٨/٢٠٠٩.

(٨) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ١/٩/٢٠٠٨.

(٩) شوقى عبد القوى حبيب: الاحتفالات الدينية فى الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠، ص٨٢.

(١٠) حسن عبد الوهاب: رمضان، مرجع سابق، ص ٣١- ٣٢.

(١١) شوقى حبيب: الاحتفالات الرمضانية.

(١٢) قاسم عبده قاسم: رمضان... أقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربى، العدد ٦٣٣ - ٢٠١١/٨

(١٣) راجع: حسن عبد الوهاب، رمضان، مرجع سابق.

(١٤) نفسه.

(١٥) محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.

(١٦) دعاء صالح: رمضان وآب اللهاب، مجلة الثقافة الجديدة.

(١٧) د. قاسم عبده قاسم: رمضان... بأقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربي، العدد ٦٣٣ - ٨/٢٠١١

(١٨) المرجع السابق.

(١٩) نفسه.

(٢٠) انظر: إبراهيم حلمي: «فنون العرض في الاحتفالات الدينية الشعبية»، مجلة فنون الفرجة الشعبية، ع١، ٢٠٠٢.

(٢١) مسعود شومان: رمضان.. دورة حياة، جريدة أخبار الأدب.

(٢٢) بالإحالة إلى: سيد عشماوي، رمضان في مصر المحروسة، مجلة الهلال، أكتوبر ٢٠٠٥

(٢٣) حسن عبد الوهاب، رمضان: مرجع سابق ص ٣١- ٣٢.

(٢٤) محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.

(٢٥) دعاء صالح: رمضان وآب اللهاب، مرجع سابق.

(٢٦) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ١/٩/٢٠٠٨.

(٢٧) أحمد سليم: حكايات رمضانية سيناوية، مرجع سابق.

مظاهر احتفالية

- الإفطار الجماعى والولائم
- مدفع رمضان
- الفانوس
- المشكاوات
- الأسواق فى شهر رمضان
- المقاهى فى شهر رمضان
- الاحتفال بشهر رمضان فى الثقافة الجماهيرية
- ختم القرآن

الإفطار الجماعي والولائم

كان من دواعي السرور والأنس عند المصريين القدماء أن يولموا الولائم ويجمعوا عددًا كبيرًا من الأقارب والأصدقاء حول الموائد لتناول الغداء أو العشاء، وهو ما تمثله مناظر كثيرة على جدران المقابر والمعابد، وكانت تلك المآدب تماثل من كافة النواحي تلك التي كان يقيمها صاحب المقبرة في حياته.

وكان يسبق الولائم حركة كبيرة في المخازن والمطبخ وتجهيز اللحوم وتوضع الفاكهة في أطباق هرمية وتستخرج الكنوس الذهبية، وجرت العادة عند قدوم ضيف عظيم أن يقف رب البيت بباب الدار لاستقباله ثم يدخل بضيوفه يتبادلون التحيات، وبعد ذلك يأخذ كل منهم مكانه في المجلس فيجلس أصحاب المنزلة على مقاعد ذات ظهور عالية مموهة بالزخارف المذهبة والمرصعة، وتخصص بعض المقاعد الفاخرة لكبار المدعوين، أما الباقون فيجلسون على الحصير والخدم والخادمات يطوفون ويوزعون الزهور والعطور بجانب أطباق الطعام؛ ومن هذا يتضح لنا أن إقامة الولائم كانت أمرًا يهتم به المصريون القدماء، الذين سجلوا صورًا لهذه الولائم على جدران مقابرهم كما أن المصورين المسلمين عرضوا لها صورا في مخطوطاتهم[1]، مما يوحى بأنها كانت محل اهتمام منهم.

وتُعد موائد الإفطار الجماعي صورة من صور التراحم والتواصل الاجتماعي في المجتمع المصري، حيث لا تزال معظم الأسر المصرية تحرص على تجمع أفراد الأسرة في إفطار أول يوم وبعض أيام رمضان الأخرى. ففي محافظة البحر الأحمر يقوم شيخ كل قبيلة بتقديم إفطار أول يوم من الشهر الكريم وبعض الأيام لأفراد القبيلة؛ حيث يذبحون الإبل ويقدمون (الجبنة / القهوة) وتسمى تلك العادة في الغردقة (الكرامة) ومثلها في محافظة الوادي الجديد وتسمى (ختمة). وفي محافظة الغربية توجد ظاهرة

لافتـة للنظر؛ حيث يتجمع أطفال قرية «سـنباط» في إفطار جماعـي للأطفال فقط. وفي قريـة ميت يزيد بذات المحافظة يتجمع أهالي القرية على إفطار آخر يوم ويحددون مكانه وسط المقابر على أن تتضمن قائمة الإفطار البيض والحمص[٢].

وفى الوادى الجديد يجتمع أبناء القرية الواحدة يومياً، في المسـجد قبل صلاة المغرب، ثـم يتناولـون وجبة الإفطـار معًا بعـد أن يحضر كل واحـد منهم ما لديه مـن طعام، ثم يجتمعون مرة أخرى عقب صلاة التراويح لتناول وجبة «العتوم» وهى الوجبة الرئيسية طول الشهر[٣].

ويتنـاوب الأهـالي على اسـتضافة بعضهـم البعض فيها، يعقبها سـهرة يشـارك فيها الكبار والصغار يروي فيها الشـيوخ تجاربهم مع الحياة، ويستمع الصغار إلى نصائحهم، وتستمر هذه السهرات إلى ما قبل السحور مباشرة[٤].

أما أبناء واحة الداخلة فمازالوا حتى الآن حريصين على عادة اجتماع العائلة بالكامل في منـزل كبيرهـا لتنـاول وجبة الإفطار، وغير مسـموح لأي شـخص بتنـاول الإفطار بمفرده نهائياً[٥].

وممـا يجـدر ذكره أن معظم الأسر البدوية السـيناوية تقوم في مسـاء آخر ليلة جمعة في رمضان بنحر ذبيحة تسـمي عشـاء الأمـوات. والمقصود بها أن يكـون ثوابها لأمواتهم، حيث يقرءون الفاتحة وأجزاء من القرآن الكريم ترحمًا على الأموات[٦].

وكان مـن عـادة النوبيـين فى رمضـان، أن يتجمع رجـال النجـوع فى العصارى، فى السـاحة يسـلون صيامهم بقراءة الأوراد جلوسًـا على الأبراش الخوصيـة الملونة، ومن حولهم صوان نحاسـية صفـراء رصت فيها القلـل القناوى ذات الأغطية النحاسـية فى وهج الشمس الغاربة، بينما تنهمك السيدات فى المطبخ ، فى التشطيبات الأخيرة لمختلف الأطعمة التى يقدمنها فى الإفطار لأزواجهن المتجمعين فى الساحة.

مدفع رمضان

رغم انتشار الساعات ووسائل الاتصال الحديثة وأجهزة الهواتف المحمولة ومكبرات الصوت؛ إلا أن الصائمين في كافة أرجاء مصر ما زالوا يرتبطون وجدانيًا بالمدفع، ولا يفطرون إلا بعد سماع دوي طلقاته، بل ويحرص العديد منهم على الذهاب إلى مكان المدفع ورؤيته وهو ينطلق، فقد قامت الحكومة بتعميم فكرة المدفع في كل المحافظات، حيث يكون مكانه غالبًا بجوار مبنى المحافظة أو على شاطئ النيل.

قصة هذا المدفع تقدمها لنا ثلاث روايات، تفسر كيفية دخوله إلى الحياة المصرية، وارتباطه بشهر رمضان.

الرواية الأولى ترجع إلى عهد الوالي المملوكي «خوش قدم» الذي كان قد تلقى مدفعًا هدية من أحد المصانع الألمانية، وفي أول يوم من رمضان عام ٨٦٩ هـ، الموافق ٢٦ من إبريل ١٤٦٥م، أمر الوالي بتجربة المدفع، ومع غروب شمس ذلك اليوم دوت أول طلقة في سماء القاهرة، فظن الصائمون أن هذا إيذانًا لهم بالإفطار، وفرحوا بذلك التقليد الجديد واستحسنوا ذلك الاختراع وفي اليوم التالي تجمع الناس بانتظار انطلاق المدفع، وعلم الوالي بسبب تجمهر الناس فما كان منه إلا أن أمر بأن يطلق المدفع عند غروب الشمس طول أيام رمضان.

الرواية الثانية تعود إلى عهد الوالي محمد علي، الذي قام بشراء عدد من المدافع الحربية ضمن تخطيطه لبناء الجيش المصري، وتصادف تجريب أحد تلك المدافع لحظة غروب شمس أحد أيام رمضان، فحسب الناس أن هذه طريقة جديدة لإعلامهم بوقت الإفطار، وفرحوا بها، وطلبوا من الوالي أن تستمر طول أيام شهر رمضان، فاستجاب لطلبهم، وأصبح المدفع يطلق مرة عند وقت الإفطار وأخرى وقت الإمساك.

أما ثالث هذه الروايات وأشهرها فهي الرواية التي تدور في عهد الخديو إسماعيل، والتي تقول: إن بعض جنود الخديو كانوا يقومون بتنظيف المدافع الحربية الموجودة بالقلعة، فانطلقت قذيفة من أحد المدافع، وتصادف أن توافق وقت انطلاقها مع لحظة الغروب، فاعتقد الناس أن هذا أسلوب جديد اتبعته الحكومة لإبلاغهم بوقت الإفطار، وأصبحوا يتحدثون عن ذلك الأسلوب باستحسان شديد، وعلمت الحاجة فاطمة ابنة الخديو إسماعيل بالأمر فأعجبتها الفكرة، وأصدرت أوامرها بأن ينطلق المدفع وقت الغروب والإمساك خلال شهر رمضان وكذلك في الأعياد الرسمية.

منذ ذلك الوقت ارتبط مدفع رمضان باسم الحاجة فاطمة، وأصبحوا يطلقون عليه «مدفع الحاجة فاطمة».

ويستدل من مشاهدات الرحالة الأيرلندي «ريتشارد بيرتون» لرمضان فى القاهرة (١٨٢١-١٨٩٠) أنه كان هناك مدفعان ينطلقان فى أجواء القاهرة إعلانًا لموعد الإفطار، الأول ينطلق من القلعة، والثانى ينطلق من قصر العباسية (سراى عباس باشا الأول). (انظر: شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين).

ولمدفع رمضان قصة شهيرة تتردد فى مدينة العريش، فقد كان المدفع قابعًا أمام قسم الشرطة بميدان البلدية الرئيسي بالعريش، الذي استولت عليه إسرائيل بعد الاحتلال، وعندما أرادت إسرائيل إحياء الطقوس الرمضانية نصبت مدفعًا آخر للإفطار والسحور في محاولة يائسة لكسب مشاعر المواطنين الصائمين من الصامدين، إلا أنهم لم يستجيبوا له واعتمدوا على مدفع الإذاعة المصرية فقد اعتبروه رسالة من الوطن الأم مصر لتشجيعهم على الصمود والتحدي(٧).

الفانوس

الفانوس واحد من أبرز المظاهر الرمضانية التي تحظي بإقبال الصغار والكبار معًا، إذ لا يكاد يخلو بيت أو شارع من وجود الفانوس في شهر رمضان، سواء في أيدي الأطفال وهم يدورون به، فرحين في الشوارع، يرددون الأغاني التي ترتبط به، وأشهرها: «وحوي ياوحوي»، و«ادونا العادة» و «حالو يا حالو»، أو معلقًا أمام البيوت وفي الشرفات كوسيلة للإضاءة وإنارة الطرق.

والفانونس فى تعريفه العلمى هو: جهاز يقي مصدر الضوء من الريح أو المطر.

أما من الناحية اللغوية فإن الفانوس يعني: النمام، لأنه يكشف عن المستور ويبين ماخفي. ويذكر بعض المؤرخين: أن الفانوس كلمة إغريقية الأصل، تشير إلى إحدى وسائل الإضاءة والقناديل والشمعدانات التى استخدمها الرومان، وأن جوانبه كانت تصنع من القرون الرفيعة، لحماية المشاعل الزيتية، وهذا النوع من الفوانيس ظل يستعمل حتى العصور الوسطى. ويرجح الباحثون بأنّ فكرة فانوس السحور كأحد المظاهر التقليدية المنتشرة في مدن الإسلام قد ظهرت أولا في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة، ومنها انتشر الفانوس إلى كل الأقطار الإسلامية. (انظر: المسحراتى).

ويشير الأستاذ «مصطفى عبد الرحمن»، في كتابه «رمضانيات»، أن الفانوس استخدم في صدر الإسلام في الإضاءة ليلا للذهاب إلى المساجد والزيارة ليلا للأصدقاء والأقارب، واستعمل كذلك لتنبيه الصائمين في وقت السحور فإن معنى إطفائه أن وقت منع الطعام والشراب قد حان.

أما ارتباط الفانوس بشهر رمضان، فقد بدأ مع استقبال المصريين في الخامس من رمضان عام ٣٥٨ هجرية للمعز لدين الله الفاطمي وكان قدومه إليها ليلا، فاستقبله

أهلهـا حاملـين مشـاعل ملفوفة مـن الجوانب، ربـما كانت هـى ملهمة فكـرة الفانوس المعروف الآن.

وبعـد أن كان الفانوس يسـتعمل للإضاءة، جدت له بدعـة جديدة إذ حمله الأطفال بعـد طعام الإفطار في شـهر رمضان المبـارك، وراحوا يطوفون به في الشـوارع والأزقة، يطالبون بالهدايا من أنواع الحلوى.

ويذكـر بعـض المؤرخين أن الخليفـة «العزيز بالله» هو أول من أمـر بوضع الفوانيس أمام البيوت للإضاءة. كما أن الخليفة «الحاكم بأمر الله» هو أول من أمرَ الناس بأن يحمل كل منهم فانوسًا مضاء أثناء سيره في الطريق طول رمضان.

وقـد ذكـر الرحالة الأندلسي «ابن الحـاج» الذي زار مصر خـلال القرن الرابع عشر الميـلادي/ الثامـن الهجـري، أنـه كانت من عـادة المصريـين في ذلك العـصر أن يعلقوا الفوانيـس.. التـي جعلوهـا علما على جـواز الأكل والـشرب وغيرهما مادامـت معلقة موقـودة. ومـن العادات التي ارتبطت بالفانوس آنذاك، عدم خروج المرأة ليلاً في شـهر رمضان أو غيره من الشـهور إلا ويتقدمها صبي يحمل في يده فانوسـاً مضاءً ليعلم المارة أن إحدى السيدات تسير كي يفسحوا لها الطريق.

ووصف المقريزي فوانيس رمضان التى كانت تباع بسـوق «الشـماعين» بقوله: «كان البعـض منهـا يزن عشرة أرطال ٤،٥ كجم- تقريبًـا، وكان البعض الآخر من الضخامة بحيـث ينقل على محجل إذا وصل وزنه إلى قنطار». وكانت منطقة تحت الربع منذ القدم وحتى اليوم المركز الرئيسي لصناعة فوانيس رمضان بالقاهرة[٩].(انظر الأسواق فى شهر رمضان).

وكان ليل المدن المصرية، والقاهرة في مقدمتها، يتحول إلى نهار بفعل تلك المئات من المشـاعل والفوانيس والشموع المقادة في الأسـواق والحوانيت، وعلى الحبال الممتدة بين مآذن المساجد عبر الشوارع، وفي أيدى الناس السائرين بالطرقات.

أمـا في الدولـة العباسـية فيقول أحمد بن يوسـف، أحـد كتابها: أمرني المأمون -أول خليفـة عباسي يزور مصر، حكم خلال الفـترة (١٩٨-٢١٨هـ - ٨١٣-٨٣٣م) - أن أكتب إلى جميع العمال في أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح في شهر رمضان وتعريفهم

مـا في ذلـك من الفضل، فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك إذا لم يسـبقني إليه أحد فأسـلك طريقـه ومذهبه. فقلت وقت نصف النهار، فآتـاني آت فقال: قل: فإن في ذلك أنسًـا للسـائلة وإضاءة للمجتهدين، ونفيًا لمكان الريب، وتنزيهًا لبيوت الله من وحشـة الظلمة. فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو في معناه».

ويقال إنه فى زمن الخلافة العثمانية كان الوالي العثماني يصادر أكبر وأجمل فانوس من صاحبه ليرسل به كل عام إلى الأستانة.

وتتركـز صناعـة الفوانيـس حاليًـا في مدينة القاهـرة في أحياء: تحت الربـع والدرب الأحمر وبركـة الفيل، وشـارع السـد بالسـيدة زينـب، ويسـمى الحرفي الـذي يعمل في صناعـة الفوانيس بـ «السـمكري البلدي».ومن أشـهر أنواع الفوانيـس المنتشرة حاليًا: «المقرنص المسـتلهم اسمه وشـكله من المقرنصة الإسـلامية، وتاج الملك نسبة إلى التاج الملكي، وفاروق نسـبة إلى الملك فاروق، والبرلمان لكون قبته تشـبه قبة البرلمان، والفنار عـلى هيئـة فنار الإسـكندرية، وفانوس نجمة لكون هيئته تشـبه النجمة، وشـقة البطيخ لتشكيل جوانبه على هيئة شقة البطيخ، وأبو أولاد الذي يتكون من فانوس كبير وبعض الفوانيـس الصغـيرة التي تثبت في جوانبه، وطار العالمة لاتخاذ جوانبه شـكل الطار التي تزف به العالمة العروس»[١٠].

وقد حظى فانوس السحور بنصيب وافر من اهتمام الأدباء والشعراء، الذين وجدوا فيه رمزًا أثيرا محببا إلى النفس، فقد جلس بعض الأدباء بصحن جامع عمرو بن العاص في أوائـل القرن السـابع الهجري - الثالث عشر الميلادي- في إحـدى ليالي رمضان وقد أوقد فانوس السـحور، فاقترح بعض الجالسين على الأديب أبي الحجاج يوسف بن على أن يصنع في الفانوس طلبًا لتعجيزه ولكنه أنشد قائلاً:

وَنَجْمٍ مِنَ الفَانُوسِ يُشْرِقُ ضَوْؤُهُ ... ولكنّـــهُ دُوْنَ الكَوَاكِبِ لا يَسْرِي

وَلَمْ أرَ نَجْمــاً قطُّ قَبْــلَ طُلُوعِــهِ ... إذا غَابَ يَنْهِي الصَائِمِينَ عَنْ الفِطْرِ

فعارضـه عـلى بـن ظافر مؤكـداً أن هذا تعجـبٌ لا يصح؛ لأنه والحاضريـن قد رأوا نجوماً لا تدخل تحت الحصر إذا غابت تنهي الصائمين عن الفطر، وهى نجوم الصباح، وهنا شحذ أبو الحجاج فكره وأنشد:

هذا لِوَاءُ سَحُورٍ يُستضـاءُ بِهِ وعَسْكَرُ الشُّهبِ في الظّلماءِ جَرّارُ

والصَّائِمُونَ جَمِيْعاً يَهتدُونَ بِهِ - كأنّــهُ عَــلَمٌ في رَأســِهِ نَــارُ

يقـول «علي بن ظاهـر الأزدي» وكان حاضرًا ذلك المجلس: فلما أصبحنا سـمع من كان غائباً من أصحابنا في ليلتنا ما جرى، فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد وأنشد:

أحْبِبْ بفانُوسٍ غَدا صَاعِدا وضَوؤُهُ دَانٍ مِنَ العَيْـنِ

كذلك أنشد القاضي أبو الحسن بن نبيه في فانوس السحور:

حبّذا في الصِّيامِ مِئْذَنَةُ الجا مِعِ واللّيــلُ مُسْــبِلٌ أذيَالَهْ

خِلتُها والفَانُوسُ إذ رَفَعَتْهُ صَائِدا واقِفـاً لِصَـيْدِ غَزَالهْ

وقال أبو الفضل جعفر في الفانوس:

كأنَّما الفَـانُوسُ في صَــارِيَةٍ مـا اتّقَـــدَا

لِوَاءُ نَصْرٍ مُذهّبٍ فِي رَأسِ رُمْحٍ عُقِـــدَا

**

وفى فانوس السحور أنشد كذلك «على بن ظافر»:

ألست ترى شخص المنار وعوده عليه لفانوس السحــور لهيب

نراه يراعي الصبح ليــلاً فإن دنا طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاها لعشـق ففر إذ درى أن رومي الصباح قريب

ويقول ابن نفطويه:

نصبوا لواء للسحور وأوقدوا في رأســـه نـاراً لمـن يترصــد

فكـأنه ســبابة قــد قمـعت ذهباً وقامت في الدجى تتشهد[١١]

**

وذكـر أحمد بن يوسـف الكاتب بأنّ الخليفـة العباسي المأمون بن هارون الرشـيد قد أمـره بالكتابـة ليحثوا الناس على الإكثار من المصابيح في شـهر رمضان لما لها من فضل. ويقول أحمد بن يوسف: فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك، إذ لم يسبقني إليه أحد، فاسـلك طريقـه ومذهبه، وأضاف: فبعد أن نمت أتـاني آت فقال لي: أكتب فإن في ذلك أنسـا للسـابلة وإضاءة للمتهجدين، ونفيًا لرمضان الريب، وتنزيهًا لبيوت الله عز وجل من وحشـة الظلم. فانتبهت وقد انفتح لي ما أريـد، فابتدأت بهذا وأتممت عليـه وصف ابن يوسف القيرواني صاحب العمدة هلال الصيام:

لاحَ لِي حاجِبُ الهِـلالِ عَشِيًّا   فتَمَنَّيتُ أنّـهُ مِنْ سَـحَابِ

قُلْتُ أهلاً، وليسَ أهلاً لما قُلْـ   ـتُ ولكن أسْمَعْتُها أصْحَابِي[١٢]

***

وإن كان الفانوس التقليدى قد اختفى بصورة كبيرة من الحياة المصرية، وحل مكانه الفانوس المسـتورد، الذى يعمل بالبطارية والفانوس الإلكترونى، إلا أن الأطفال فى مصر ما زالوا يرتبطون بالفانوس ارتباطًا قويًا ويحرصون على اقتنائه مع مقدم رمضان، حيـث ارتبط الفانوس وثيقًا بلعب الأطفـال ومرحهم خلال ليالى رمضان، ودبجت فيه الأغانى المصاحبة للعب، وقد فرض الفانوس حضوره على العديد من الأغنيات الإذاعيـة الرمضانية، التى التفت حوله واسـتلهمته فى الكتابة. كما كان الفانوس مادة اجتماعية وفيرة، راح ينهل منها العديد من الكُتَّاب أعمالهم السردية. تصور لنا د. سهير القلماوى فى قصتها «نوبية تعبر النهر» من مجموعتها «أحاديث جدتى» مظاهر احتفال الأطفـال بليالى رمضان، وهـم يدورون بين البيوت حاملين فوانيسـهم، حيث تحمل الصبية فانوسـها ومن ورائها الأطفال يغنون عند أبواب البيوت، فإذا ما فازوا بشىء مـن هـذا البيت أو ذاك؛ تقوم الصبية بتوزيعه بالعدل بين رفاقها. وتظهر القصة لنا أن كل مجموعة من الأطفال لها قائد يحمل الفانوس وينشـد، أما الباقون فيسـيرون خلفه ويرددون غناءه[١٣]. كما يصور القاص «إبراهيم المصرى» فى قصة «بنت السلطان» من مجموعته «كأس الحياة»، مأساة الطفلة فتحية التى لا تملك فانوسًا تخرج به مع أقرانها.

المشكاوات

لا شك أن مواعيد تناول الإفطار والسحور أثناء شهر رمضان ، قد أعطت لوحدات الإضاءة الإسلامية أهمية خاصة خلال هذا الشهر، وكانت المواد التي تصنع منها هذه الوحدات، تعد مؤشراً صادقاً على الحالة المادية لمن يستعملونها. فبينما كانت بيوت الفقراء تضاء بواسطة المسارج الفخارية، التي تستعمل الزيوت و الفتيل، كانت منازل وقصور التجار والأغنياء مغمورة بأضواء الشمعدانات والتنانير أو الثريات، وجميعها مصنوعة من المعادن وإن اختلفت في مواد الإضاءة.

فالشمعدانات كانت مجرد حوامل معدنية للشمع الكبيرة، توضع عادة في قاعات الاستقبال بالمنازل، حيث كان رب البيت يتناول طعامه مع من يستضيفهم من الفقراء أو الأصدقاء، وخاصة في وقت الإفطار. ويندر أن يستخدم الشمعدان في المساجد والجوامع؛ لأن مجال إضاءة الشموع ضيق نسبياً، ولا يجدي كثيراً في المساحات الشاسعة والمفتوحة لتيارات الهواء. وإن كان الرحالة ابن جبير قد لاحظ في رحلته لمكة في رمضان من عام ٥٧٨هـ / ١١٨٣م أن الشمعدانات الضخمة كانت تستعمل في إضاءة بعض جوانب الحرم المكي خلال أداء صلاة التراويح.

وتعد التنانير أو الثريات أكثر وحدات الإضاءة الإسلامية احتفاء بمقدم شهر رمضان سواء في بيوت الأغنياء أو الجوامع.

والتنور كتلة معدنية يتضاءل الشمعدان إلى جوارها، وتختلف في حجمها بحسب ثراء صاحبها وأيضاً تبعاً للسقف الذي تعلق فيه. وفي كل تنور أكثر من مصباح يستعمل للإضاءة، وإلى حد بعيد يمكن اعتبار التنانير الإسلامية الأصل في الثريات الحديثة المستعملة الآن[١٤].

***

وتعد المشكاوات[١٥] من أهم أدوات الإضاءة التي استخدمت في العصور الوسطى وخاصة في مصر والشام، واحتلت مكاناً أثيراً في أوقات الاستزادة من الإضاءة خلال شهر رمضان.

وتشهد صناعة الزجاج في مصر الآن على وجه الخصوص، محاولات جادة لاستيحاء أشكال المشكاوات في إنارة المساجد والجوامع والأماكن السياحية وإن حل المصباح الكهربائي مكان مصباح الزيت والفتيل. ولا بد من الاعتراف بأن هذه المحاولات لم تتجاوز بعد حيز «الشكل» أو «الهيكل»، إلى استخدام ألوان الذهب والمينا والأشكال والموضوعات الزخرفية، التي اشتهرت بها المشكاوات المملوكية[١٦]. (انظر: الفانوس).

الأسواق في شهر رمضان

كانت القاهرة منذ نشأتها مركزاً للتجارة العالمية، وانعكس ذلك على حركة البيع والشراء بها، فأصبحت أسواقها أكثر بقاعها ازدحاماً وضجيجاً، وخلال شهر رمضان كان الازدحام على الحوانيت أكثر المظاهر إثارة وتشويقاً في أسواق القاهرة، خاصة وأن أهلها حسبما لاحظ الرحالة كانوا يشترون طعامهم مطهياً من الأسواق، واستمر هذا الوضع حتى مقدم الحملة الفرنسية في نهاية القرن ١٨ م ، ويعزى ذلك إلى قلة «الوقود» اللازم لعمليات الطهي بالمنازل وارتفاع أسعاره. ولا شك أن الفترة المحددة للإفطار، وهي لحظة الغروب، كان يسبقها صخب يمتد إلى وقت السحور.

وقد أمدنا الرحالة المغربي «العبدري» بصورة حية لما كان عليه حال سوق «بين القصرين» في أواخر شهر رمضان من عام ٦٨٨ هـ، إذ صادفه سوء الحظ فنزل بالمدرسة الكاملية المطلة على السوق، فقال: كنت قلما أرقد إلا منغصاً لصياح الباعة وهم يبيعون طول الليل وقلما يكون طعام الشريف منهم والوضيع إلا من السوق، والطرق غاصة بالخلق حتى ترى الماشي فيها لا هم له سوى التحفظ من دوس الدواب إياه ولا يمكنه تأمل شيء في السوق؛ لأن الخلق مندفعون فيها مثل اندفاع السيل. وقد ضاعت لي بها دابة بسبب الزحام. كان عليها شخص راكب فتكاثر عليه الزحام حتى أسقط عنها، واندفعت في غمار الخلق ولم يمكنه التوصل إليها وهو يبصرها حتى غابت عنه، وكان آخر العهد بها.

بيد أن هذا الصخب والضجيج كان يتوقف في لحظة واحدة، إذا ما شعر التجار وعامة الناس بنزول المماليك إلى الشوارع للاقتتال، وكثيراً ما كان يحدث ذلك فيسرع أصحاب المتاجر إلى إغلاق أبواب حوانيتهم والهرب بحياتهم خلف أبوابها الضخمة، وتتحول الطرقات والدروب إلى مقبرة للصمت المخيف[١٨].

وهنـاك العديـد من الأسـواق التي كانت تنشـط فيهـا الحركة خلال شـهر رمضان بشـكل خاص، وبالتحديد خلال العصر المملوكي، فكما يقول «المقريزي»: كان سـوق الشـماعين بالنحاسين الذي كان يمتد من جامع الأقمر إلى سوق الدجاجين في القاهرة، من أهم الأسـواق خـلال القرنين الثامن والتاسـع الهجريين، فكان به في شـهر رمضان موسـم عظيم لشراء الشموع الموكبية التي تزن الواحدة «عشرة أرطال» فما دونها، وكان أرباب سـوق الشماعين يحتفلون بمقدم هذا الشـهر بتعليق الفوانيس المتخذة من الشمع عـلى واجهـات الحوانيـت وعلى جوانبهـا، وكانت أحجام الشـموع تتنوع مـا بين كبيرة وصغـيرة فمنها شـموع المواكب الكبيرة ومنها ما يزن عـشرة أرطال ومنها ما يحمل على العجـل ويبلـغ وزن الواحدة منها القنطار، برسـم الركوب لصـلاة التراويح والخروج ليـلا فيمر في شـهر رمضان من ذلك مـا يجل عن الوصف وتسـتمر حوانيته مفتوحة إلى منتصف الليل لكثرة ما يشـتري وما يكتري من الشـموع الموكبية [١٨]. وكانت مشـاهدة هذا السوق في الليل من الأشياء المحببة للمصريين. وبفضل هذا السوق وتقاليد تجارته نشأت فوانيس رمضان التي نعرفها الآن.

ولم يدان سـوق الشماعين حركة ونشاطاً في شهر رمضان سوى الأسواق والحوانيت التي كانت تبيع أصناف الياميش وقمر الدين وعلى رأسها «سوق السكرية» داخل باب زويلة ، وكان يعجُّ بأنواع «الياميش» و«قمر الدين»، وكان البدالون أي أصحاب البقالة يفرشـون على أبـواب محالهم الياميـش وقمر الديـن، وكانت رخيصة السـعر في متناول الجميـع.. حتى كانت تقدم للضيـوف في رمضان للتفكه والتسـلية، بل كانت تبدر على الأطفال الذين يسيرون في زفة بالفوانيس [١٩].

وكانت «سوق الحلاويين»، تروق رؤيته في شهر رمضان، إذ كان من أبهج الأسواق ومن أحسـن الأشـياء منظـرًا؛ حيث كان يصنع فيه من السـكر أشـكال خيول وسـباع وغيرها تسـمى «العلاليق» ترفع بخيوط على الحوانيـت، فمنها ما يزن عشرة أرطال إلى ربع رطل، تشترى للأطفال، فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده.

وكانـت وكالـة «قوصـون» بشـارع بـاب النـصر، التـي ترجـع إلى القـرن الثامـن الهجـري - مقـر تجـار الشـام - ينزلون فيهـا ببضائع بلاد الشـام من الزيـت والصابون والفسـتق والجـوز واللوز والخـروب.. ولمـا تخربت الوكالـة في القرن التاسـع، انتقلت

تجارة المكسرات إلى وكالة مطبخ العمل بالتمبكشية بالجمالية، وكانت مخصصة لبيع أصناف النقل كالجوز واللوز ونحوهما. ومن غرائب ما كان يباع في الأسواق من طعام في شهر رمضان، الدجاج المطبوخ بالسكر، وقد يضاف إليه الفستق فيعرف بالفستقية أو الجوز فيقال له الجوزية[٢٠].

ومما يجدر ذكره أن الأسواق فى العصر المملوكى كانت تخضع لمراقبة المحتسب، وكان يجوس من حين إلى آخر خلال المدينة يتقدمه عامل يحمل الميزان والصنج، وخلفه الجلادون والخدم، وهو يمر على الدكاكين والأسواق واحداً بعد الآخر يفحص الموازين والمكاييل، ويستفسر عن ثمن المأكولات، ويتأكد من نظافتها، وإذا اكتشف مخالفة ينزل العقاب بمرتكبها، وتذكر كتب التاريخ عقوبات فريدة أنزلها المحتسب بالغشاشين، كهذا الرجل الذي كان يبيع الكنافة ناقصة الوزن، فأمر المحتسب بجلوسه عاري المؤخرة فوق صينية الكنافة الساخنة، وأحياناً كان المحتسب يقطع جزءاً من الأذن أو الأنف[٢١].

وكانت السوق تتكون غالبًا تتكون من مجموعة من الدكاكين المتجاورة التى تشتغل فى نفس الصنف، يصف المستشرق الإنجليزي إدوارد لين شكلها خلال العصر العثمانى، بقوله: يتكون الدكان من كوة مربعة الشكل، أو حجرة صغيرة ارتفاعها ستة أقدام أو سبعة تقريباً، وعرضها ثلاثة أقدام أو أربعة، وقد يتألف الدكان من حجرتين تتقدم الواحدة الأخرى وتستعمل الأخيرة مخزناً ويقام أمام الدكان وترتفع المصطبة عادة قرابة قدمين ونصف أو ثلاثة أقدام ويكون عرضها كارتفاعها، وتجهز واجهة الدكان بمصاريع ثلاثة سهلة الطي يعلو بعضها بعضًا فيثنى أعلاها إلى فوق، ويطوى الآخران إلى أسفل فوق المصطبة فتكون مقعداً مستوياً يفرش بالحصر أو البسط أو بالوسائد أحياناً، وتستبدل بعض الدكاكين بالمصاريع السابق ذكرها أبوابًا منثنية ويجلس التاجر غالباً على المصطبة، ما لم يضطر إلى الانسحاب قليلاً داخل الدكان ليخلي المكان لمن يصعد إليه من حرفائه، الذين يخلعون أحذيتهم قبل أن يطأوا الحصيرة أو البساط بأقدامهم ويقدم التاجر الشبك إلى حرفائه الدائمين، أو من يشتري بضاعة كثيرة، إلا إذا كان هؤلاء يحملون شبكهم، ثم يرسل على أقرب مقهى في طلب القهوة التي تقدم في فناجين صغيرة من الخزف الصيني داخل ظرف من النحاس الأحمر[٢٢].

وحاليًا هناك عدد من الأسـواق المصرية التي تنشط خلال هذا الشهر، ومن أشهرها سـوق البلح بحي روض الفرج بشـبرا، الذي يباع فيه ويشـتري كافة أصناف البلح من كل بقاع مصر، إضافة إلى أسواق المكسرات والياميش وقمر الدين بحي بين الصورين، وسـوق الفوانيـس بتحـت الربع وسـوق الملابس بالعتبة والموسـكى. كما أن الأسـواق بالمدن المصرية تشهد نشاطًا ملحوظًا خلال شهر رمضان، وتتواجد هذه الأسواق غالبًا فى الشـارع التجارى الرئيسـى بالمدينة، الذى يكتسب سمتًا خاصًا خلال شهر رمضان، وذلك بعمل سقيفة له من قماش الخيامية لتظليل المارة وحماية البضائع.

المقاهى فى شهر رمضان

تعد المقاهى واحدة من أهم المناشط الاجتماعية فى مصر، فهى مكان للترفيه والبهجة والتقاء الأصدقاء وأبناء المهنة أو الحرفة الواحدة وتبادل الأحاديث حول الموضوعات المختلفة، مما جعلها مجالا لا يمكن إغفاله حال التعرض للتاريخ الاجتماعى لمصر. وهناك العديد من المقاهى النوعية التى اشتهرت بتجمع طائفة معينة فيها ونسبت إليهم، على نحو ما نجد من مقاه تخص الصم والبكم، مثل مقهى الخرس المجاور لسينما كايزو في القاهرة، وأخرى يتجمع عليها الكومبارس العاملون بالسينما، وثالثة لطوائف المعمار، كما يوجد في شارع محمد على مقهى للمنجدين، وفي باب الشعرية مقهى لا يرتاده إلا عمال الأفران البلدية.. إلخ، لذا لم يكن غريبًا أن تقوم المقاهى بأدوار سياسية واجتماعية واقتصادية مهمة، ففى ساحتها تتم الصفقات والاتفاقات، وتتبدل وتتشكل الآراء حول موضوعات الساعة، ومنها انطلقت العديد من المظاهرات السياسية.

وإذا كانت المقاهى تحظى بالإقبال عليها طوال أيام السنة فإنها تحظى فى شهر رمضان بإقبال متزايد، نظرًا لتعود المصريين على قضاء سهراتهم خارج المنازل.

وقد كانت المقاهي خلال العصر العثمانى تخضع للإشراف المباشر من قبل رئيس يشتري لنفسه حق التزامها، وتدفع كل مقهى رسماً صغيراً في بداية السنة الهجرية، وتعفى من دفع هذا الرسم المقاهي الصغيرة، ويستطيع كل من يريد أن يبني قهوة أن يفعل ذلك بمطلق حريته، لكنه لا يستطيع مباشرة العمل فيها قبل الحصول على تفويض من المشرف على الحرفة، الذي كان يلتزم بتقديم مرتكبي المخالفات من أبناء هذه الحرفة إلى العدالة، وتوكل مهمة الإشراف هذه عادة إلى أغا الانكشارية (الكخيا[٢٣] المتولي) الذي يدفع حق هذا الالتزام إلى السلطة[٢٤].

وربما كان أدق وصف وصل إلينا عن المقاهي القاهرية فى العصر العثمانى، ما كتبه المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين، في كتابه «المصريون المحدثون»، حيث يقول: «إن القاهرة بها أكثر من ألف مقهى، والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود، ويقوم على طول الواجهة، ما عدا المدخل، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر، ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثة وعرضها كذلك تقريباً، وفي داخل المقهى مقاعد خشبية على جانبين أو ثلاثة، ويرتاد المقهى أفراد الطبقة الوسطى والتجار وتزدحم بهم عصراً ومساءً، وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية، ويحمل كل منهم شبكة الخاص وتبغه، ويقدم «القهوجي» القهوة بخمسة فضة للفنجان الواحد، أو عشرة فضة للبكرج الصغير الذي يسع ثلاثة فناجين أو أربعة، ويحتفظ القهوجي أيضاً بعدد من آلات التدخين من نرجيلة[٢٥] وشيشة[٢٦] وجوزة.

وفي كتاب وصف مصر الذي أعده علماء الحملة الفرنسية يوجد جزء مخصص للمقاهي في زمن الحملة جاء فيه: تضم مدينة القاهرة قرابة ١٢٠٠ مقهى بخلاف مقاهي مصر القديمة وبولاق، حيث تضم مصر القديمة ٥٠ مقهى، أما بولاق فيبلغ تعداد مقاهيها المائة. وليست هذه المباني أية علاقة بالمباني التي تحمل نفس الاسم في فرنسا إلا من حيث استهلاك البن على الرغم من أن هذا المشروب يعد ويشرب بطريقة مختلفة، فليس في هذه المباني أثاثات على الإطلاق وليس ثمة مرايا أو ديكورات داخلية أو خارجية، فقط ثمة منصات «دكك» خشبية تشكل نوعاً من المقاعد الدائرة بطول جدران المبنى، وكذلك بعض الحصر من سعف النخيل، أو أبسطة خشنة الذوق في المقاهي الأكثر فخامة بالإضافة إلى بنك خشبي عادي بالغ البساطة.

ويبدو من وصف المقاهي هنا أنها تشبه إلى حد كبير بعض المقاهي الصغيرة التي لا تزال قائمة في قرى الصعيد الجنوبي، فلم يكن نظام الجلوس إلى مناضد وفوق كراسي متبعاً، ويبدو أن هذا النظام لم ينتشر إلا بعد إنشاء البارات المخصصة لتقديم الخمور، ولكن لم ينتقل نظام الجلوس من المصطبة إلى استخدام المقاعد والمناضد مباشرة، إنما مر بفترة كانت تستخدم فيها الدكك الخشبية العريضة، ولا يزال مقهى الفيشاوي الموجود بحي الحسين وبعض مقاهي القاهرة الفاطمية تحتفظ بدكك خشبية عريضة تتسع الواحدة منها لجلوس خمسة أو ستة أشخاص متجاورين، ولا تزال إحدى

الدكك الخشبية في مقهى الفيشاوي تحمل تاريخ صناعتها في سنة ١٩١٠ في بداية القرن العشرين، ويكاد المقهى القاهري يشبه في ذلك الحين، المقهى البغدادي الآن، الذي يستخدم للجلوس فيها الدكك الخشبية، غير أن الأدوات التي كانت مستخدمة في مقاهي القاهرة عند بداية القرن التاسع عشر، لم تتغير كثيراً حتى الآن[٢٧].

إضافة إلى هذا فقد كانت المقاهي أماكن مخصصة لرواية قصص السير الشعبية والملاحم، وكان أصحاب المقاهي يستقدمون رواة القصص، وبعضهم يعرف باسم «الهلالية» لتخصصهم في سيرة أبي زيد الهلالي، والبعض الآخر يعرف باسم «الظاهرية» نسبة إلى الظاهر بيبرس. وكانت هناك قصص أخرى تروى بالمقاهي، مثل قصة سيف ابن ذي يزن، وألف ليلة وليلة، وسيرة عنترة العبسي[٢٨].

مقاهي القاهرة

يمكن القول: إن العصر الذهبي لمقاهي القاهرة كان في النصف الأول من القرن العشرين، خاصة في العشرينيات، والثلاثينيات، وكانت القاهرة وقتئذ، تزخر بالعديد من المقاهي، منها مقهى نوبار، الذي توجد مكانه الآن مقهى المالية، وكان مجمعاً للفنانين، وكان عبده الحامولي يقضي أمسياته فيه، ومعه بعض أصحابه، ومنهم باسيلي بك عريان الذي أفلس بعد أن أنفق نصف مليون من الجنيهات، وأحياناً كان يضيق بزبائن المقهى فيطلب من صاحبه أن يخليه من الزبائن له ولأصدقائه فقط.

وفي شارع محمد علي يوجد مقهى «التجارة» وهو من أقدم مقاهي القاهرة، ويزيد عمره الآن عن مائة وعشرين سنة، وما زال قائماً حتى اليوم، ومعظم رواده من الموسيقيين العاملين في الفرق التي يطلق عليها، فرق حسب الله، وحسب الله هذا كان أحد الموسيقيين بجوقة الخديو إسماعيل، وعندما خرج من الخدمة شكل أول فرقة للموسيقى تتقدم الجنازات والأفراح.

وفي نهاية شارع محمد علي، أمام دار الكتب، يوجد مقهى الكتبخانه، وكان من روادها حافظ إبراهيم، والشاعر عبد المطلب، والشيخ عبد العزيز البشري، والشيخ الساخر حسن الآلاتي، وكان الآلاتي يرتاد مقهى آخر بحي السيدة زينب، يطلق

عليه اسم المضحكخانه، ويشترط لدخول مجلسه وضع رسالة في التنكيت والقفش، حتى إذا حازت عنده قبولاً ضم مقدمها إلى مجلس النادين، وقد جمع الشيخ حسن الآلاتي كثيراً من نوادر المضحكخانه في كتاب طبع في نهاية القرن الماضي، حاملا نفس الاسم «المضحكخانه». وخلف دار الكتب كان يوجد مقهى بلدي عرف صاحبه بهوايته لمصارعة الديوك، وكان من رواده بعض الأثرياء الذين يشاهدون ما يقدمه من عروض، وفي شارع الصليبية القريب كان يوجد مقهى الأتراك، ومعظم زبائنه من الباشبوزق الذين كانوا يؤجرون أنفسهم من بيت محمد على للحرب، وشهد شارع محمد على أيضاً مقهى عكاشة، المنشأ في الأربعينيات، بناه أولاد عكاشة أصحاب الفرق المسرحية المشهورة، وكان المقهى مزوداً بأجهزة استماع للموسيقى، يجلس الزبون إلى المنضدة، ويضع السماعات إلى أذنيه، ويطلب سماع أي أسطوانة يرغبها، لقد أدرك الزمان هذا المقهى بخطواته الثقيلة، فأصبح مجرد مقهى عادي به آثار من العز القديم. وفي حي الحسين، مقهى الفيشاوي الشهير، الذى يتجاوز عمره الآن المائة عام، وكان يتكون من واجهة أنيقة ودهليز طويل حوله مقاصير صغيرة صفت فيها موائد رخامية، ودكك خشبية، وكانت شهيرة بالشاي الأخضر والأحمر، الذي يقدم في أكواب زجاجية صغيرة، وفي شهر رمضان يكثر رواده من الفنانين والكتاب والناس العاديين، وفي أيام الشهور العادية، كان للمقهى سحره الخاص، وداخله يخيم هدوء يمت إلى الأزمان البعيدة الجميلة، تؤطره هذه التحف العربية المتناثرة في المكان، وأمامه يجلس الحاج فهمي الفيشاوي يدخن باستمرار النرجيلة التي لا تنتهي أبداً، وعلى بعد خطوات منه حصانه العربي الأصيل، وفوقه أقفاص الحمام الذي كان مغرماً بتربيته، لقد صدر قرار بهدم المقهى بعد عام ١٩٦٧، ولم يستطع الحاج فهمي أن يواصل الحياة حتى يرى نهاية مقهاه، فمات قبل أن يرتفع أول معول للهدم بأيام قليلة، ولحقه على الفور الحمام الذي كان يربيه. كان من أشهر رواد هذا المقهى الأديب العربي نجيب محفوظ، الذي كان يخلو إلى جوه الهادئ المعبق بالتاريخ يومياً أثناء عمله بمكتبة الغوري القريبة عندما كان يعمل في وزارة الأوقاف. ومن الشخصيات التي ارتبطت بالمقهى أيضاً عم إبراهيم، كان رجلاً قصيراً، ضريراً يتاجر في الكتب، وكان سريع النكتة، في ليالي الثلاثينيات يجلس إلى عدد كبير من الرواد، ويبادلهم هذا الشكل الفكاهي من الحوار، والمعروف في مصر باسم «القافية» وكان يرد عليهم كلهم ويهزمهم، لقد عرف مقهى الفيشاوي العديد من

الشخصيات، بعضها باق في ذاكرة التاريخ، والكثير منها رحل إلى دروب الصمت. على مقربة من الفيشاوي كان هناك مقهى قديم وغريب، يقع تحت الأرض، واسمه مقهى سي عبده، وكان دائري الشكل، يضم عدة مقصورات، تتوسطها نافورة مياه، وقد وصف نجيب محفوظ هذا المقهى في روايته العظيمة الثلاثية، حيث كان يلتقي كمال عبد الجواد بصديقه فؤاد الحمزاوي، لقد اندثر هذا المقهى تماماً، ومكانه الآن بعض المباني الحديثة. ومن المقاهي الشهيرة في القاهرة القديمة والباقية حتى الآن، مقهى عرابي الذي يقع بميدان الجيش، عند نهاية الحسينية، وعرابي صاحبه كان أحد الفتوات المشهورين في أوائل هذا القرن، وقد بلغ من سطوته أن مأمور قسم الظاهر لجأ إليه يوماً يطلب حمايته؛ لأن أحد الأجانب هدده، وكان الأجانب يحاكمون أمام محكمة خاصة في ذلك الوقت، ومن رواد مقهى عرابي نجيب محفوظ، حيث كان يلتقي بأصدقائه القدامى، وزملاء طفولته، وفي هذه الجلسة التي كانت تتم كل يوم خميس تلعلع ضحكات الأديب الكبير، ويبدو مرحاً، سريع النكتة، ولا يطرق هذه الجلسة من الشبان إلا عدد محدود جداً عرف طريق المقهى الذي يستعيد فيه أديبنا الكبير ذكرياته وقصص شبابه مع رفاق الزمن القديم، غير أنه انقطع عن الانتظام في حضور هذه الندوة الأسبوعية فى سنواته الأخيرة، والسبب أزمة المواصلات في القاهرة التي كانت تعوق أديبنا الكبير عن الوصول من بيته في العجوزة إلى ميدان الجيش. وفي مواجهة مسرح رمسيس «مسرح الريحاني حاليًا» كانت تقع قهوة الفن، وفيها البؤساء من الفنانين، والكومبارس، والنساء الضاحكات، كانت هناك ماري منصور، وزينب صدقي، ودولت أبيض، وأمينة رزق، وعزيز عيد، وفاطمة رشدي، وأحمد علام نقيب الممثلين.

وحتى أربعينيات القرن العشرين كان يوجد عدد كبير من المقاهي في روض الفرج، تتميز بأن جدرانها من الخشب، محاذية للنيل، وفي كل منها يتجمع عدد من فناني شارع محمد علي، يعرضون فيها الغناء المونولوج، ومنهم حسين المليجي، ونعمات المليجي، ولهلوبة، وزينب فلفل، وغيرهم.

وبالقرب من مقهى ريش الشهير بميدان طلعت حرب بوسط القاهرة الذى يؤمه مشاهير الثقافة المصرية، يوجد مقهى آخر يلتقي فيه عدد كبير من المثقفين والأدباء

والصحفيين ولكن بشكل غير منتظم، وهو مقهى الندوة الثقافية»، وهو مشهور بالنرجيلة، ويوليها اهتماماً خاصاً، في الوقت نفسه الذي لا تعنى فيه المقاهي الأخرى بهذا النوع من التدخين(٢٩).

وفى حى سيدنا الحسين، يوجد واحد من أشهر المقاهى المرتبطة بشهر رمضان، وهى قهوة «الدراويش» أو «المجاذيب» سابقاً، الذي يمتد عمرها إلى أكثر من ٦٠ عاماً، وتشتهر بتقديم الإنشاد الدينى طول ليالى الشهر.

بدأ النشاط الفني بقهوة الدراويش على يد الريس سيد عزب «السفرتي» الذي كان يعزف على آلة «الكولة» واتفق مع صاحب القهوة على أن يأتي بفرقته للعزف والإنشاد بها كوسيلة لتنشيطها، وتم الاتفاق على حضور الفرقة التي أصبحت فيما بعد مرتبطة بالقهوة ارتباطاً وثيقاً ، وقد استمرت الفرقة في عهد عزب «السفرتي الصغير» ابن الريس سيد وكذلك «حسين العزب» عازف الإيقاع اللذين استكملا مشوار والدهما في الفرقة والقهوة. وكانت الفرقة قد كبرت بمرور الوقت وسميت «فرقة نجوم الحسين» ومقرها قهوة الدراويش بل أصبحت مدرسة للعازفين في أي مجال وكذلك مورداً لهم لمن يبحث عن عازف لأية آلة وبالفعل منها من خرج ليعمل في فرق الأوبرا أو مع المنشد الشهير ياسين التهامي أو مع فرق خاصة لراقصات مثل فيفي عبده ولوسي، والأهم من ذلك أن منهم أيضًا من تم الاستعانة به للعمل خارج مصر وعلى رأسهم حسين سيد عزب، حيث يتردد على قهوة الدراويش عديد من الأجانب المهتمين بالموسيقى والرقص الشرقي، وكان من بينهم إحدى المرات راقصة وممثلة مسرحية فرنسية تدعي «جولييت» ومعها مخرج مسرحي فرنسي يفضل إضافة إيقاعات شرقية لمسرحياته، فطلبا من حسين العزب العمل معهم وبالفعل تم ذلك وهو الآن دائم العمل في فرنسا كعازف إيقاع مصري كما بدأ يتعاون مع معهد العالم العربي.. بباريس في حفلات فنية كثيرة. أما القائد الحالى للفرقة فهو الريس سيد إمام الذى بدأت علاقته بقهوة الدراويش منذ صباه؛ حيث بدأ العمل مع الفرقة كصبي ثم كعازف كولة أيضاً وتولي الريس «عزب» تربيته وتدريبه على العزف والإنشاد حتى حل محله الآن(٣٠).

كما اشتهر باب البحر بالعديد من المقاهى التى كانت تضم الباعة والتجار الذين ارتبطت أعمالهم بالحى على مدار تاريخه.

مقاهى الإسكندرية

من المقاهي الشهيرة بمدينة الإسكندرية مقهى "بترو" الذي كان يلتقى فيه الأديبان نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم مريديهما خلال فترة الصيف التى كانا يحرصان على قضائها بالإسكندرية، وكذلك مقهى فندق الشانزلزيه.

وهناك مقهى "النيل"، الذى اشتهر بارتياد شعراء الثغر له، أمثال عبد العليم القباني ومحمود العتريس وصالح المصري وكامل حسني ومحمود الكمشوشي وصبري أبو علم، وانضم إليهم بعد ذلك أمل دنقل وقت أن كان مقيماً في الإسكندرية .

كما تعد مقاهي الإسكندرية التي أنشأتها الجالية اليونانية في المدينة، واحدة من الأماكن المفضلة للأجانب المقيمين بالمدينة وكذلك مشاهير المجتمع ورموز السياسة والفن والأدب، ومن أشهرها وأعرقها مطعم ومقهى «أتينيوس»، الكائن في منطقة محطة الرمل في الإسكندرية»، الشهير بنقوشه وتماثيله اليونانية، التى تزدان بها جدرانه وأركانه، وكان بيرم التونسى من رواده.

ويضم أتينيوس صوراً وثائقية نادرة لتاريخ الإسكندرية، ومنها: صور الميادين الرئيسية للمحافظة قديماً (صورة ميدان محمد على باشا: «ميدان المنشية حالياً– صور تؤرخ لدخول الاحتلال الإنجليزي إلى مصر، وآثار قصف قوات الاحتلال المدينة وهدم المنازل والشوارع، فضلاً عن لوحة كبيرة لأسرة محمد على باشا). كما يشتمل المقهى على صور لزعماء الأمة ومناضليها ومحافظيها، بدءاً من خورشيد باشا (١٨٤٠- ١٨٦٣)، ومرورًا بحسين باشا (١٨٦٣-١٨٧٠)[٣١].

وكانت أسرة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، تأتي إلى هذا المقهى لتحتفل بالمناسبات الاجتماعية الخاصة بها، وفي أربعينيات القرن الماضي، عندما كانت تنتقل الوزارات في فصل الصيف إلى الإسكندرية، اعتاد رجال السياسة والوزراء والباشوات، مثل فؤاد سراج الدين - رئيس حكومة الوفد، على الاجتماع في المقهى، ودار في داخله العديد من السجالات والمناقشات السياسية، فضلاً عن أنه بقي المكان المفضل للمثقفين والكُتّاب الأجانب، مثل الشاعر اليوناني السكندري الشهير، كفافيس، الذي كتب خلال جلساته فيه، الكثير من الأشعار عن تاريخ المدينة[٣٢].

كما يعتبر مطعم ومقهى ديليس في الإسكندرية، أحد أهم المطاعم اليونانية، التي ارتبط اسمها بتاريخ المدينة ذات الطابع المقدوني، فهو من أكبر مقاهي الإسكندرية اليونانية ذات الشهرة العالمية، إذ إنه يطل على ثلاثة شوارع رئيسية واقعة في منطقة محطة الرمل، وتزين وجهته الخارجية، «التورتات» متعددة الأدوار، ونماذج أشكال الحلويات اليونانية ذات المذاق الخاص.

وتعني كلمة ديليس بالفرنسية، البهجة أو السعادة، وكان قد أسسه، الخواجة كلوفلوكس موستاكاس، في بداية العشرينيات من القرن الماضي، وافتتح رسمياً، في عام ١٩٢٢ . وتديره حالياً، سيدة يونانية اسمها ألكي أنطونيو، ذلك بعد أن ورثته من جد زوجها، موستاكاس[٣٣].

ومن أهم المناسبات التاريخية التي ارتبط بها اسم حلواني ديليس، انفراده بصنع تورتة حفل زفاف الملك فاروق على الملكة فريدة، وحفلة تتويجه ملكاً، إذ صنعت تورتة تتويجه ملكاً، مؤلفة من دور واحد ومزينة بتاج من الشكولاتة. وأما نظيرتها الخاصة بحفلة الزفاف، فتكونت من خمسة أدوار، ووضع فوقها أيضاً، تاج من الشكولاتة.

وصنعها شيف يوناني، اسمه أسبيرو ومساعده فرنجلي. وأخرجت التورتة في عربة كبيرة، متجهة إلى قصر المنتزه. واكتسب حلواني «ديليس» على إثرها، شهرة عالمية وواسعة النطاق»[٣٤].

أما مقهى «إيليت»، المطل على شارع صفية زغلول- أحد الشوارع الرئيسية في مدينة الإسكندرية، فهو يشبه كوخًا خشبيًا، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١٩٥٣، على أيدي مدام كريستينا كوستانتينو، وهي من أشهر اليونانيات في مدينة الإسكندرية، في تلك المرحلة. وكانت إحدى محبوبات الشاعر اليوناني السكندري كفافيس.

وكانت صاحبته تريد بناء مقهى على غرار المقاهي العالمية في العاصمة الفرنسية باريس، وأن يكون مزاراً للمثقفين الأجانب والمصريين، على حد سواء، وقد تحققت رغبتها بالفعل، حيث يعد مقهى إيليت متحفاً ثقافياً وفنياً، وتزين جدرانه لوحات للفنان العالمي بيكاسو وماتيس وسيف وانلي ولوحة للفنان اليوناني فافياديس والفرنسي براك وبورتريهات للشاعر اليوناني كفافيس، وجميعها لوحات نادرة، وكان

قد زاره العديد من الكُتَّاب والفنانين، واكتسب من خلال ذلك، سمعة عطرة بين أبناء الإسكندرية.

وكان من أهم الزائرين لمقهى «إيليت» السيدة أم كلثوم، إذ حضرت من القاهرة إلى المقهى خصيصاً في أواخر الخمسينيات من القرن الـ ٢٠، حيث كانت تشتري الملابس من محل قريب، وأشاروا عليها بأن تأتي إلى إيليت؛ حيث إنه يقدم نوعاً مميزاً من الآيس كريم، وكانت ترتدي غطاء رأس ونظارة سوداء، حينها.

واعتادت الملكة فريدة والملكة نريمان، الحضور إلى إيليت، كل يوم أربعاء، إذ كانت تعرض في سينما مترو المجاور للمقهى، أفلام ثقافية ذات مستوى راقٍ، وكانت الملكة فريدة تأتي لتناول الكابتشينو، ذات المذاق الخاص[٣٥].

مقاهي بورسعيد

تعتبر مقهى البوسفور بمدينة بور سعيد، من أقدم المقاهى العربية، وكانت فى أوائل القرن العشرين مبنية بالأخشاب، وتقع عند ناصيتى شارعى محمد على وأوجينى. وقد شهد هذا المقهى أيامًا تاريخية مهمة فى حياة بورسعيد، وكان من روادها الرعيل الأول من جيل أدباء وشعراء بورسعيد ، وبقيام ثورة ١٩١٩ تجمع فيها خطباء الثورة فى بورسعيد أمثال الشيخ محمود حلبة والشيخ محمد عبد العظيم حجاب والشيخ محمد شاهين ومحمد محمود عسل والشيخ إبراهيم القاضى وعلى الألفى وغيرهم . وتوارث هذا المقهى جيل الأبناء من الآباء . وفى الثلاثينيات اشتهرت مقهى البوسفور بوجود الجرامافون ذى البوق، وكان صاحبها فى ذلك الوقت إسماعيل الزغبى؛ من عشاق الفنان محمد عبد الوهاب، وكان يدير هذا الجرامافون بروائع عبد الوهاب، وكانت تذاع مرارًا وتكرارًا لدرجة أن محمد عبد الوهاب لما زار بورسعيد فى الثلاثينيات أصر على زيارة مقهى البسفور وكان له فيها صورة كبيرة[٣٦].

وترتبط المقاهي في بورسعيد بأسماء روادها مثل مقهى «البحرية» عند باب عشرين الجمركي، ومقهى «المجابرة الصعايدة»، في شارع «محمد علي»، أو بأسماء أصحابها، مثل مقهى «قوطة» في شارع الحميدي، ومقهى «عبد الله» في شارع «سعد زغلول»، ومقهي

«أبو طرية» في ميدان المنشية، وغرزة «المعزة» في سوق البالة، وقهوة «الضيظوي» لاعب الكرة الشهير، وقهوة «السلكاوي». وهناك مقاه بأسماء البلدن مثل: مقهى «رأس البر» في أول شارع الثلاثيني، ومقهى بني سويف.

وعلى ناصية شارعي «صفية زغلول»، و«الشهيد محمود مختار سعيد» بحي الإفرنج تقع قهوة «سمارة» المستلهم اسمها من فيلم «سمارة»، حيث كان يجمع صاحبها ببطل الفيلم الفنان محسن سرحان علاقة قديمة، ويرتبط هذا المقهى بنائب الشعب البور سعيدى «البدرى فرغلى»، حيث يعتبر مكان تواجده المفضل[٣٧].

وتمتاز العديد من مقاهى بورسعيد بالتفاف الصحبجية حول أنغام آلة السمسمية فيما يعرف بفن الضمة، الذى عبر البورسعيدى من خلاله عن رؤاه وتصوراته وتفاعله مع شئون الحياة والعالم من حوله، وهو فن ارتبط بظروف حفر قناة السويس، وجدير بالذكر أن الفنان البورسعيدى «زكريا إبراهيم» مؤسس فرقة الطنبورة البورسعيدية -١٩٨٩- يقدم حفلا مساء كل أربعاء بأحد المقاهى الموجودة بمدينة بور فؤاد.

❁❁

ولا يختلف كثيرًا حال مقاهى عموم المدن المصرية عن مقاهى مدنها الكبرى، من حيث إقبال الناس عليها وتفضيلها كأماكن للالتقاء، وإن كانت لا تنتشر بنفس كثافتها ولا تأخذ نمط التخصص إلا نادرًا، نظرًا لاختلاف النمط الاقتصادى والعلائق الاجتماعية التى تميل إلى العائلية والقرابة والمحافظة بنحو أكبر، مع ذلك لا تخلو مدينة مصرية من مقهى شهير يشهد إقبال الناس عليه وتواعدهم فيه أو قضاء أوقات فراغهم بين أجوائه، وإن كانت الأندية الاجتماعية والرياضية فى السنوات الأخيرة بدأت تسحب البساط من تحت أقدام المقاهى، وبدأ الناس يفضلون ارتيادها، خصوصًا مع تغير أنماط المجتمع وسلوكياته.

أما فى القرى المصرية فقد تغير نمط المقهى المعمارى وتخلى عن شكله التقليدى البسيط، الذى كان يعتمد على مكونات البيئة الريفية كبنائه من أعواد البوص والحناء وجذوع جريد النخل، وراح يحاكى عمارة مقاهى المدن. كما يلاحظ فى السنوات الأخيرة اتجاه معظم مقاهى مصر إلى إدخال شاشات العرض التلفزيونى الكبيرة، لنقل مباريات

كرة القدم والأفلام والبرامج السياسية الشهيرة، كوسيلة لاجتذاب الزبائن، وهو ذات المنحى الذى كانت بعض المقاهى قد انتهجته فى ثمانينيات القرن العشرين، مع انتشار ظاهرة أفلام الفيديو، التى دأبت على عرضها كوسيلة للترفيه. إضافة إلى انتشار ظاهرة مقاهى الإنترنت، التى تخصصت فى وجود أجهزة كمبيوتر متصلة بالشبكة الدولية للمعلومات توفرها للمترددين الذين باتوا مرتبطين بالشبكة العنكبوتية بصورة كبيرة، سواء لقضاء مصالحهم أو لارتياد مواقع التواصل الاجتماعى.

الاحتفال بشهر رمضان في الثقافة الجماهيرية

مساحة شديدة الخصوصية حازها شهر رمضان الكريم من اهتمام المشتغلين بالثقافة الجماهيرية منذ إنشاء هذا الجهاز في ١١ نوفمبر ١٩٦٦، إذ عمرت ليالي رمضان بالعديد من الفعاليات الثقافية، التي سعت لتقديم المكون الثقافي المصري لعموم الجماهير وفي أماكنه الأكثر حيوية وكثافة وشعبية، في سبيل الوصول بالرسالة الثقافية إلى أكبر قطاع من مستحقيها الحقيقيين.

في البداية لم تجد الثقافة شخصًا يضطلع بهذه المهمة فكرًا وتنظيمًا وتنفيذًا أفضل من الرائد العظيم «زكريا الحجاوي» (١٩١٤-١٩٧٥م).. القاص وكاتب الأغاني والمخرج والمؤلف الإذاعي ومكتشف النجوم ومقدمها، وقبل هذا كله الباحث في شئون الفن الشعبي المصري، وصاحب الموهبة الفذة في اكتشاف المطربين الشعبيين والمداحين وحفظة السير ورواتها، التي التمعت نجوم العشرات منهم على يديه وبرعايته، وبجهوده المكثفة عرف الفن الشعبي طريقه إلى الإذاعة ووسائل الإعلام المختلفة، وجذب أسماع العامة واحترام الخاصة. وكان «زكريا الحجاوي» قد جاب مناحي مصر عام ١٩٥٥م منقبًا عن كنوز هذا الفن وحملته ومبدعيه خلف الجبال وفي السهول والوديان، بتكليف من الأديب «يحيي حقي» أثناء رئاسته لمصلحة الفنون، ليقوم بمسح جغرافي للفنون الشعبية المصرية، فآب وبرفقته العشرات منهم، هؤلاء هم أعضاء فرقة الفلاحين التي ضمت مائة فنان وفنانة، شكلوا عماد أوبريت «ياليل ياعين» الذي قدمته مصلحة الفنون على مسرح دار الأوبرا عام ١٩٥٦م، الذي شارك في إعداده وكتابته كل من «علي أحمد باكثير» و«نجيب محفوظ»، إضافة إلى «الحجاوي»، وقام بإخراجه «زكي طليمات».

وقع اختيار الثقافة الجماهيرية على حي سيدنا الحسين الأكثر حضورًا في ليالي رمضان على المستويات كافة، بما تحيطه من عمارة تجسد مشاهد التاريخ، وتتحلق الأرواح حولها، وترفرف من مئذنة إلى بيت ومن سبيل إلى خانقاه ومن مدرسة إلى حمام شعبي. في هذا المكان أقامت الثقافة سرادقها أو «الشادر» كما كان يحلو للناس أن يطلقوا عليه.

ففي رمضان «اختارت الإدارة مواقع التجمع الجماهيري في حي الحسين بالقاهرة، وفي كفر الدوار، ومنطقة المحلة وحلوان وفي عدد من عواصم المحافظات، لتقدم فيها عروضًا مختلفة، واشترك في هذه العروض فرق مسرحية، وفرق للفنون الشعبية، من كفر الشيخ والشرقية والبحيرة والمنصورة وبور سعيد والمحلة والإسكندرية وبنها والغربية وبني سويف.

وقدمت في السرادق الخاص في حي الحسين عروضًا لألمع الفنانين الشعبيين وفرق المنوعات، من الصعيد وريف الوجه البحري والإسكندرية والقاهرة فضلا عن فرق الهواة، الذين يتدربون في قصور الثقافة المختلفة.

كما أقامت في مختلف الساحات التي تزدحم بالساهرين في ليالي رمضان أسابيع للكتاب العربي، ومعارض الفنون التشكيلية.

كذلك نظمت رحلات للفرق الأجنبية الزائرة طول الشهر، فشهدت الجماهير لأول مرة خلال السهرات الرمضانية عروضًا من قافلة ثقافية ألمانية وفرقة عرائس تشيكوسلوفاكيا، وفرقة غنائية راقصة من بولندا «فرقة مازوفيتشي»، بالإضافة إلى عروض من فرق مؤسسة المسرح: كفرقة رضا، ومسرح العرائس والمسرح الكوميدي. وقد بلغ عدد حفلات ليالي رمضان الثقافية في ١٢ موقعًا ٢٨٠ حفلة حضرها أكثر من ١٥٠ ألف متفرج، وبلغ إيرادها أكثر من ٦٧٠٠ جنيه، مع ملاحظة أن ثمن تذكرة الدخول لم يكن يتجاوز ٣٥ مليمًا إلا في حدود ٥ بالمائة من المقاعد التي ارتفع ثمنها إلى عشرة قروش.

وقد كان الانطباع العام لهذا العمل بين المثقفين، ولدى الجماهير أنه طابع جديد في سهرات رمضان وإحياء لتقليد شعبي رمضاني عريق وخطوة موفقة يجب أن تتبعها خطوات في نفس الاتجاه»[٣٨].

لقـد بـدأ «زكريـا الحجاوي» عـروض الشـادر بفرقـة الفلاحـين والتقـت جماهـير المحروسـة بالفنانين الشـعبيين، واسـتمعت إلى أصوات: محمد طـه، وفاطمة سرحان، وجمالات شيحة وخضرة محمد خضر، وبدرية السيد، وشـوقي القناوي، وأبو دراع، والريس متقال.

كان الحجـاوي يقدم فقرات الشـادر بنفسـه ويربـط بينها بروايته للسـير وحكايات الأبطال الشـعبيين، التي كان يحفظها ويجيد روايتها، مما أكسـب الليالي طابع الاحتفالية الشعبية.

وأصبح الشـادر/ السرادق تقليدًا سـنويًا ينتظره سـكان الحي، ويسـعى إليه سكان الأحياء المجاورة ويضعه زوار المنطقة على قائمة برنامجهم، على أن شـادر سيدنا الحسين لم يسـتأثر بنشـاط الحجاوي وحـده، بل امتد حضـوره إلى كافة أقاليم مـصر، التي تنقل بينها مع القوافل الثقافية التي كانت تسيرها الثقافة الجماهيرية إحياء لليالي هذا الشـهر، فقـد كانت الثقافة تضاعف مـن برامج هذه القوافل خلال الشـهر الكريم، وخصوصًا في الأماكـن النائية والمحرومـة ثقافيًا، إضافة إلى عروض الفرق الزائـرة للأقاليم، مثل: فرقـة رضـا والفرقة القوميـة للفنون الشـعبية، جنبًا إلى جانـب الفعاليـات المحلية التي كانت تقيمها قصور وبيوت الثقافة في الحدائق والميادين العامة؛ ففي أواخر السـتينيات أقامـت ثقافة الإسـكندرية – على سـبيل المثـال – سرادقها الرمضاني بميدان المسـاجد، المواجه لسـاحة سـيدي «أبي العبـاس المرسي»، وظـل يقام لعدة سـنوات، تلألأ خلالها صوت المطربة الشـعبية «بدرية السـيد» وأسـتاذها «الشـيخ أمين»، وكذلك بزوغ أسماء العديـد من المطربين المصريين، الذين شـقوا طريقهم فيما بعد إلى سـاحة الغناء المصري، مثـل «حمدي وأسـامة رؤوف»، إلى جانب عروض الفنان الشـعبي السـكندري «حلال عليه» الذي اشـتهر بأدائه المتميز لرقصتي «الكراسي» و «السـكاكين»، وقد شـهد ذلك السرادق عـرض أول أوبريت عن نصر أكتوبر، بعنوان: الله الله يا بدوي جاب الأسرا، إذ بـادر قـصر ثقافة الأنفوشي في أكتوبـر ١٩٧٣م وفور انتصـارات العاشر من رمضان بتقديـم ذلك الأوبريت والذي قام بكتابة أشـعاره «إبراهيم غراب» وأخرجه المسرحي السكندري «مصطفي عبد الخالق».

من الأنشطة التي برزت أيضًا في تلك الفترة «ليالي رمضان الثقافية» بمدينة طنطا، التي كانت تقام على مسرح البلدية.

هكذا انتهجت الثقافة الجماهيرية عملها وفق منظومة سعت للتكامل على المستويين: الجغرافي والنوعي للأنشطة التي لم تقتصر على النشاط الفني أو الثقافي فحسب، بل تضمنت برامجها كذلك اللقاءات والمحاضرات الدينية التي يلقيها علماء الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف داخل قصور وبيوت الثقافة وفي المساجد الكبرى بالمدن.

استمر« زكريا الحجاوي» يقود فرقة الفلاحين وعروضها حتى عام ١٩٦٩م، وفي عام ١٩٧٠م تولي إدارة الفرقة الباحث الموسيقي «سليمان جميل» مؤلف موسيقى أفلام: «الحرام» ١٩٦٥م، و«الرجال لا يتزوجون الجميلات» ١٩٦٥م، و«العنب المر» ١٩٦٥م، و«الدخيل» ١٩٦٧م، و «حادثة شرف» ١٩٧١م، و «جفت الأمطار» ١٩٧٦م. قام «سليمان جميل» بتغيير اسم فرقة الفلاحين إلى فرقة الآلات الشعبية، التي راحت تقدم تشكيلات موسيقية جديدة امتزجت فيها الآلات الموسيقية الشعبية بالآلات الغربية، ثم خلفه في عام ١٩٧٥ م الفنان «عبد الرحمن الشافعي، الذي قام كذلك بتغيير اسم الفرقة إلى «فرقة النيل للفنون الشعبية التقليدية، والتي حافظت عروضها على جوهر الموسيقى الشعبية مع تقديمه في إطار تشكيلي، كما مازج الشافعي بين الصيغة المسرحية وعروض المنوعات الشعبية، فيما يطلق عليه «مسرحة المنوعات»، وفي نفس الآن لجأ إلى توظيف المأثور الشعبي في أعماله المسرحية، هذا التغيير أتى مقابل طريقة الحجاوي الذي حرص على تقديم الفن الشعبي كما يؤدي في بيئته أو «بعبله» وفق تعبيره.

على مقربة من المكان الذي كان ينصب فيه الشادر بحي الحسين، تتربع وكالة الغوري، التي اكتشف فيها المسرحيون ساحة عرض ملائمة لتقديم النصوص المسرحية المستلهمة منه أو التي توظف التراث أو التي تستخدم المظاهر والقوالب المسرحية القديمة، مثل عروض المحبظاتية وخيال الظل، وساعدتهم في الوقت نفسه على التخلص من مفهوم العلبة الإيطالية، وحققت لهم الاتصال المباشر بالجمهور وفق تيار فكري عريض سعي لإزالة الحاجز بين المبدع والمتلقي.

هكذا برقت أسماء كُتَّاب ومخرجين مسرحيين عملت في هذا الإطار واشتهرت به، مثل: سمير عبد الباقي ويسري الجندي ورأفت الدويري وأحمد شمس الدين الحجاجي وعبد الرحمن الشافعي وأحمد إسماعيل.

ومع بداية الثمانينيات انتقل السرادق من مكانه المألوف بجوار سيدنا الحسين إلى حديقة الخالدين بالدراسة، والتي ترددت بين جوانحها أصوات المطربين الجماهيريين: شفيق جلال، وفاطمة عيد، وتغريد البشبيشي، إضافة إلى سطوع أصوات العديد من المطربين الذين حققوا انتشارًا واسعًا بين جماهير الحديقة، وتوهجت بأصواتهم الأغنية المصرية، مثل: أحمد إبراهيم، وسوزان عطية، أنغام، وأحمد الحجار، وأحمد سامي، وطارق فؤاد، الذين احتضنتهم الثقافة الجماهيرية وأوسعت من فرص انتشارهم.

من رحاب سيدنا الحسين في أواخر الستينيات والسبعينيات إلى حديقة الخالدين في الثمانينيات، ثم ميدان السيدة زينب في التسعينيات، لينتقل بعدها إلى حديقة الحوض المرصود بشارع قدري بنفس الحي، وذلك مع بدايات القرن الحادي والعشرين، ثم إلى محكى القلعة ومنها إلى حديقة الفسطاط، فالعودة مرة ثانية إلى حديقة الحوض المرصود المعروفة الآن بحديقة الطفل، بالسيدة زينب، مع استمرار الحرص على إقامة أنشطة مماثلة، ولكن بكثافة أقل في بقية البلدان المصرية، وخصوصًا عواصم المحافظات.

ختم القرآن

يحـرص المصريون على إتمام قراءة القرآن على مدار أيام وليالي شـهر رمضان، وذلك بـأن يقـرءوا كل يوم جزءا مـن أجزائه الثلاثين، ويفضل البعض ختـم تلاوته قبل اليوم الثلاثين، تحسـبًا لأن يكون الشـهر تسـعة وعشرين يومًا فقط، وقد يتـلى بصورة منفردة أو جماعيـة، أو مـن خـلال مشرفين دارسـين لفنون التـلاوة والتجويد، وهنـاك مصادر تاريخية تشـير إلى عراقة هذا التقليد لدى المصريين، وأنه كان يحظى باهتمام خاص. ففى العـصر المملوكـي كان ينظم احتفال موكبي يعد خصيصًا بمناسـبة ختـم القرآن، حيث كان يتـم إنشـاد القصائد، ثم يجتمـع المؤذنون ليكبروا جماعة في موضـع ختم القرآن، ثم يؤتي بفرس أو بغلة ليركبها القارئ الذي تولي الختمة، حتى بيته، وأمامه القراء يقرءون والمؤذنـون يكـبرون والفقـراء يذكـرون. وقـد يضيف البعـض إلى ذلـك ضرب الطبل والدف والأبواق[٣٩].

ويحكـي د. محمـد رجـب البيومي أنـه عند الخاتمـة كان لابد أن «تـوزع النفحة وهى قطـع صغـيرة من الحلوي، يتـبرع بإحضارها أحـد الذاكرين طيلة شـهر رمضان لتوزع عـلى الذاكرين تذكيرًا بطعام أهل الجنة، ومنهم من يحتفظ بها كعلاج روحي للشـفاء إذا نزل به داء، لأن جو الذكر والخشـوع قد خلع عليها في اعتقاده ما يجعلها بعض أسـباب الشفاء»[٤٠].

الهوامش

(١) د. سمية حسن محمد إبراهيم: العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ٣٣- ٣٤.

(٢) دعاء صالح.

(٣) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ١/ ٩/ ٢٠٠٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) نفسه.

(٦) أحمد سليم : عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائى.

(٧) أحمد سليم : حكايات رمضانية سيناوية، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(٨) أحمد سليم : عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، مرجع سابق.

(٩) محمد رجب السامرائى: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية ٢٠٠٢م

(١٠) الموقع الإلكتروني لمكتبة الإسكندرية، والهيئة العامة للاستعلامات.

(١١) د. نعمات أحمد فؤاد: القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

(١٢) محمد رجب السامرائى: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق.

(١٣) أحمد حسين الطماوى: صور رمضانية فى القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩.

(١٤) د. أحمد السيد الصاوي: رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٤٩.

(١٥) يقصد بتعبير المشكاوات تلك الزجاجات أو القناديل التي كانت توضع فيها المصابيح، وقد استمد هذا الاسم من الآية الكريمة التي شاع وردها عليها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ «سورة النور الآية ٣٥»، وكانت هذه الآية القرآنية ترد عادة على المشكاوات حتى كلمة (يوقد). ومن نافلة القول إن نذكر أن كلمة مشكاة تعني في العربية «دخلة في جدار» يوضع فيها المصباح ولا تعني بحال من الأحوال وحدة الإضاءة كما يتضح من سياق الآية الكريمة، ولكن جرى العرف على تسمية هذه المصابيح بالمشكاوات ولرب خطأ شائع كان أفضل من صحيح مهجور. وتشبه المشكاة في شكلها العام الزهرية، فهي ذات بدن منتفخ ينساب إلى أسفل وينتهي بقاعدة ولها رقبة على هيئة قمع متسع. وبداخل المشكاة كان يوضع إناء صغير به الزيت والفتيل الذي يوقد للإضاءة عند صلاة المغرب من كل يوم، ويقوم خادم المسجد بذلك العمل عن طريق إنزال المشكاوات من سلاسلها عند الفجر وإطفاء القناديل ثم يعيد تعليقها بعد الإضاءة عند المغرب، وكان بناة الجوامع من السلاطين والأمراء يوقفون الأوقاف من أراض وعقارات للإنفاق من ريعها على المساجد، وكان زيت قناديل المشكاوات من ضمن ما ينص على الالتزام بشرائه في وثائق الوقف وعادة يوضع فيها زيت الزيتون أو زيت الشيرج (السمسم). ولا تختلف المشكاوات عن غيرها من مصنوعات الزجاج الإسلامي الذي كان يصنع بنفس الطريقة القديمة التي تتمثل في صهر الرمل (أوكسيد السليكون) بعد خلطه بنسب معينة من الحجر الجيري (كربونات الكالسيوم) بالإضافة إلى نسب من كربونات الصوديوم وأكاسيد أخرى، ويشكل الزجاج بعد ذلك بواسطة النفخ تمهيداً لعملية الزخرفة. وقد استخدمت في زخرفة المشكاوات طريقة التذهيب والطلاء بالمينا وذلك عبر مراحل فنية متعددة، إذ كان الصناع يضعون الزخارف المذهبة على «التحفة» بواسطة الريشة وذلك عند رسم الخطوط الخارجية، وبالفرشاة في المساحات الكبيرة. وبعد أن تحرق المشكاة في الفرن المرة الأولى يحدد موضوع الرسم باللون الأحمر ثم يطلى بالمينا المختلفة الألوان، وهذه المينا يختلف قوامها حسب موضوع الرسم وبالتالي درجة لمعانها. وكان طلاء المينا نصف الشفاف يتكون من ذائب الرصاص ثم يلون بالأكاسيد المعدنية: بالأخضر من أكسيد الحديد، والأصفر من حامض الأنتيمون، والأبيض، وهو معتم تماماً، من أكسيد القصدير. أما المينا الزرقاء والتي لعبت دوراً مهمًا في زخرفة المشكاوات، فكانت تصنع من مسحوق اللازورد مع زجاج لا لون له. أما الموضوعات الزخرفية التي كانت تزين أبدان المشكاوات بألوان المينا المتعددة والخطوط المذهبة، فقد خلت من الرسوم الآدمية والحيوانية، واقتصرت على الزخارف الكتابية ورسوم النباتات والأزهار والأشكال الهندسية المتعددة. ولا يخرج عن هذه القاعدة سوى بضع مشكاوات صنعت لبعض سلاطين المماليك من آل قلاوون، واستخدمت في زخارفها رسوم (البط). (د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان)

(١٦) د. أحمد السيد الصاوي: رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٥٣- ٥٥.

(١٧) المرجع السابق.

(١٨) راجع: حسن عبد الوهاب، رمضان، مرجع سابق، ص٣٦.

(١٩) د. نعمات أحمد فؤاد: القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١١١- ١١٢.

(٢٠) د. أحمد السيد الصاوي: رمضان زمان، مرجع سابق، ص٤٦- ٤٧.

(٢١) جمال الغيطاني: ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٥٤- ٥٦.

(٢٢) المرجع السابق، ص ٥٤- ٥٦.

(٢٣) الكخيا أو الكَتْخُدَا : أمينُ الوالى أو وكيلُه .

(٢٤) محمد الجهيني: أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر، القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠، ط١، ص ١٥٢- ١٥٦.

(٢٥) النرجيلة مشتقة من الفظ «النارجيل» الاسم الذي يطلق على ثمر جوز الهند، يمكن القول إن ترجمته الحرفية تعني «الجوزة»، وهو الاسم الذي تعرف به النرجيلة الشعبية في مصر، لأنها كانت مكونة فعلاً من ثمرة جوز هند مفرغة، وتثقب مرتين، ثقب يوضع فوق الحجر، وثقب تنفذ من خلاله أنبوبة خشبية يتم من خلالها استنشاق الدخان الذي يمر خلال الماء الموضوع في الجوزة نفسها.

وصف الرحالة والعالم الدانمركي كارستين نيبور «الجوزة» المصرية، التي لم تتغير ملامحها حتى أوائل هذا القرن، وعندما ارتفعت أسعار ثمار الجوز فاستبدل به كوز صفيح فارغ، أو زجاجي، وهذا أبسط الأشكال الشعبية للنرجيلة، ويدخن بواسطته المعسل، وهو الدخان الممزوج بالعسل، ويعرف في المقاهي المصرية باسم «البوري» أو « المصري».

يقول كارستين نيبور: إن العامة يدخنون الجوزة للتدفئة أيضاً، ولكن النرجيلة الأنيقة التي تستبدل فيها الجوزة ببرطمان زجاجي فإن كارستين نيبور يطلق عليها «النرجيلة الفارسية»، ويقول: إن أثرياء فارس يتخذون هذه النرجيلة وكثيراً ما تكون مصنوعة من الفضة أو النحاس، وتوجد في خان الخليلي الآن نرجيلات من النحاس المنقوش، يمكن أن يدخن منها عدة أشخاص في وقت واحد، عن طريق عدة ليات تخرج منها.

ومثل هذه النرجيلات تستخدم في بعض بلدان الجزيرة العربية خاصة اليمن والسعودية، ويقول نيبور: إن شيراز كانت مشهورة بصناعة النرجيلات الزجاجية الأنيقة، وأحياناً كانت توضع فيها زهور مختلفة الألوان مثبتة من الداخل، والنرجيلات الفارسية كانت منتشرة في الهند أيضاً حتى القرن الماضي، غير أن إدوارد لين يقدم إلينا وصفاً أدق للنرجيلة في مصر (جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص٢١).

(٢٦) الشيشة كلمة فارسية تعني زجاج، وهو الاسم الذي تعرف به النرجيلة الآن في مصر، وهذا الاسم نتيجة للوعاء الزجاجي الذي يملأ بالماء إلى قدر معين ليمر الدخان من خلاله، ويقول إدوارد لين: إن التدخين يتم من خلال أنبوبة طويلة لينة «تسمى لي».

ويغسل التمباك عدة مرات بالماء، ثم يقطع ويوضع في حجر الشبك وهو رطب، ويوضع عليه جمرتان أو ثلاث، ويقول لين: إن للتمباك عطراً لطيفاً مقبولاً، لكن شدة استنشاق الدخان في هذا النوع من التدخين يضر الرئة الضعيفة. إن الوصف الذي كتبه إدوارد لين منذ قرابة مائة وخمسين عاماً لم يتغير كثيراً حتى الآن، ولكن الذي تغير هو شكل النرجيلة، ونوعية الدخان، حتى الخمسينيات كان هناك أنواع متعددة من التمباك، عجمي، ولاذقاني (نسبة إلى اللاذقية) وأزميلي، وهندي، ويمني، وعدني، ولكن الآن تنقسم الشيشة في مصر إلى نوعين رئيسيين، عجمي وهو نوع خاص من الدخان مصدره إيران أو تركيا، ويوضع بكمية أكبر فوق الحجر ويلف بورقة تمباك صحيحة لم تقطع بعد أن تبل بالماء. وتشبه الشيشة العجمي مثيلاتها في دمشق وبغداد واستانبول، لكن نوعية التمباك الذي يصل إلى مقاهي القاهرة أردأ، ولهذا فإن النرجيلة العجمي يعتبر دخانها قاسياً ويحتاج إلى صدر قوي لتحمله، أما النوع الثاني فهو الشيشة «الحمي»، وكمية الدخان في الحجر هنا أقل، ونوعية الدخان أهدأ، وهذا هو النوع الأكثر انتشاراً الآن (جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٦- ٧).

(٢٧) جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧، ص ٦- ٧.

(٢٨) المرجع السابق، ص ٩-١٥.

(٢٩) نفسه، ص ٩- ١٥.

(٣٠) محمد الصاوي وحنان شافعي وصفاء عبدالرازق: أقدم وأهم طقوس رمضان في الحسين.. قهوة الدراويش والريس سيد إمام، جريدة البديل ٢٧/ ٠٩/ ٢٠٠٨

(٣١) دينا حسن : مقاهي الإسكندرية..ثقافة اليونان ومصر في عناق عذب عريق، البيان، عن دار الإعلام العربية، ٠٦ يناير ٢٠١٣.

(٣٢) المرجع السابق.

(٣٣) نفسه.

(٣٤) نفسه.

(٣٥) نفسه.

(٣٦) وليد منتصر: www.portsaidhistory.com

(٣٧) عمرو على بركات: معجزة البدري فرغلي على قهوة «سيارة» للدعاية الانتخابية، جريدة القاهرة ٢٣-١٠-٢٠١٢

(٣٨) راجع: أهداف العمل الثقافي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨م.

(٣٩) عبد الحميد حواس: وداعًا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.

(٤٠) محمد رجب البيومي، حلقات الذكر في شهر رمضان، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٣م.

قرّاء ومنشدون فى رمضان

- الشيخ محمد رفعت
- الشيخ سيد النقشبندى

قرَّاء ومنشدون فى رمضان

يحرص الصائمون فى شهر رمضان على تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه مرتلا بصوت المقرئين، الذين ارتبط بعضهم بشهر رمضان بشكل خاص، وصار أحد علاماته، على نحو ما نجد من ارتباط وجدانى مميز بين الصائمين وبين صوتى الشيخ محمد رفعت والمبتهل العظيم سيد النقشبندى، خصوصًا بعد دخول عصر الإذاعة، التى كانت سببًا فى شهرة الكثير منهم.

وقد دأبت البيوت المصرية الميسورة على إحياء ليالى رمضان بالاستماع إلى القرآن الكريم مرتلا بأصوات مشاهير القراء، كما كانت هذه السهرات الرمضانية تحرص على استضافة منشد أو مبتهل.

وكان العديد من المسلمين يحرصون على إحياء ليالي شهر رمضان بإقامة حلقات الذكر في المساجد والزوايا، حيث كان يتحلق أهل الذكر حول مصباح كبير تغطيه ملاءة بيضاء تخفيه، بحيث لا يظهر غير ضوء شفاف أبيض، وهنا يغني منشد[1] الذكر ألوانًا من الشعر الصوفي يدور حول الحب الإلهي والخمر الروحية، وممن اشتهروا في أوائل القرن العشرين بأناشيد التصوف في حلقات الذكر، المتصوف «عبد الغني النابلسي» الذي ولد في دمشق وكثرت إقامته في القاهرة حتى غلبت على شعره الصبغة المصرية، ومن أشعاره التي كان يتغني بها المنشد في الأذكار «أنشودة الساقي»، ومطلعها: ساقي ياساقي اسقني.. من خمرة الباقي واكشف لي عن قيد إطلاقي.. آه يا ساقيو هنا ينتقل الذاكرون وهم يرددون اسم الجلالة «الله» مع تحريك البدن ذات اليمين وذات اليسار حتى يصلوا إلى مرحلة النشوة والوجد وحتى يبلغوا ذروة الوجد»[2].

أما عن سهرات رمضان القرآنية فى العصر الحديث، فيقول شيخ الصحفيين الراحل «حافظ محمود»: كان ترتيب هذه الليالي يبدأ بأن يقف المقرئ بباب البيت ليؤذن أذان

المغـرب، ثـم تمتد مائـدة الإفطار للكل، ثم يؤدون صلاة المغـرب، ثـم يؤذن المقرئ بباب البيت لصلاة العشـاء، ثم يؤم الزوار لصلاة العشـاء والتراويح، ثم تبدأ قراءة القرآن إلى وقت السحور. وإذا كانت هذه بعض معالم سهرات رمضان في بيوت الكبراء، فقد كان أفضـل مـا في هذه المعالم وهو تلاوة القرآن، يتم في بيوت الله جميعًا، حيث كانت الجماهير تسـهر الليل بطوله في سـاحات المسـاجد الكبرى للاستماع إلى مشـاهير المقرئين. وعن ترتيب سهرات رمضان القرآنية فى بعض القرى المصرية يشير د. محمد رجب البيومي[3]، أنهـا كانت تبدأ بقـراءة أجزاء القرآن، حيـث يأتي صندوق من بيت شـيخ الفقهاء يضم ثلاثين جزءًا، هى جميع أجزاء القرآن، ثم توزع الأجزاء على الجالسـين فيقرأ كل إنسـان مـا بيده مـن كتاب الله، حتى إذا فرغوا من ذلك كان كتـاب الله قد قرئ جميعه، وتجتمع الأجـزاء لتوضع في الصندوق كعهدها السـابق، ثم يأتي قارئ حسـن الصوت، فيفتتح المجلـس بقـراءة ما تيسر من آيات الله، وفق اختيار دقيق لآيـات الترغيب والترهيب مما ينقل السـامعين إلى العالم الروحي، فإذا انتهى من قراءته، ابتدأ الذكر الصامت. لقد كان المتبع أن تقام الحلقات في هذا الشـهر الكريم كل ليلة، فهى من الأمسـيات الدينية التي لا تقـل مكانـة عن دروس الوعظ في المسـاجد بعد العصر، وبعد المغـرب، بل إن بعض هذه الدروس في المساجد الكبيرة، تخلق جوًا من الانتعاش الروحي، فينهض السامعون فجـأة لينتظمـوا في حلقـة الذكر تهليلا وتسـبيحًا. إضافـة إلى ذلك دأبـت الحكومة على إقامة سرادقات رمضانية يتردد عليها الجماهير خصيصًا للاستماع لمشـاهير المقرئين، من ضيـوف تلك السرادقات، فاعترافًا بجلال الشـهر الكريم ومكانته في نفوس المصريين؛ اسـتطاعت الحكومة المصرية إبان اشـتعال أحداث ثورة ١٩١٩م، أن تتوصل إلى اتفاق مع سلطات الاحتلال الإنجليزي، قضى بالتيسير على المسلمين في تلك الأيام: ففي ٢٨ مايو ١٩١٩م، أعلنت الصحف أن الحكومة أبرمت اتفاقًا مع السلطة العسكرية «لإزالة القيود وزيادة التسهيلات للمسلمين في التفرغ أثناء الشهر إلى إحياء لياليه بقراءة القرآن والاسـتماع لآيـات الذكر الحكيم، وصدر بيان جاء فيـه: إن الأوامر المؤكدة قد صدرت إلى رؤسـاء المناطق العسكرية المختلفة، بعدم التضييق على المسلمين في استعمالهم لأنوار مساكنهم، وعدم التعرض لهم أثناء تنقلاتهم وخروجهم للتزاور خارج بيوتهم»[4].

وفى عهد الملك فاروق كانت الحكومة تصدر توصيتها لأصحاب المحلات والبيوت المجهـزة بأجهـزة الراديـو بإذاعة القـرآن الكريـم، وكان الملك يبدأ بنفسـه أولا فكانت

القصـور الملكيـة تسـتخدم مكـبرات الصوت لإذاعـة القـرآن الكريم طوال أيام شـهر رمضـان - ليس هذا فحسـب- فقـد كانت محافظـة القاهرة في عهد الملـك فاروق تقيم سرادقـات في الميادين والمتنزهـات العامة لتلاوة القـرآن الكريم والتواشـيح والعظات الدينيـة طوال الليـل بعد صلاة القيام ومن أمثلة ذلك ميدان قصر عابدين ومنتزه ميدان صـلاح الدين ومنتزه فم الخليج، ومن الغريب أن الملك كان يتابع مدى التزام الشـعب بتعليماته، وكان يطلب من محافظ القاهرة وحكمدار العاصمة أن يوافياه بكشوف أسماء الذين قاموا بتحقيق الرغبة الملكية السـامية في إعداد منازلهم لتلاوة القرآن وفي التوسعة على الفقراء(٥).

وفي مدينـة القاهرة وحتـي أوائل السـبعينيات من القرن العشريـن، كانت الحكومة المصرية تقيم سرادقًا كبيرًا بسـاحة قصر عابدين، يتعاقب عليه مشـاهير القراء المصريين كل ليلـة، لتلاوة القـرآن، وكان الناس يفـدون إليهم من كافة أنحـاء البلاد، وفي بعض الليـالي كان بعـض وزراء مـصر يحـضرون إلى هذا السرادق ليشـاركوا الناس الاسـتماع إلى القـرآن الكريـم، وعند عودتهم وانصرافهم كانوا ينثرون النقود المعدنية في الشـوارع المؤدية إلى السرادق، من فئتي خمسة وعشرة مليمات، فيبتهج الأطفال ويعم السرور.

ومن بين المقرئين والمنشدين الذين شاركوا فى إحياء ليالى رمضان، يبزغ صوتا القارئ الشيخ محمد رفعت والمبتهل سيد النقشبندى اللذين يمثلان علامة فارقة، فى أجواء هذا الشـهر، بحيث صار صوتاهما أحد الملامح الأساسـية فى شـهر رمضان، ويشكلان معًا مـا يمكـن أن يطلق عليه «جناح الصائم» اللذين يحلق بهـما فى فضاءات الكون، دون أن يمـس هذا من مكانة المقرئين الأجـلاء الآخرين، الذين خدموا هذا المجال بما حباهم به الله من أصوات فريدة.

الشيخ/ محمد رفعت

(١٨٨٢-١٩٥٠م)

قيثارة السماء

يعد الشيخ «محمد رفعت» واحدًا من أبرز ملامح شهر رمضان الكريم في القرن العشرين، فقد ارتبطت بصوته أسماع وأفئدة الملايين في العالم، كان صوته الآسر ينطلق من الإذاعة وهو يتلو آيات الذكر الحكيم، فيأتي وكأنه يتوج صيام اليوم، ويصل به إلى أقصى ربى الخشوع والسكينة والألفة والتواصل مع الكون والسباحة في أغواره. وُلِد محمد رفعت، واسمه مركب، في حي «المغربلين» بالدرب الأحمر بالقاهرة يوم الإثنين (٩-٥-١٨٨٢)، وتشير معظم المصادر التى تناولت حياة الشيخ رفعت أن والده كان ضابطاً في البوليس، وترقّى من درجة جندي - آنذاك - حتى وصل إلى رتبة ضابط، لكن حفيدته السيدة «هناء حسين محمد رفعت» صححت هذه المعلومة وذكرت أن والده كان يعمل تاجرًا.

ولد «محمد رفعت» مبصرًا، إلا أنه أصيب بمرض كُفّ فيه بصره، وهناك قصة لذلك، فقد قابلته امرأة، وقالت عن الطفل: إنه ابن ملوك - عيناه تقولان ذلك، وفي اليوم التالي استيقظ الابن وهو يصرخ من شدة الألم في عينيه، ولم يلبث أن فقد بصره. وذهب به والده إلى طبيب أجري له جراحة فقد على إثرها البصر، وهو في الخامسة من عمره وهنا اتجه به والده إلى نور كتاب الله، وألحقه بكتّاب مسجد فاضل باشا بـ«درب الجماميز»، فأتم حفظ القرآن وتجويده قبل العاشرة، لدرجة أنه راجع والده حين كان يقرأ إحدي الآيات، وكان والده يمشي ويرتل والطفل على كتفه، وهنا أنزل محمود

رفعت ابنه محمدًا ولطمه على وجهه، وعاد الأب إلى منزله غاضباً ليفتح المصحف ويجد ابنه على حق في الآية التي صححها له(٦).

أدركت الوفاة والده، فوجد رفعت نفسه عائلا لأسرته، ولجأ إلى القرآن الكريم يعتصم به، ولا يرتزق منه، وأصبح يرتِّل القرآن الكريم فى المآتم ليوفر لقمة العيش لأمه وأخويه وخالته التى كانت تعيش معهم، حتى عُين في سن الخامسة عشرة قارئًا للسورة بمسجد فاضل باشا، فذاع صيته، وكانت ساحة المسجد والطرقات تضيق بالمصلين ليستمعوا إلى الصوت الملائكي، وكانت تحدث حالات من الوجد والإغماء من شدة التأثر بصوته الفريد، وظلَّ يقرأ القرآن ويرتله في هذا المسجد قرابة الثلاثين عامًا؛ وفاءً منه للمسجد الذي بدأ فيه. لم يكتفِ الشيخ محمد رفعت بموهبته الصوتية الفذَّة، ومشاعره المرهفة في قراءة القرآن، بل عمق هذا بدراسة علم القراءات وبعض التفاسير، واهتم بشراء الكتب، ودراسة الموسيقى الرفيعة والمقامات الموسيقية، فدرس موسيقي «بتهوفن»، و«موتسارت»، و«فاجنر»، وكان يحتفظ بالعديد من الأوبريتات والسيمفونيات العالمية في مكتبته، وتعلم العزف على آلة العود.

وكانت الإذاعة الأهلية قد عرضت عليه أن يسجل الأغانى المأخوذة من الشعر القديم المحترم، ووافق محمد رفعت شريطة عدم ذكر اسمه، فغنى «أراك عصي الدمع» و«حقك أنت المنى والطلب» و«سلوا قلبي»، لكنه اشترط عدم إذاعة اسمه أو الإفصاح عنه، وبعد إذاعة إحدي الأغنيات التي سجلها تعرف عبد الوهاب على صوته. وقد عمل الشيخ رفعت قبل ذلك لجمال صوته منشداً للمدائح النبوية، كما أنه كان صديقًا لمحمد عبد الوهاب وزكريا أحمد وصالح عبد الحي ونجيب الريحاني وبديع خيري لدرجة أن عبد الوهاب قال إنه عندما كان طفلاً واستمع إلى صوت الشيخ رفعت يرتل القرآن بعد صلاة الفجر كانت البلابل والعصافير وعناقيد الكروانات تسبح كجوقة في خلفية صوته.

ومع قرب افتتاح «الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية» (٣١ مايو عام ١٩٣٤) عرض عليه سعيد لطفى باشا، مستشار الإذاعة، أن يفتتح الإذاعة بصوته، وهنا ثار الشيخ رفعت وغضب وقال: إن كلام الله وقار نزل من السماء لا يليق بمقامه أن تذاع إلى جانبه الأغاني الخليعة التي تقدمها الإذاعة.

ومع إلحاح الإذاعة عليه، لجأ الشيخ رفعت إلى الشيخ السمالوطى، أحد أعضاء هيئة كبار العلماء، ليقول له إنه بعد الإذاعة الأهلية أنشأوا إذاعة يريدوننى أن أقرأ القرآن فيها، وقد قلت لهم: إن القرآن لم يخلق ليرتل أمام الميكروفونات الصماء، فقال له السمالوطى: إن قراءة القرآن حلال في الإذاعة، وأخذ الشيخ رفعت يلح في سؤاله ويؤكد له السمالوطى أكثر من مرة أنها حلال، وعليه أن يذهب إلى الإذاعة ويقرأ القرآن، فأعاد رفعت الكرة قائلاً: إنه سيقرأ القرآن والناس سيستمعون إليه في المقاهى والحانات وصالات القمار، فقال له السمالوطي أنت ستتلو القرآن في مكان طاهر. أليس كذلك؟. فقال له: نعم. فقال له: لا تخش شيئًا، لكن الشيخ رفعت امتلك ضميراً لا تأخذه سنة واحدة، فذهب إلى شيخ الأزهر نفسه - الشيخ الظواهرى - فقال له: «أعرف ما جئت تسأل عنه يا شيخ رفعت، وتعال معي وأمسك الشيخ الظواهري بيد الشيخ رفعت وجعله يتحسس جهازاً في ركن بالبيت إنه الراديو أجل يا شيخ رفعت لقد جئت به لأستمع لك»(٧).

وعندما افتتحت الإذاعة المصرية الخميس (٣١-٥-١٩٣٤) كان الشيخ أول من افتتحها بصوته العذب، وقرأ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا».

وقد جاء صوت الشيخ رفعت من الإذاعة المصرية نديًا خاشعًا، وكأنه يروي آذانًا وقلوبًا عطشى إلى سماع آيات القرآن، وكأنها تُقرأ لأول مرة، فلَمَع اسم الشيخ، وعشقت الملايين صوته، بل أسلم البعض عندما سمع هذا الصوت الجميل. ففي ذات يوم التقي «علي خليل» شيخ الإذاعيين، وكان بصحبته ضابط طيار إنجليزي- بالشيخ رفعت، فأخبره «علي خليل» أن هذا الضابط سمع صوته في «كندا»، فجاء إلى القاهرة ليرى الشيخ رفعت، ثم أسلم هذا الضابط بعد ذلك.لكن الشيخ رفعت لم يكن مستريحاً لتلاوة القرآن في الإذاعة، حيث كانت تحت سيطرة الاحتلال الإنجليزى، لدرجة أنه تم منع الرجل من أن يشرب قهوته داخل الاستديو، رغم أنه يظل ساعة كاملة على الهواء يقرأ. كما أن هناك أحد الإنجليز حاول منعه من الصلاة داخل الاستوديو قائلاً له: «الإذاعة ليست جامعاً لتصلي فيه».

والغريب أن الشيخ رفعت ظل يقرأ للإذاعة دون أن تسجل له، لذا حين مرض الشيخ لم تجد الإذاعة شيئاً تقدمه له، إلا أنه كان هناك أحد الباشوات ويدعى زكريا مهران، كان

كلما استمع لصوت الشيخ رفعت قام بتسجيله دون أن يعرف الشيخ رفعت، حيث لم تكن هناك أية علاقة بينهما، ذلك لأن محمد رفعت كان يرفض التسجيل، لذا تعب أولاده محمد محمد رفعت، الابن الأكبر، وأحمد محمد رفعت وحسين محمد رفعت في جمع هذه التسجيلات، التي كان زكريا باشا مهران قد نقلها إلى موطنه الأصلي في القوصية - محافظة أسيوط - وحين ذهبوا إليه قال لهم: هذا ما أملكه من تسجيلات الشيخ رفعت وقد بلغ عددها ٢٧٨ أسطوانة تضم ١٩ سورة مدتها٢١ ساعة.

ورغم الأموال العديدة التي عرضت على الشيخ رفعت في حياته فإنه كان يرفض رفضاً باتاً التكسب أو السعي وراء المادة(٨)، فقد تنافست إذاعات العالم الكبري، مثل: إذاعة برلين، ولندن، وباريس، أثناء الحرب العالمية الثانية؛ لتستهل افتتاحها وبرامجها العربية بصوت الشيخ محمد رفعت؛ لتكسب الكثير من المستمعين، إلا أنه لم يكن يعبأ بالمال والثراء، وأبى أن يتكسَّب بالقرآن، كما عُرض عليه سنة ١٩٣٥ أن يذهب للهند مقابل (١٥) ألف جنيه مصري، فاعتذر، فوسّط نظام حيدر آباد الخارجية المصرية، وضاعفوا المبلغ إلى (٤٥) ألف جنيه، فأصرَّ الشيخ على اعتذاره، وصاح فيهم غاضبًا: «أنا لا أبحث عن المال أبدًا، فإن الدنيا كلها عَرَضٌ زائل». ولم يسافر رفعت إلا إلى المسجد النبوي الشريف.

كما عرض عليه المطرب «محمد عبد الوهاب» أن يسجِّل له القرآن الكريم كاملًا مقابل أي أجر يطلبه، فاعتذر الشيخ، خوفًا من أن يمسَّ أسطوانة القرآن سكران أو جُنُب.اجتمع في صوت الشيخ رفعت كل مميزات الحنجرة العربية من الأنغام والأوتار الصوتية الخلاقة، فضلا عن استيعابه المتصل لمعاني القرآن الكريم، وتمثيله إياها للناس كأنها يلمسونها بالأيدي ويرونها بالأعين، فلا نحس في نبرات صوته شيئًا من الخلخلة أو الخروج عن مجرى النغم»(٨). «وكان يقرأ من جميع النغمات والطبقات، وبالتدرج على الأصول المرعية في الأداء، فكان يبدأ بالبياتي، فالحجاز، فالنهاوند، ثم الرست، ثم السيكا، والرمل والجهاركاه»(٩).

امتاز محمد رفعت بأنه كان عفيف النفس، زاهدًا في الحياة، وكأنه جاء من رحم الغيب لخدمة القرآن، فلم يكن طامعًا في المال لاهثًا خلفه، وإنما كان ذا مبدأ ونفس كريمة، فكانت مقولته: «إن سادن القرآن لا يمكن أبدًا أن يهان أو يدان»، ضابطة لمسار حياته (١٠).

وليس شك أن الشيخ «محمد رفعت» عليه رحمة الله كان ألمع نجوم رمضان.. وقد يحسب أبناء هذا الجيل الناشئون من الاستماع إلى أشرطة الشيخ رفعت، أنه كان بلا منافس وهذا غير صحيح، فقد كان له منافس خطير في مسجد السيدة زينب الذي يقع على بعد مئات الأمتار من المسجد الذي يقرأ فيه الشيخ رفعت.. هذا المنافس هو المرحوم الشيخ «ندا».. ولم يكن صوت الشيخ ندا في حلاوة صوت الشيخ رفعت، لكن صوته كان يمتاز بقوة خارقة. كان إذا رفع صوته من صحن المسجد الزينبي سمعه الناس في الشوارع المجاورة بلا ميكروفون[11].

«ومع تمتع الشيخ بحس مرهف ومشاعر فياضة، فقد كان - أيضًا - إنسانًا في أعماقه، يهتزّ وجدانه هزًا عنيفًا في المواقف الإنسانية، وتفيض روحه بمشاعر جياشة لا تجد تعبيرًا عن نفسها إلا في دموع خاشعات تغسل ما بالنفس من أحزان؛ فقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه المرضى، وكان في لحظاته الأخيرة، وعند انصرافه أمسك صديقه بيده ووضعها على كتف طفلة صغيرة، وقال له: «تُري، من سيتولي تربية هذه الصغيرة التي ستصبح غدًا يتيمة؟»، فلم يتكلم محمد رفعت، وفي اليوم التالي كان يتلو القرآن في أحد السرادقات، وعندما تلا سورة الضحى، ووصل إلى الآية الكريمة: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾، ارتفع صوته بالبكاء وانهمرت الدموع من عينيه كأنها سيل؛ لأنه تذكر وصية صديقه، ثم خصص مبلغًا من المال لهذه الفتاة حتى كبرت وتزوجت. وعُرف عنه العطف والرحمة، فكان يجالس الفقراء والبسطاء، وبلغت رحمته أنه كان لا ينام حتى يطمئن على فرسه، ويطعمه ويسقيه، ويوصي أولاده برعايته، وهو إحساس خرج من قلب مليء بالشفقة والشفافية والصفاء، فجاءت نغماته منسجمة مع نغمات الكون من حوله. كان منزله منتدى ثقافيًا وأدبيًا وفنيًا، حيث ربطته صداقة قوية بمحمد عبد الوهاب، الذي كان يحرص على قضاء أغلب سهراته في منزل الشيخ بالسيدة زينب، وكثيرًا ما كانت تضم هذه الجلسات أعلام الموسيقى والفن، وكان الشيخ يغني لهم بصوته الرخيم الجميل قصائد كثيرة، منها: «أراك عصي الدمع»، أما عبد الوهاب فكان يجلس بالقرب منه في خشوع وتبتل، وتدور بينهما حوارات ومناقشات حول أعلام الموسيقى العالمية. كان بكّاءً بطبعه، يقرأ على الهواء مرتين أسبوعيًا من خلال الإذاعة (يومي الثلاثاء والجمعة) مدة (٤٥) دقيقة في كل مرة، والدموع تنهمر من عينيه. وقد شاء الله أن يصاب الشيخ محمد رفعت بعدة أمراض لاحقته وجعلته يلزم الفراش،

وعندما يشفي يعاود القراءة، حتى أصيب بمرض الفُواق (الزغطة) الذي منعه من تلاوة القرآن، بل ومن الكلام أيضًا؛ حيث تعرَّض في السنوات الثمانية الأخيرة من عمره لورم في الأحبال الصوتية، منع الصوت الملائكي النقي من الخروج، ومنذ ذلك الوقت حُرم الناس من صوته، فيما عدا ثلاثة أشرطة، كانت الإذاعة المصرية سجلتها قبل اشتداد المرض عليه، ثم توالت الأمراض عليه، فأصيب بضغط الدم، والتهاب رئوي حاد، وكانت أزمة الفُواق (الزغطة) تستمر معه ساعات. ويروي كمال النجمي اللحظات الأخيرة لصوته بقوله: في سنة ١٩٤٣، رأيت مشهداً مبكياً من مأساة القارئ العبقري محمد رفعت صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن غنائي في عصرنا يعتمد على بديهة الارتجال. رأيت مأساته في لحظات رهيبة تشبه الحلم المرعب، وقد أحاط به مئات المستمعين، وكانت عادتي أن أقصد يوم الجمعة مبكراً إلى مسجد فاضل باشا بالجماميز لأجد مكاناً قريباً من الشيخ، فقد كان صوته على تعدد مقاماته واكتماله صغير الحجم لا يستوعب دقة نبراته إلا القريبون من مجلسه. وفي المرة الأخيرة التي سمعت فيها الشيخ كان يتلو سورة الكهف في المسجد كعادته فقاوم الفراق أو «الزغطة» التي غص بها حلقه، وقرأ ما سمحت به نوباتها المتكررة ثم سيطرت «الزغطة» على الموقف وملأت حلق الشيخ وحبس صوته تمامًا، حنى الشيخ العظيم رأسه، جريح القلب لا يدرى ما يصنع. ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فيها سائل أحمر يبدو أنه دواء وصفه له بعض الأطباء، فأطاعه صوته في آيتين أو ثلاث ثم قهره الداء وتوقف حائراً لبعض الوقت ثم غادر مجلسه تاركاً إياه لشيخ آخر. في تلك اللحظة المأسوية انفجر الناس في المسجد بالبكاء، وعلا نحيب المقرئين الشبان الذين كانوا يلتفون حول الشيخ رفعت كل أسبوع ليتعلموا طريقته وصناعته، وتحول الموقف إلى مأتم رهيب للصوت العبقرى الذي ضاع.

وهنا نادى الكاتب أحمد الصاوى محمد، بعمل اكتتاب شارك فيه مواطنون من مختلف الأديان وقسس ليسهموا في نفقات علاجه، لكن أبناءه رفضوا قبول الاكتتاب الذي وصل إلى خمسين ألف جنيه، فزاد إكبار الناس وإجلالهم له، وظل الشيخ رفعت طريح الفراش ٩ سنوات مردداً أراد الله أن يمنعني. ولا راد لقضائه. الحمد لله[١٢]،

وفضَّـل بيـع بيته الذي كان يسـكن فيه في حي «البغالة» بالسـيدة زينـب، وقطعة أرض أخرى؛ لينفق على مرضه. عندئذ توسـط الشـيخ «أبو العينين شعيشع» لدي «الدسوقي أباظة» وزير الأوقاف آنذاك، فقرَّر له معاشًا شهريًا.

كـما ذهب زكريا مهران إلى الإذاعة وقال إنه على اسـتعداد لأن يهديهم التسـجيلات التي لديه شريطة أن يخصصوا معاشاً شهرياً للشيخ رفعت[١٣].

وشاء الله أن تكون وفاة الشيخ محمد رفعت في يوم الإثنين ٩ مايو ١٩٥٠ م، فى نفس اليوم الذي وُلد فيه، عن ثمانية وستين عامًا قضاها في رحاب القرآن الكريم.

**

قال عنه الأديب «محمد السـيد المويلحي» في مجلة الرسـالة: «سـيد قراء هذا الزمن، موسـيقي بفطرته وطبيعته، إنه يزجي إلى نفوسـنا أرفع أنواعها وأقدس وأزهي ألوانها، وإنـه بصوتـه فقط يأسرنا ويسـحرنا دون أن يحتاج إلى أوركسـترا». ووصف الموسـيقار «محمد عبد الوهاب» صوت الشيخ محمد رفعت بأنه ملائكي يأتي من السماء لأول مرة، وسـئل الكاتب الكبير «محمود السـعدني» عن سر تفرد الشـيخ محمد رفعت فقال: كان ممتلئًا تصديقًا وإيمانًا بما يقرأ. أما الأسـتاذ «علي خليل» شـيخ الإذاعيين فيقول عنه: «إنه كان هـادئ النفـس، تحس وأنت جالس معه أن الرجل مسـتمتع بحياتـه، وكأنه في جنة الخلـد، كان كيانًا ملائكيـا، تري في وجهه الصفاء والنقـاء والطمأنينة والإيمان الخالص للخالق، وكأنه ليس من أهل الأرض». ونعته الإذاعة المصرية عند وفاته إلى المسـتمعين بقولها: «أيها المسلمون، فقدنا اليوم عَلَمًا من أعلام الإسلام». أما الإذاعة السورية فجاء النعي على لسان المفتي؛ حيث قال: «لقد مات المقرئ الذي وهب صوته للإسلام»[١٤].

الشيخ/ سيد النقشبندي

(١٩٢٠-١٩٧٦م)

إمام المداحين

إذا كان الناس في شهر رمضان قد ارتبطوا وجدانيًا بصوت الشيخ محمد رفعت، فإن المبتهل الشيخ سيد النقشبندي يمثل الجناح الثاني للشجو الرمضاني، فقد ارتبط الصائمون بصوته الخاشع وهو يرفعه مبتهلا ومادحًا ومناجيًا، بحيث صار علامة مميزة ودالة على شهر رمضان الكريم، لدرجة أن سماع صوته في أي من أوقات العام يحيل الإنسان على الفور إلى أجواء رمضان، وتحديدًا عند سماع واحد من الأدعية الأربعة: «مولاي» و«أقول أمتي» و«يارب» و«لا إله إلا الله»، التي جمعت بين كلمات الشاعر عبد الفتاح مصطفى وألحان بليغ حمدي وبلغ تألق الشيخ النقشبندي فيها ذروته.

«ولد الشيخ سيد محمد النقشبندي في قرية (دميرة) مركز طلخا بمحافظة الدقهلية عام ١٩٢٠م، ثم انتقل وهو طفل بصحبة والدته إلى مدينة طهطا بمحافظة سوهاج وهناك تربى تربية دينية، وأتم حفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين وهو في سن مبكرة، وفي الخامسة والعشرين من عمره رحل إلى طنطا حيث استقر بها.

بدأ حياته قارئًا للقرآن ومؤديًا للأغاني في الموالد، ثم منشدًا دينيًا، على أن شهرته انطلقت ـ رحمه الله ـ ،عرفته الإذاعات الدينية والعربية من خلال إحيائه إحدى الليالي الختامية لمولد الإمام الحسين رضي الله عنه، وكانت بدعوة من صديقه الحميم الحاج «سيد محمد محمد» من القاهرة، فلبى الشيخ النقشبندي الدعوة وأقام حفلا ترنم فيه

بصوته وشدا بمدح الرسول الكريم ﷺ وبابتهالاته الدينية المميزة في ساحة مسجد سيدنا الحسين وأدهش مستمعيه فذاع صيته وتناقلته الإذاعات عبر موجاتها.

سعت إليه الشهرة في عام ١٩٦٧ وبدأت الإذاعة في عمل برامج دينية له، إضافة إلى تقديم الابتهالات الدينية بصوته.

ترك الشيخ النقشبندي تراثًا إسلاميًا كبيرًا وضخمًا من الابتهالات والأناشيد والموشحات الدينية، وكان قارئا للقرآن الكريم بطريقة مختلفة عن بقية قراء عصره، وإن كانت شهرته كمداح للرسول صلى الله عليه وسلم ومبتهل ديني هى الصفة التي اقترنت به.

ورغم عدم دراسته للموسيقى إلا أنه كان يجيد السيطرة على النغمة الموسيقية والتمكن منها، «فقد كان له أسلوب خاص يعتمد على طبقاته الصوتية الواسعة في استعراض صوته في منطقة الجوابات في أثناء الإلقاء»[١٥]. حيث كان ينتقل مباشرة للجواب دون الالتزام بالطبقة الموسيقية، مرتكزًا على صوته العريض، الذى كان يساعده على الوصول إلى الجواب بليونة، ثم ينتقل منه إلى جواب الجواب وهكذا، بما جعله صاحب مدرسة متفردة في الأداء.

ورغم أنه كان قارئًا للقرآن فإن براعته فى أداء الابتهالات جعلت منه مبتهلا متميزًا فى المقام الأول.

قدم الشيخ الابتهالات والأناشيد والتواشيح الدينية في معظم الدول الإسلامية والعربية بدعوة من هذه الدول وحكامها، إذ زار أبا ظبي وسوريا والأردن وإيران والمغرب العربي والسعودية واليمن ودول الخليج العربي وإندونيسيا، كما زار معظم الدول الإفريقية والأسيوية، وحصل النقشبندي على العديد من الأوسمة والنياشين من مختلف الدول التي زارها. كما غنى بعض قصائد السيدة «أم كلثوم» فى حفل أقيم بمدينة أسيوط عام ١٩٤٤، وكان مديرها وقتذاك الشاعر «عزيز أباظة».

وفي الرابع عشر من فبراير عام ١٩٧٦م توفي الشيخ السيد النقشبندي عن ٥٦ عامًا، عقب انتهائه من تسجيل بعض الابتهالات والتواشيح، وكان ذلك بمبنى التليفزيون المصري، وبعد وفاته بنحو ثلاثة أعوام كرمه الرئيس الراحل السادات عام ١٩٧٩م

ومنحه وسام الدولة من الدرجة الأولى. وقد كرمته محافظة الغربية التي عاش ودفن بها بإطلاق اسـمه على أكبر شـوارع مدينة طنطا، كما لقبه كبار الكُتّـاب بألقاب عدة، منها: الصوت الخاشع، الكروان الرباني، قيثارة السماء، وإمام المداحين.

الهوامش

(١) الأنشودة الدينية ترنيمة أو تسبيحة مخصصة أصلاً لذكر الخالق أو مديح الأنبياء والأولياء والقديسين.(حسني الحريري، محمد الشيخاني: الإنشاد الديني، الإنسكلوبيديا العربية، مرجع إلكتروني).. ويرتبط فن الإنشاد الديني ارتباطاً وثيقاً بفن السماع الصوفي النابع من خلال طرائقهم الإنشادية داخل حلقات الذكر، الذى أصبح بمرور الوقت فناً مستقلاً بذاته وأشكاله الأربعة «الذكر، الابتهال، التواشيح والتعطير» أى قراءة السيرة النبوية العطرة.(أحمد حامد الجمال: أربعين عاماً على رحيل فارس الإنشاد والتلاوة «طه الفشنى»، جريدة المصرى اليوم).

(٢) راجع: عزة بدر، رمضان عبر الزمان، مجلة صباح الخير ، ٧/ ١٢/ ١٩٩٩، ص ٤٣.

(٣) محمد رجب البيومي، حلقات الذكر في شهر رمضان، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٣.م.

(٤) بالإحالة إلى جريدة ٢٤ ساعة، ع ٤٢، ٢٦-٩-٢٠٠٧.م.

(٥) محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.

(٦) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(٧) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(٨) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(٩) خيري محمد عامر: مشايخ في محراب الفن، هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٦، ص ١١٧.

(١٠) خيري محمد عامر: مشايخ في محراب الفن، هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٦، ص ١١٧ .

(١١) حافظ محمود: المعارك في الصحافة والسياسة.

(١٢) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(١٣) سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(١٤) انظر: قيثارة السماء «الشيخ محمد رفعت»، إصدارات صندوق التنمية الثقافية.

(١٥) راجع: خيري محمد عامر، مشايخ في محراب الفن، مرجع سابق.

أعمال البر فى رمضان

- وقفيات شهر رمضان
- الموائد والولائم الخيرية فى رمضان
- السبيل

وقفيات شهر رمضان

حرص العديد من أغنياء المسلمين على تخصيص ريع أوقافهم للإنفاق على فقراء المسلمين، خلال شهر رمضان بشكل خاص، ويشير «د. إبراهيم البيومي غانم» في دراسته المعنونة: «تقاليد نظام الوقف في رمضان»[1]، أنه: ابتداءً من العهد الأموي ظهرت علاقة مباشرة بين الوقف وصوم رمضان في الممارسة الاجتماعية؛ إذ أخذ الواقفون يهتمون بتخصيص جزء من ريع وقفياتهم أو للإنفاق من هذا الريع لتمكين غير القادرين على صوم الشهر الكريم، بما في ذلك من توفير لطعام الفطور أو السحور. إلا أن هذا الشكل قد اتخذ مظاهر متعددة في العصور التالية للعصر الأموي.

وتعرض في دراسته لأنماط التوظيف الاجتماعي للوقف في رمضان، حيث «تكشف لنا وثائق الأوقاف - التي سجلت وقائع الممارسة الاجتماعية لنظام الوقف على مر التاريخ - عن أن «شهر رمضان» قد حظي باهتمام كثير من الواقفين على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية، وتباين أوضاعهم الاقتصادية، كما تكشف تلك الوثائق أيضًا عن أن المبعث الرئيسي لاهتمامهم بهذا الشهر هو كونه شهر أداء فريضة الصوم، فضلاً عن أنه موسم حافل بكثير من المناسبات، ففيه أنزل القرآن، وفيه ليلة القدر، وفيه الحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء. وبالرغم من تعدد صيغ تخصيص ريع الوقف وتنوع مجالات إنفاقه في رمضان، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن تخصيص شيء من الريع لإنفاقه في هذا الشهر لم يكن مقصورًا فقط على ما له صلة بالصيام؛ كتوفير فطور الصائمين أو سحورهم، وإنما اشتمل على أغراض أخرى هي من أبواب البر والمنافع العامة التي يستحب الإنفاق عليها في المواسم والأعياد بصفة خاصة، وفي الأحوال العادية بصفة عامة، ولكن العناية بها في رمضان بالذات لها مغزاها المرتبط بأفضليته التي سبقت الإشارة إليها».

وانتهى إلى أنه «يمكن تصنيف صيغ التوظيف الاجتماعي للوقف في رمضان في ثلاثة أنماط رئيسية» هى كالآتي:

١- نمط التحويلات النقدية

وهو أن ينص الواقف على تخصيص مبالغ نقدية من ريع وقفه لإنفاقها خلال شهر رمضان المبارك؛ على الفقراء والمساكين وذوي الخصاصة، ومثال ذلك ما نص عليه محمد باشا سليمان أبو النجا في حجة وقفيته - بمصر - التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م- وهو أن يصرف للفقراء والمساكين من ريع الوقف ٧ جنيهات (يوميًا)على مدار أيام شهر رمضان و ٩٠ جنيهًا في آخر يوم من رمضان سنويًا.

٢- نمط المساعدات العينية

وهو أن ينص الواقف على الصرف من ريع وقفه لشراء بعض السلع والحاجات - كالأطعمة والأشربة والملابس - وتوزيعها خلال شهر رمضان على فئات متنوعة من عامة الناس، مع إعطاء أولوية الاستحقاق لكبار السن والعاجزين عن الكسب والضعفاء والأيتام ومقيمي الشعائر في المساجد والتكايا والرباطات، والمشايخ الملازمين للمساجد، وللمساكين، وحتى للسجناء.

ويقول د. غانم: إنه وبالتأمل في تفاصيل ما نص عليه بعض الواقفين من شروط خاصة بالإنفاق في رمضان يتبين لنا مدى الحرص على تقديم مساعدات جيدة كمًا ونوعا، لتلك الفئات في هذه المناسبة، وقد تفاوتت إسهامات الواقفين في هذا المجال، كل حسب مقدرته الاقتصادية، ومكانته الاجتماعية ورغبته في فعل الخيرات، والأمثلة على ذلك كثيرة من الوقفيات القديمة ومن الأحدث نسبيًا، وفيما يلي بعض نماذج منها تبين أصناف المساعدات من الأطعمة والأغذية المختلفة:

- من أوقاف مصر في العصر المملوكي، ما ورد في حجة وقف السلطان حسن، وهو أن «يصرف في كل يوم من أيام شهر رمضان ثمن عشرة قناطير من لحم الضأن، وثمن أربعين قنطارًا من خبز القرصة، وثمن حب الرمان، وأرزًا وعسلًا، وحبوبًا وإبزارًا، وتوابل، وأجرة من يتولى طبخ ذلك وتفرقته، وثمن غير ذلك مما يحتاج إليه من الآلات

التي يطبخ بها، فيطبخ ذلك في كل يوم من أيام الشهر المذكور، زيادة على ما هو مرتب في ليالي الجمع».

٣-نمط الدعم العيني للمؤسسات المدنية

وفي مقدمتها المدارس ومكاتب السبيل، والأربطة، والخنقاوات، والتكايا والملاجئ.

ومن أمثلة المدارس يورد مثال « مدرسة الحديث النبوي التي أسسها «خاير بك» سنة ٩٠٨ هـ في عهد السلطان الغوري بمصر، وجعلها ملحقة بمسجده، وخصصها لتعليم الحديث الشريف يوميًا خلال شهور رجب وشعبان ورمضان، على أن يعطي (معلومًا) لقارئ يقرأ الحديث يوميا طوال الشهور الثلاثة من صحيح مسلم».

ومدرسة الأمير صرغتمش- بالقاهرة- الذي نص في وثيقة وقفه عليها أن يرتب مزملاتي مهمته جلب الماء من السبيل الموجود في المدرسة يوميًا، نهارًا في أيام الفطر، وليلًا في رمضان، ويشترط في المزملاتي أن يكون خيرًا، متدينًا، يتمتع بصحة جيدة، ويصرف للمدرس في كل شهر ثلاثمائة درهم نقرة، ومن الزيت والطيب خمسة أرطال، ومن الصابون خمسة أرطال، كما يصرف في رمضان - علاوة على ما سبق - خمسة أرطال سكر.

وكذلك مدرسة الأميرة فاطمة بنت الخديو إسماعيل، التي أنشأتها ووقفتها بمدينة المنصورة - بمصر - ووقفت عليها ما يكفي للإنفاق على تعليم البنين والبنات فيها، واختصت شهر رمضان بأن اشترطت «شراء كساوي لمئة وعشرين تلميذًا وتلميذة، من ذلك ستون تلميذًا ذكرًا وستون تلميذة أنثي بشرط أن يكون المائة والعشرون المذكورون من المسلمين الفقراء، وتكون كسوة كل واحد من الستين تلميذًا مشتملة على بنطلون وزكته وصداري من الجوخ الوسط، وطربوش، وقميص ولباس بفتة، وجزمة وشراب، ورابطة ياقة، وتكون كسوة كل واحدة من الستين تلميذة الإناث مشتملة على فستان من الحرير الوسط، وقميص من البفتة الشاش، ولباس من القماش الدبولان، وجزمة وشراب بشرط ألا تقل قيمة كل كسوة من مائة والعشرين المذكورة عن جنيهين اثنين مصريين.

-حسب أسعار بداية القرن العشرين - وأن يكون إعطاء الكساوي المذكورة للتلامذة والتلميذات على الوجه المسطور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من كل سنة لكل واحد منهم كسوته بيده، في محفل (يحضره) نائب عن ناظر الوقف وناظر المدرسة والمدرسون بها كما يشتري كساوي لموظفي المدرسة جميعًا، بحيث يشتري لكل موظف مسلم بها كسوة تعادل ملبوسه المعتاد، وتعطى له كسوته في الوقت، الذي يعطى فيه للتلاميذ والتلميذات ، أي في ليلة السابع والعشرين من رمضان.

أما عن الخانقاوات والأربطة والتكايا والملاجئ، وجميعها كانت من المؤسسات الاجتماعية المدنية، التي أنشأتها الأوقاف، ومولتها بما تحتاج إليه من مصروفات ونفقات على مدار السنة، فقد أولاها الواقفون اهتمامًا زائدًا على ذلك في شهر رمضان بالذات؛ وحتي تتمكن من التوسعة على المستفيدين منها وهم من الفقراء والعجزة وكبار السن المنقطعين.

والأمثلة على هذه المؤسسات -كما يقول د. غانم- كثيرة أيضًا، ونشير هنا فقط إلى مثالين:

الأول: ما شرطه «بيبرس الجاشنكير» (المملوكي) في وقفيته على الرباط الذي أنشأه، وهو أن يوزع في ليالي الجمع من شهر رمضان نصف رطل مصري من الحلوى على الصوفية والفقراء بالرباط، وكذلك في ليلة ختم القرآن في التاسع والعشرين من كل رمضان .. على أن يضاعف نصيب شيخ الخانقاه وشيخ الرباط .. وأن تكون الحلوى عجمية معمولة من الدقيق الطيب المستخرج من القمح والعسل المحلى بالسكر والخشخاش وماء الزعفران واللوز.

والثاني: ما نص عليه «إسماعيل بك رفعت» في وقفيته - التي أنشأها بالقاهرة - بتاريخ ١٦ جمادي الأولي (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) وهو أن النسوة العجائز الفقيرات المسلمات العجائز عن الكسب، الخاليات من الأزواج اللائي يقمن في الرباط الذي أنشأه بباب الخلق - بالقاهرة - «تعطى كل واحدة في شهر رمضان من كل سنة اثني عشر ذراعًا من العبك. (نوع من القماش) وستة أذرع من الشاش وحردة بلدي».

الموائد والولائم الخيرية في رمضان

منذ حض الإسلام على الإنفاق في الخير وأعمال البر والإحسان إلى الفقراء والمساكين واليتامى وعابري السبيل، وجعل في أموال الميسورين نصيبًا معلومًا للمحتاجين؛ وقد تعددت صنوف وأشكال هذا الإنفاق وتشعبت طرقه؛ ما بين إنفاق نقدي وعيني، أو إيقاف الأثرياء لبعض ممتلكاتهم للإنفاق منها على وجوه البر والإحسان في هذا الشهر، حتى أن البعض على الرغم من سعة ثرائه لم يكن يحول عليه الحول إلا وخزائنه خاوية، وليس لديه مال يستحق عليه زكاة، نظرًا لما ينفقه طيلة العام من أموال في الخير؛ وأبرز مثال على هؤلاء: الإمام «الليث بن سعد» (٩٣-١٧٥هـ/ ٧١٢-٧٩١م) فقيه أهل مصر، الذي كان قد ورث عن أبيه أرضًا خصبة شاسعة بقريته قلقشندة (إحدي قري مركز طوخ بمحافظة القليوبية) وكانت له أراض كذلك بناحية بور سعيد (حاليًا) والجيزة؛ ومع ذلك كان ينفق كل ماله على الفقراء والمحتاجين الذين كان يطعم في اليوم الواحد ثلاثمائة منهم، وعلى العلماء وطالبي العلم، وحين أصابه عطاء الحكام لم يزده ذلك إلا زيادة في الإنفاق وتوسعة على الفقراء.

كما اشتهر العالم والأديب «الصاحب بن عباد» (٣٢٦_٣٨٥هـ) بالجود والكرم خصوصًا في هذا الشهر الكريم. قال أبو الحسين محمد بن الحسين النحوي: كان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر كائنًا من كان فيخرج من داره إلاّ بعد الإفطار عنده! وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها. وكانت صِلاتُ الصاحب بن عباد وصدقاته في هذا الشهر الجليل تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة كاملة[٢].

وكان «لؤلؤ الحاجب» أحد قواد صلاح الدين، من أكثر الناس سخاء فى شهر الصيام، فقد رووا عنه أنه في رمضان كان يوزع كل يوم من أيامه اثني عشر ألف رغيفًا مع قدور الطعام، فإذا حلّ شهر رمضان ضاعف ذلك وأشرف بنفسه على توزيع صدقاته من الظهر في كل يوم إلى نحو صلاة العشاء، وكان يضع ثلاثة مراكب، طول كل مركب أحد عشر ذراعًا، مملوءة بالطعام ويدخل الفقراء أفواجًا وهو قائم مشدود الوسط وكأنه راعي غنم وفي يده مغرفة وهو يصلح صفوف الفقراء، ويقرب إليهم الطعام ويبدأ بالرجال ثم بالنساء ثم بالصبيان.. وكانوا لا يتزاحمون لعلمهم أن الخير يعمهم، فإن فرغ من إطعام الفقراء بسط سماطًا فخمًا للأغنياء»[٣].

موائد الخير من العصر الطولونى إلى الفاطمى

وعلي مدار التاريخ فاز شهر رمضان بالنصيب الأكبر من إغداق الأغنياء على الفقراء من الناس، مما أغرى الحكام بمنافستهم في هذه السمة وتباريهم فيها.

وتتضمن رواية «قطر الندى» لمؤلفها «محمد سعيد العريان» تصويرًا لموائد ابن طولون إبان ولايته على مصر، التى كان يتناول طعام الإفطار عليها أصفياؤه ومعاونوه، ولا يكتفى الأمير بإطعامهم ما لذ وطاب، وإنما يعطيهم حق عيالهم مما تبقى من طعام، وكان ذلك يتكرر كل يوم فى رمضان حتى كثرت التكاليف، وبلغت نفقات مطبخ الأمير فى اليوم ألف دينار، ومع ذلك أمر صاحب صدقاته بألا يقبض يده عن البر بأحد[٤].

كما بدأ ولاة العصر الإخشيدي يأمرون بأسمطة الطعام لإفطار الفقراء في شهر رمضان، وهى السمة التي انتهزها الحكام الفاطميون لاستمالة الناس إليهم في سبيل نشر الدعوة الفاطمية واكتساب تعاطفهم معها، فقد كانوا يستثمرون المناسبات الاجتماعية في الإغداق على المصريين ليتمكنوا من قلوبهم، وتوسعوا في هذا المضمار، خصوصًا في شهر رمضان، فقد خصص «العزيز بالله» قاعة في «قصر الذهب» لإقامة موائد الإفطار، التي كانت تستمر من الرابع إلى السادس والعشرين منه.. صحيح أن المدعو الأول لهذه الموائد كان العلماء والأمراء، لكن الفقراء كان لهم نصيب أيضًا؛ إذ كان الطعام يقدم

إليهم بعد أن يفرغ السادة من إفطارهم. كما كان الخليفة «العزيز بالله» يقيم - كذلك - مائدة كبيرة في جامع عمرو بن العاص طيلة شهور: رجب وشعبان ورمضان، ويقدم الطعام لكل من يفد إلى المسجد. وأقام كذلك طعامًا في الجامع الأزهر مباحًا لمن يحضر في شهور رمضان[٥].

وجرت العادة لدى الحكام الفاطميين على مهاداة الأمراء ومن سواهم من أصحاب المناصب في أول يوم من أيام شهر رمضان، لكل واحد منهم طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق آخر فيه حلوى وبوسطه صُرّة من ذهب ! فيعم ذلك سائر أهل الدولة، ويقال لذلك غرّة رمضان[٦].

وكان في القصر الشرقي الكبير قاعة أطلق عليها قصر الذهب، أنشأها العزيز بالله، ثم جددها الخليفة المستنصر بالله، وقد وضع فيها سرير الملك فكان الخلفاء يتخذونها لجلوسهم وأعدوها لإقامة ولائم الإفطار في شهر رمضان.

وكان يدعي لهذه الولائم ابتداء من اليوم الرابع من الشهر إلى السادس والعشرين منه العلماء والأمراء «فإذا جاء وقت الغروب، مدت الموائد في هذه القاعة وأحليت بالأزهار، ونسقت عليها أنواع المأكولات والحلوى على هيئة قصور وتماثيل، ويتصدر المائدة الوزير أو ولده أو أخوه فإذا انتهت المائدة وزعت الأطعمة على الفقراء والمساكين وربما خص الرجل ما يكفي جماعة من الناس»، وقد كان يبلغ ما ينفق في شهر رمضان لمدة ٢٧ يومًا قرابة ثلاثة آلاف دينار.

ولم تكن العناية التي يوجهها الفاطميون في أسمطة العيدين بأقل منها في الأسمطة الأخرى، فقد كان يقام يوم عيد الفطر سماطان أحدهما بعد صلاة الفجر والثاني بعد صلاة العيد، وكانت الأطعمة من الوفرة بحيث كان ما يتبقى منها تأخذه العامة الذين كان يسمح لهم بحمله وبيعه، فقد كانت توضع على السماط إحدى وعشرون جفنة[٧] في كل منها واحد وعشرون خروفًا وثلاثمائة وخمسون من الطير ما بين دجاج وحمام وصحان في كل منها سبع دجاجات وفطائر وحلوى، وهذا يذكرنا بتلك الولائم التي كانت تقام في حفلات ختان أبناء السلاطين العثمانيين؛ حيث كانت الموائد عبارة عن طبال خشبية، وهناك ولائم لكبار الضيوف وأخرى للذين هم أقل في المرتبة، ويقف

الخـدم العديـدون لتقديـم الأطعمـة للضيـوف وكانت تهيـئ الأطعمـة والأشربة لهذه الولائم[٨].

الموائد في العصر المملوكي

اهتم سـلاطين المماليك بالتوسع في البر والإحسان طوال الشهر المبارك.. فالسلطان برقـوق «٧٨٤هـ-٨٠١هـ» اعتاد طـوال أيام ملكه أن يذبح في كل يوم من أيام رمضان خمسًـا وعشرين بقرة يتصدق بلحومها، بالإضافة إلى الخبز والأطعمة على أهل المسـاجد والخوانق والروابط والسـجون؛ بحيث يخص كلَّ فرد رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة، وسار على سنته من أتي بعده من السلاطين فأكثروا من ذبح الأبقار وتوزيع لحومها.

وكان الملك الظاهر «بيبرس البندقداري» يرتب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة لتوزيعها على الفقراء والمساكين.

وفي دولتـي المماليـك البرجيـة والبحرية؛ كان يـوزع على الفقهاء والعلماء توسـعة في شـهر رمضـان لأولادهـم، كـما كان هناك تقليـد طريف وهو إعـداد أحمال من السـكر والمكسرات ولحم الضأن لتوزيعها على الفقراء في شهر رمضان، تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة.

كذلـك دأب سـلاطين المماليـك عـلى عتـق ثلاثين رقبـة بعدد أيـام الشـهر الكريم، بالإضافة إلى كافة أنواع التوسـعة على العلماء، حيث تصرف لهم رواتب إضافية في شهر رمضـان، خاصـة ما يصرف من السـكر، وقـد بلغت كمية السـكر المنصرفـة في إحدي سـنوات عصر السـلطان الناصر «محمد بن قلاون» سـنة (٧٤٥هـ) ثلاثة آلاف قنطار، قيمتها ثلاثون ألف دينار.

وحسـبما يقول «شـوقي عبد القوي حبيب» في مقال له عن الاحتفالات الرمضانية: «كان شهر رمضان من المناسبات العظيمة لسلاطين المماليك، لإظهار تقواهم وورعهم، فـكان منهـم من يوزع الطعـام على الفقراء، واعتـاد البعض منهم عتق رقبـة أو أكثر كما كان يفعـل السـابقون منهم، كما عمد بعضهـم إلى التصدق بخمـس وعشرين بقرة يوميًا

وآلاف الأرغفة ولحم الضأن، حيث يوزع للصدقات على الجوامع والزوايا، بالإضافة إلى منح كل زاوية ألف درهم فضة، كما كان من عادة سلاطين المماليك الإفراج عن بعض المسجونين والإنعام على المديونين بشيء يخفف عنهم ديونهم ويصالح عنهم الغرماء، وكانوا يقدمون على فعل أشياء كثيرة شبيهة بذلك.

وحاكى أمراء المماليك سلاطينهم في الإكثار من الصدقات والإحسان، خاصة في شهر رمضان، من ذلك أنه عرف عن الأمير «طشتمر» حرصه على الإكثار من ذبح البقر والغنم في ليالي رمضان، وكذلك فعل السلطان برقوق قبل أن يصبح سلطانًا.

الموائد فى العصر العثمانى

يقول «عبد الرحمن الجبرتي» بأن أهل مصر لهم سنن وطرائق في مكارم الأخلاق لا توجد في غيرهم، ويشير أنه في كل بيت من بيوت الأعيان العثمانية كان يوجد مطبخان، أحدهما أسفل رجالي، والثاني في الحريم. وفي هذه البيوت «كان السماط يمد مبذولا للناس ولا يمنعون من يريد الدخول.. وكانت لهم عادات وصدقات في المواسم الدينية خاصة في ليالي رمضان، يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ويملئون من ذلك قصاعًا كثيرة، ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين، ويجتمع في كل بيت الكثير من الفقراء، فيفرقون عليهم الخبز ويأكلون حتى يشبعوا، ويعطونهم بعد ذلك دراهم، ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم، خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية وسائر الحلوي!».

أما الأمير «عبد الرحمن كتخدا» الذي اشتهر بالزيادة التي أجراها على الجامع الأزهر وتعمير مشهد السيدة نفيسة ومسجدها، وباني مشهد السيد زينب ومشهد السيدة سكينة ومشهد السيدة عائشة والسيدة فاطمة والسيدة رقية والجامع ومشهد أبي السعود الجارحي ومسجد شرف الدين الكردي بالحسينية، ومجدد المارستان المنصوري. وأوقف عليهم الأوقاف؛ فمن سلوكه - كتخدا- مع الفقراء أنه كان يرتب «للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء في كل سنة فيأتون إلى داره أفواجًا

في أيـام معلومـة ويعودون مسرورين بتلك الكسـاوي، وكذلك المؤذنـون يفرق عليهم جملة من الإجرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح في ليالي الشتـاء وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوي والبر الصعيدي والملايات والأخلاف والبوابيج القيصرلي على النســاء الفقيـرات والأرامـل. أما في شهر رمضـان؛ فكان يخرج عنـد بيتـه فـي وقت الإفطار «عدة من القصاع الكبـار المملـوءة بالثريـد المسـقـي بمـرق اللحـم والسـمـن للفقـراء المجتمعيـن ويفرق عليهم النقيب هبر اللحم النضيج، فيعطي لكل فقير جعلـه وحصته في يده، وعندما يفرغون من الأكل يعطي لكل واحد منهـم رغيفيـن ونصفـي فضـة برســم سـحـوره إلى غيـر ذلـك، كما قام بضـم ثلاث قري من بلاد الأرز بناحية رشـيد وهي «تفينة وديبي وحصـة كتامة» لوقفـها وجعـل إيرادهــا ومـا يتحصـل من غلـة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقـراء والمنقطعين، وزاد في طعــام المجاوريـن بالأزهـر .

وممـن سـلكوا هذا المسـلك أيضًا خـلال العصر العثماني، التاجر الحـاج «عمر بن عبـد الوهاب الطرابلسي» الذي كـان منزلـه مـأوي الوافديـن مـن كـل جهـة ويقـوم بواجب إكرامهم وكان من عادته أنه لا يأكل مع الضيوف قط، إنما يخدم عليهم ما داموا يأكلون ثـم يأكـل مـع الخـدم. وكان إذا قرب شهر رمضان، وفد عليه كثير من مجاوري رواق الشـوام بالأزهـر وغيره فيقيمون عنده حتى ينقضي شـهر الصـوم في الإكرام، ثم يصلهـم بعـد ذلـك بنفقـة وكسـاوي ويعـودون مـن عنده مجبورين .

وكذلـك «محمـد أفندي الودنلي» المعـروف بناظر المهمات، «الذي أنشـأ مكتبًا لإقراء الأطفال ورتب تدريسًا في أحد المسـاجد وقرر فيه السيد أحمد الطحاوي الحنفي ومعه عشرة من الطلبة ورتب لهم ألف عثماني تصرف لهم من الروزنامة وللأطفال وكسـوتهم خلاف ذلك.

وكان يشـتري في عيـد الأضحـي جواميس وكباشًـا يذبح منها ويفـرق على الفقراء والموظفـين، ويرسـل إلى أصحابـه عـدة أكبـاش في عيد الأضحيـة إلى بيوتهـم على قدر مقاديرهـم ويرسـل في كل ليلة من ليـالي رمضان عدة قصاع مملـوءة بالثريد واللحم إلى الفقراء بالجامع الأزهر.

وقد استوقفت هذه المظاهر المستشرق الإنجليزى «إدوار لين» وقدم وصفًا لما كانت تسـلكه بيـوت الأثرياء في رمضـان، إذ كان يوضع كرسي عليه صينيـة قبيل الغروب في

غرفة الاستقبال بمنازل الطبقتين العليا والوسطي، ويوضع عليها صحاف عديدة تحوي أصنافًا مختلفة من المرطبات والمسكرات والبلح والتين ويجلسون في انتظار الوافدين عليهم على غير انتظار.

الموائد فى العصر الحديث

خلال النصف الأول من القرن العشرين اشتهر الملك فاروق بمآدب الإفطار التي كان يأمر بإقامتها في الملجأ العباسي، ومدرسة الرمل الثانوية بالإسكندرية، وفي مطعم الشعب بالقاهرة، فقد أولى الملك فاروق مساحة كبيرة من اهتمامه للولائم والموائد الرمضانية، التي تراوح الغرض منها ما بين، الدعاية السياسية، وإطعام المساكين.

ففى اليوم الثامن من أكتوبر عام ١٩٤٠، الموافق السادس من رمضان عام ١٣٥٩ هـ وبينما الحرب العالمية الثانية دائرة؛ زفت جريدة مصر لصاحبيها قيصر وصموئيل المنقبادى؛ خبر المآدب الملكية التى تفضل بها صاحب الجلالة الملك فاروق، وأمر بإقامتها على نفقة الجيب الملكى الخاص للفقراء فى مصر والأقاليم خلال شهر رمضان، حيث رأى جلالته أن يكون الفقراء ضيوفًا على جلالته وأمر بأن يستقبل المحافظون والمديرون هؤلاء المحرومين ويحوينهم باسم جلالته بكل العطف، وأن تسمى هذه الدعوات إفطار جلالة الملك للفقراء، وأشارت الجريدة أنه بناء على ذلك قد قام «أحمد حسنين باشا» بمكتبه بسراى عابدين بالاجتماع بالمديرين والمحافظين للاتفاق معهم على تنظيم هذه الدعوات والطريقة التى تكفل دعوة أكبر عدد ممكن من هؤلاء الفقراء لتناول الطعام، وقد قوبل هذا العطف الملكى على الفقراء والمعوزين بالدعاء لجلالته، وتحدد يوم الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع طول شهر رمضان لاستضافتهم بمطاعم الشعب بالقاهرة. وكانت سعادة محافظ العاصمة يطوف بتلك المطاعم ليتفقد بنفسه إعداد الطعام وكان يرافقه صاحب العزة وكيل المحافظة والصاغ أحمد حسان والأستاذ جرجس منقاريوس رئيس حسابات المحافظة.

وتابعت الجريدة تنفيذ الأمر الملكى فى المحافظات وسجلت قيام صاحب السعادة بدوى بك خليفة مدير الغربية بإعداد مأدبة فاخرة لإفطار الفقراء بملجأ الأميرة فوقية فى طنطا، يتناول عليها الطعام ٥٠٠ شخص، وكان سعادته يمر على كل شخص يجلس

على المائدة ليسأله عما يريد. وفى قليوب قام الأستاذ زين العابدين مأمور مركز قليوب باتخاذ التدابير اللازمة لإعداد الطعام لـ ٨٠٠ فقير؛ حيث أفرد لهم مكانًا كبيرًا مزينًا بصورة جلالة الملك ومكللا بالأنوار، وكان الطعام مؤلفًا من الخضر والأرز واللحم والمهلبية والحلويات، إضافة إلى توزيع الطعام على أكثر من مائة عائلة فى منازلهم، وقبل مدفع الإفطار كان فؤاد بك شيرين مدير القليوبية يرافقه بعض موظفى المديرية يطوفون على الموائد لتحية الجالسين عليها، فكانوا يقابلون ذلك بالدعاء لجلالة الملك، وكان يشارك مدير المديرية حضرات رجال الإدارة والبوليس ورجال المجلس ومحمد بك الشواربى عمدة البندر، الذى أخذ على نفسه توزيع تذاكر الدعوة بنفسه وموالاة إعداد الطعام، بإشراف طبيب المركز، وكان مأمور المركز يوزع البلح والسجائر بيده، كما وزعت عليهم القهوة وأخذت للجميع صورة فوتوغرافية. وفى الصعيد كانت تحدث أمور مماثلة تنفيذًا للتعليمات الملكية، حيث خصصت فى مدرسة الفيوم الثانوية الأميرية أمكنة إعداد مأدبة إفطار تكفى لإطعام ٥٠٠ شخص تحت إشراف محافظ الفيوم. وفى تلك الأيام حدثت سيول عنيفة جارفة دمرت مناطق عديدة من جنوب الوادى، خاصة فى قنا وأسوان وما جاورهما، مما أدى إلى زيادة عناية أجهزة الحكومة بإنقاذ أهالى القرى المتضررة من السيول وإعادة الخطوط الحديدية والطرق التى دمرت ومواساة ومساعدة المتضررين، وتنفيذ الأمر الملكى بإطعام فقراء تلك البلاد.

ولم تنس الحكومة أولياء أمور التلاميذ فى تلك الظروف العصيبة.. ظروف الحرب العالمية الثانية- فقررت فى السابع من رمضان/ ٩ أكتوبر ١٩٤٠ م تقسيط المصروفات الدراسية على ٦ أقسام تدفع فى اليوم الثانى من شهور: أكتوبر، ونوفمبر، ويناير، وفبراير، وإبريل، ومايو.

وتابعت جريدة مصر بعناية أخبار السراى الملكية «قصر عابدين».. وما يتم به من مآدب.. وهى خمس مآدب تقام خلال شهر رمضان.. ويحضرها جلالة الملك وكبار الشخصيات، حيث ذكرت فى عددها الصادر ٨ أكتوبر ١٩٤٠ (السادس من رمضان ١٣٥٩ هـ) وقائع المأدبة الأولى بالتفصيل، حيث قال المحرر: «أقيمت اليوم فى قصر عابدين العامر مأدبة إفطار، حضرها حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد عبد المنعم - وسعادة سفير إيران - وحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء -

وحضرتا صاحب المقام الرفيع محمد شريف صبى باشا - وعلى ماهر باشا - وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر - وحضرات أصحاب المعالى الوزراء.. وحضرات أصحاب المعالى الحائزين لرتبة الامتياز، وحضرات أصحاب السعادة والفضيلة والعزة رئيس لجنه قضايا الحكومة ورئيس ووكيل المستشارى محكمة النقض والإبرام - ورئيس المحكمة العليا الشرعية - والنائب العمومى - مفتى الديار المصرية - ونقيب الأشراف - وحضرة صاحب السماحة شيخ الطرق الصوفية - وحضرات أصحاب الفضيلة نائب أعضاء المحكمة العليا الشرعية والمستشارين الملكيين، وحضرة الأفوكاتو العمومى لدى محكمة النقض والإبرام، وحضرة صاحب العزة محافظ القاهرة - وحضرات كبار موظفى الأزهر والمعاهد الدينية، ومفتى وزارة الأوقاف ونقيب المحامين الشرعيين، وكبار أعيان القاهرة، وكبار موظفى القصر الملكى».

واستطرد المحرر قائلا: « وفى الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة والعشرين مساء تحرك الركاب العالى الملكى من قصر عابدين العامر، وفى المعية السنية حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى شيخ الجامع الأزهر، قاصدًا إلى مجلس الرفاعى للاستماع إلى الحديث الدينى الذى ألقاه فضيلة الأستاذ الأكبر، ثم غادر جلالته المسجد مودعا بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم، عائدًا فى سلامة الله إلى قصر عابدين.

وفى يوم الإثنين ١٤ أكتوبر عام ١٩٤٠ (١٢ رمضان ١٣٥٩ هـ) أقيمت بقصر عابدين مأدبة الإفطار الملكية الثانية وقد دعى إليها عدد أقل من الشخصيات بالمقارنة بما تم دعوته فى المأدبة الأولى، ومن تلك الشخصيات صاحب المجد النبيل عباس حليم - وصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وصاحب العزة رئيس مجلس الشيوخ... ورئيس مجلس النواب، وصاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا، ولفيف من رجال الأدب والمال والأعمال وكبار الأعيان... إلخ.

ثم توجه جلاله الملك بعد ذلك فى تمام الساعة التاسعة إلى مسجد محمد على بالقلعة ليشهد جلالته الاحتفال بإحياء ذكرى محمد على باشا - رأس الأسرة الملكية الكريمة - وألقى صاحب العزة عبد الله عفيفى بك بين يدي جلاله كلمة مناسبة .

وفى يوم ١٧ أكتوبر ١٩٤٠ أقيمت مأدبة الإفطار الملكية الثالثة بقصر عابدين العامر حيث دعى إليها كبار ضباط الجيش المصرى.

أما المأدبة الملكية الرابعة فقد دعى إليها مديرو العموم – وأعيان محافظة الإسكندرية – وبعض كبار الموظفين – وكبار رجال القضاء والمستشارين، وفى تمام الساعة التاسعة مساءً قصد جلاله الملك إلى مسجد السيدة عائشة رضى الله عنها؛ حيث استمع إلى الحديث الدينى لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر.

وفى اليوم السادس والعشرين من رمضان أقيمت المأدبة الملكية الخامسة والأخيرة وهى خاتمة المآدب، وحضرها جلاله الملك، ودعى إليها كبار رجال الدولة وأعيان القاهرة والأقاليم ممن لم يحضروا المآدب السابقة، وفى الساعة الثامنة مساء توجه جلاله الملك إلى مسجد الفتح ليرأس الاحتفال بليله القدر ويستمع للكلمة التى ألقاها بين يدي جلالته صاحب العزة الأستاذ عبد الله عفيفى بك، أمام الحضرة الملكية، فى موضوع ليلة» القدر ونزول القرآن(١٠).

وفي رمضان الذي أهل على المملكة المصرية في عام ١٣٦٠ هـ، تابعت مجلة «المصور» في عددها الصادر في الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤١ فى مقالة بعنوان [مولانا استقبل أصحاب السعادة والأفندية أيضاً] – تابعت – وقائع دعوة جلالة الملك فاروق لرجال القصور والخاصة الملكية لمائدة إفطار رمضانية، في قصر عابدين.

قالت مجلة المصور: كان كبار رجال القصر ممن يحظون بشرف المآدب الملكية في رمضان، وكان البروتوكول مقصورًا على أصحاب المعالي والسعادة والعزة، وتفضل جلالته بإقامة مأدبة عائلية في قاعة المآدب الكبري بقصر عابدين نال شرف حضورها أربعمائة موظف من أكبر درجة، أي من أصحاب المعالي فنازلاً إلى الأفندية وموظفي الدرجة التاسعة، وقد شملهم جلالة الملك جميعاً بعطفه الكريم. وسمح جلالته بالتيسير على صغار الموظفين بأن يحضر جميع المدعوين بالثياب العادية الغامقة.

وكانت مأدبة فاخرة قدم فيها شراب البرتقال والسجائر ثم تلاهما الأصناف الآتية: حساء ساخن بالخضر، حمل بلدي بالخلطة، وفاصوليا بالدجاج، وديك رومي فاخر بالبطاطس وأرز مع لبن زبادي، وحلاوة بالقشدة وخُشاف وفواكه وقهوة. وقد أكل الموظفون هنيئاً مريئاً ونعموا بالعطف السامي، والرعاية الكريمة. وأردف المصور:

كانت هـذه المأدبة مظهراً جميلاً وقدوة حسنة للرؤساء فيما يجب أن يكون بينهم وبين مرءوسيهم كبارًاوصغارًا من عطف وتعاون ورعاية وجو عائلي.

ولم يشأ صاحب الجلالة أن يحرم من هذا العطف جميع من يتشرفون بخدمة السراي، فظفر الخدم والسائقون والجنايني بنفس الطعام الذي أكل منه الملك[11].

و في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٥٠ الموافق الثامن من رمضان ١٣٧١ هـ نقلت المصور تفاصيل الاحتفال بأول أيام رمضان فى قصر رأس التين بالإسكندرية، فقد بدأ الوزراء والكبراء ورجال الدولة يفدون على القصر في أول أيام الصوم، يستمعون إلى القرآن الكريم، وهو يذاع من القصر كل عام.

وقد أقيم سرادق على مقربة من القصر لاستقبال الذين يريدون أن يستمعوا إلى الذكر الحكيم، وقد ذهب سرب من السيدات إلى السرادق، رغبة في الاستماع إلى القرآن،

ولكن قيل لهن إن التقاليد لا تعرف ذلك، فاكتفين بالجلوس على الحشائش قريبًا من السرادق، وبعد لحظات أقبل فريق من جنود الجيش المصري المعسكرين في ثكنات مصطفي باشا، على هيئة «طوابير»، ثم اتخذوا أماكنهم داخل السرادق، ويتسع السرادق لخمسة آلاف شخص ويمتلئ كل ليلة بأبناء الشعب من مختلف الطبقات.

وقد أمر جلالة الملك بإقامة مائدة إفطار ملكية، دعا إليها الأمراء والوزراء ورجال الأزهر والسلك السياسي المسلمين ورؤساء ووفود جامعة الدول العربية، وأقيم سرادق كبير في حديقة القصر على قرب من «السلاملك»، ثم تفضل جلالة الملك فصافح مدعويه بيده الكريمة، بعد أن حياهم وهو يدخل السرادق بقوله: «كل عام وأنتم بخير»، وقد سمح لأعضاء وفود جامعة الدول بأن يشهدوا المائدة بملابسهم العادية، فكانت مفاجأة كريمة لهم. وفجأة انقلب الجو وهب نسيم بارد من البحر، وكان بعض المدعوين يرتدون ملابس الصيف الخفيفة، فأحسوا بهذا التغيير فأسرعوا بعد الإفطار ينشدون شيئًا من الدفء.

وإذ أذن المؤذن أدير على الحاضرين «شراب الورد» ووضع النحاس باشا بضع قطرات من الدواء في كوب، وقد تمني له الحاضرون الشفاء.

وبعـد أن انتهي المدعـوون من تناول الإفطـار، وقف جلالة الملـك، وقال لضيوفه: «كل عام وأنتم بخير، وأرجو أن تشـعروا بأنكـم في بيوتكم».. وانصرف جلالته وأخذ الحـاضرون يتناولـون القهـوة والسـيجار، وقـد أمَّ الأمير عبـد الكريم الخطـابي بعض المدعوين، وأمَّ الشيخ أبو العيون غيرهم في ركن آخر من أركان السرادق.

ولم ينس رجـال القصر أولئك الذين سـاروا في خدمـة كبار المدعوين وهم سـائقو السـيارات، وأقيمـت لهم مائدة أخري، يتناولون عليها الطعام ثـم انتقلوا إلى السرادق، حيث يستمعون إلى آيات الذكر الحكيم[١٢].

**

ومازال الاهتمام بإفطار عابرى السـبيل يشـغل حيزًا كبيرًا مـن إهتمام المصريين، على اختـلاف طبقاتهم، ففي القرى ذات الجذور والملامح العربية بمحافظة أسـوان مازالت عادة تجمع أصحاب المنازل الواقعة على الطرق الرئيسية يحمل كل صاحب بيت (صينية طعام) يستضيفون عليها العابرين وركاب السيارات المسافرين[١٣].

وفي قنـا إذا تصادف رمضان مع موسـم محصول الطماطم فـإن تجار الطماطم يقيمون مآدب الإفطار الجماعي للمسافرين على الطريق ويشاركونهم إياه[١٤].

ويحرص أبناء البادية فى سيناء على فتح المقاعد والدواوين للإفطار الجماعي طول شهر رمضان كنوع من التكافل الاجتماعي؛ حيث يصطحب كل رجل أطفاله لتعويدهم على ذلك، ولا يبقى في المنزل سوى السيدات والفتيات والشيوخ كبار السن فيتناول الجميع الإفطـار معًا، أما الضيف فيكون له اهتمام خاص، حيث تترك له مائدة مسـتقلة تسـمى «طبلية الضيـف». وقبل الإفطار بساعة تجد أبناء القبيلة على طول طريق السفر الممتد من العريش إلى القنطرة يجلسـون أمام الطريق وهم يشـعلون النار ليراها القادم من بعيد ثم يستوقفونه لإجباره على الإفطار معهم بالديوان البدوي العام، وغالبًا ما تحتوي الطبلية عـلى مختلـف أنواع الطعام ومن العادات ألا يسـأل الضيف عن اسـمه أو عمله أو حتى ديانته أو جنسيته فهو ضيف فقط[١٥].

ويسـبق إعداد الإفطار إشـعال النيران والمواقد المتوهجة حتى يقبل عليها السائرون أو من يكون تائها في الصحراء ثم تستخدم في إعداد الشاي والقهوة بعد ذلك.

ويحرص كل فرد من أفراد القبيلة طول رمضان على إحضار إفطاره ويضع كل منهم الأطباق التي أحضرها على مائدة كبيرة حتى يتناول الغني طعام الفقير ويتناول الفقير طعام الغني. وعند أذان المغرب يقومون للصلاة بعد توزيع التمر والمياه والعصائر، ثم يقبلون على المائدة فيأكل كل فرد من جميع الأطباق الموجودة دون فارق.

ويبدأ تجهيز مجلس الإفطار عقب صلاة العصر إذ يتوافد جميع رجال وشباب وأطفال القبيلة ويبدءون للتجهيز للإفطار وإعداد الشاي والقهوة حتى يحين موعد أذان المغرب(١٦).

وبعد الإفطار تترك المائدة ولا يرفع عنها الطعام حتى بعد صلاة التراويح تحسبًا لوصول أي ضيف أو عابر سبيل أو مار على الطريق ولم يفطر(١٧).

موائد الرحمن

لا يكاد المتجول بمعظم المدن المصرية فى أيام رمضان من زماننا الحالى، خصوصًا في العواصم؛ أن ينزل عينيه عن لافتة تعلن عن وجود مائدة الرحمن إلا ويفاجأ بأخري.

في العصور السابقة كان أصحاب الموائد معلومين للناس، أما موائد العصر الحالي فالفقراء لا يعرفون عنها أكثر من مكان إقامتها، حسبما تشير اللافتات.

في موائد وسط البلد - على سبيل المثال - يجلس المحتاجون إلى ترابيزة كبيرة مستطيلة، هى عبارة عن مجموعة من الترابيزات الصغيرة المرصوصة إلى جوار بعضها البعض، بانتظار لحظة الإفطار.. التي ما إن تحين، حتى يهرع القائمون على أمر المائدة إلى تقديم الطعام للناس.

هذا النوع من الموائد يحترم إلى حد كبير آدمية الإنسان وعوزه فيقدم له الطعام بطريقة لائقة بالإنسان، دون ضغط نفسي عليه، أما الطعام فغالبًا ما يكون قد أعد في ناحية قريبة من المائدة، محل مغلق - مثلا - يؤجر خصيصًا لهذه المناسبة، أو في نهاية زقاق أو مدخل بيت.

وعـن القائمين على أمر الموائد فهم ـ غالبًا ـ أناس يسـتأجرون لهذه المناسـبة فيما بين طهـاة وطاهيـات ومقدمي طعام ويشرف عليهم شـخص محدد هو المسـئول عن نوعية الطعام الذي يطبخ يوميًا وكمياته.

ولم يعـد صاحـب المائـدة أو مقيمها فـردًا واحدًا، بل هنـاك العديد مـن الموائد التي يشـترك في الإنفاق عليهـا أكثر من ممول، خصوصًا التجار الذيـن تجمعهم رابطة الجوار والمصالح المالية، في الأحياء التجارية المهمة.

أمـا موائد الجوامع فإن الطعام في أغلب الحالات يعد خارجها، ويأتي به المسـئولون عنـه إلى الجامـع لتوزيعه فقط وقت الإفطـار. وفي قليل من الحالات يعـد الطعام داخل الجامع نفسـه، خصوصًا الجوامع الكبرى التي تتمتع بمساحات كبيرة غير مستغلة. وفي بعض الجوامع الحديثة الواسـعة يعد الطعام ويقدم في سـاحته وملحقاتها، محققين بذلك صون كرامة المحتاجين والرحمة بعوزهم.

أما عن موائد أشهر جوامع المحروسة، وهو جامع «الحسين» فما إن يرفع الأذان حتى تجـد صحن الجامع قـد تحول إلى مائدة كبـيرة، لذا يحرص خادمـو الجامع على تخصيص جزء محدد منه لتناول الطعام فيه، حتى لا تمتد مخلفات الطعام إلى أماكن الصلاة.

وعـلى حين يجتمع الرجال والنسـاء معًا على مائدة واحـدة إلى جوار بعضهم البعض في موائـد الشـوارع؛ فـإن موائـد الجوامع تحرص عـلى تخصيص مكان للسـيدات وآخر للرجال.

أغلـب هذه الموائـد تتكون قائمة طعامه مـن طبق أرز وصنف مـن الخضار المطبوخ وقطعة لحم متوسطة الحجم أو قطعتين صغيرتين، وحين لا يتوافر الأرز فإن (المكرونة) تكون هي البديل. وهناك بعض الموائد تخرج عن المألوف وتقدم وجبة عبارة عن كوب زبادي وقرصة أو رغيف فينو وبضع حبات من التمر.

ومن الأمور الجديرة بالتأمل خلال تقديم الطعام وتناوله، السـلوكيات التي تمارس سـواء مـن قبل القائمين على أمر هذه الموائد أو المتفعـين منها، إذ يوجد صنف من رواد هذه الموائد لا تكفيه الوجبة المقررة، فيلجأ للتحايل على مقدم الطعام ليحصل على وجبة إضافيـة أو قطعة لحم أخرى، ومن هنا تنشـأ العديد من المشـكلات التـي تنتهي في كثير

من الأحيان بمشاجرة بين المسئول عن المائدة وبين الناس، إحدي هذه المشاجرات - بجامع الحسين - وصل ذات مرة إلى حد العنف وإطلاق الكلمات العنيفة من قبل مقدم الطعام إلى أحد طالبيه الذي كان يطلب وجبة لشيخ مسن لم يستطع أن يتقدم بنفسه للحصول على الطعام.

ولأن يوم الأحد هو عطلة القاهرة، فإن بعض الموائد تحتجب بالتالي يوم الأحد ليقع الفقراء وعابرو السبيل الذين يعلمون بمكان المائدة في أزمة ويصبح عليهم أن يبحثوا عن مائدة أخري، وهو ما يشير إلى أن الغرض الأساسي من هذه الموائد هو إطعام صنف معين من الناس، وهم العاملين بالمحال التجارية والورش، وليس عموم المحتاجين، كما أن الموائد لم تعد مقصورة على الفقراء أو المحتاجين، لقد تغير هذا المفهوم نفسه كما تغيرت أحوال المصريين الاقتصادية واختلفت معايير الفقر والغني، فقد بات يلجأ إليها عابرو السبيل الذين اضطرتهم ظروفهم للتواجد خارج المنزل في هذه الساعة إما لشراء حاجات العيد أو التسوق ولا يجدون حرجًا من الجلوس إلى هذه الموائد، خصوصًا مع الارتفاع الشديد في أسعار الطعام بمحلات المأكولات الجاهزة خلال شهر رمضان، وما يثير التأمل هو أن أغلب هذه الموائد معلومة الأماكن للمعدمين الذين يضمنون وجبة إفطار مقبولة إلى حد كبير طول الشهر الكريم، ويتخلصون فيها من هم التفكير في لقمة يقتاتون بها، لذا تتسم نوعية المترددين على معظم هذه الموائد بالثبات ومن ثم تنشأ بينهم بوادر علاقات اجتماعية، فثلاثون يومًا من التلاقي الجسدي المتواصل كفيلة بتلاقي الأرواح.

السبيل

السبيل وحدة معمارية كانت تلحق بأحد أركان المسجد للشرب وإرواء السابلة، وفي أغلب الأحيان، كان يعلوه مكان لتحفيظ الأطفال القرآن يعرف بالكُتَّاب، ثم أصبحت هذه الأبنية بعد ذلك منفصلة، كما هو الحال في كثير من أسبلة القاهرة واستانبول. وقد اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم بإنشاء أسبلة للناس وأحواض السقي للحيوان في مختلف مواضع القاهرة[١٨].

كان السـبيل يعمـل عن طريق رفـع الماء من بيارة الصهريج بواسـطة دلو ويُصب في حوض مرتفع وينسـاب منه الماء خلال مجار من الرصاص إلى حوض آخر موجود أعلى لوح الشـذروان (السلسـبيل)، حيث ينساب الماء على سـطحه المتموج متجهًا إلى أسفل ليتجمع في حوض أسـفل السلسـبيل، لينتقـل إلى أحواض الشرب في واجهة السـبيل؛ حيـث توجد كيزان وطاسـات الشرب ليـشرب المارة المـاء العذب البـارد الممزوج بماء الورد.

وكانت سـعة صهريج كل سـبيل من الماء هى التي تتحكم في تحديد أيام وسـاعات عمله طول السنة، فكانت كميّة الماء المستهلكة يوميًا مقننة ومحسُوبة بحيث يغطى مخزون الصهريـج من الماء الاسـتهلاك لمدة سـنة أو نصف سـنة حسـب ما يحدده المنشـئ طبقاً لقدرته المالية وما تدره الأوقاف التي أوقفها للصّرف من ريعها على تشغيل السبيل[١٩].

وكانت أغلب الأسـبلة تعمـل طول النهار وكل يوم على مدار السـنة، وكان بعضها يفتـح شـبابيكه لتزويد المارة بماء الـشرب من الصباح حتى العـصر، وبعضها يعمل من الظهـيرة حتى العصر ووقت الحر الشـديد فقط، وأسـبلة تعمل في فصـل الصيف فقط بنـاء رغبة منشـئيها مـن الظهـر إلى العصر. أما في شـهر رمضان فكانت الأسـبلة تعمل مـن وقـت الغروب حتى الفجر، والقليل منهـا كان يعمل من وقت المغرب حتى صلاة التراويح[٢٠].

وكان يقوم بتشـغيل السـبيل وإدارتـه وتقديم الخدمة به بطريقـة منظمة مجموعة من الأفراد حسب شروط تحددها وثيقة الوقف، وكان على رأسهم ناظر الوقف الذي يقوم بإدارة أوقـاف الواقف ويرعي مصالحها ويقوم بتعميرهـا وتنميتها وتحصيل الإيرادات وأنفاقها حسـب شروط الواقف. أما الموظف الرئيسي في تشـغيل السّبيل فهو المزملاتي، وكان عليه فتح وغلق السبيل في الأوقات التي حددها الواقف، ونقل الماء من الصهريج وصّبـه في أحواض المزملة، وتفريـق الماء على المارة وإنارة السـبيل من الداخل والخارج خصوصا في شـهر رمضان، وحفظ أدوات السّبيل وحراسـتها وتنظيفها يوميًا، والرش أمـام السـبيل، وتنظيـف حجرة التسـبيل وتجفيـف الأحـواض في نهاية كل فـترة عمل استعدادا للفترة التالية وذلك حرصًا على الصحة العامة.

وفي العصر العثماني تطورت وظيفة المزملاتي وأصبح له معاون أو أكثر يطلق عليه اسم «السَّبيلجي» يقوم برفع الماء من الصهريج وملء الأحواض، وأصبح المزملاتي يعمل على شباك التسبيل فقط ومزج الماء بماء الورد والإشراف العام على خدمات السبيل.

كان يشترط في المزملاتي أن يكون سليم الجسم خاليًا من الأمراض وبصفة خاصة الجذام، وأن يكون رجلاً من أهل الخير والدين والصلاح نظيف الثياب والبدن، سالم من العاهات، قوى قادر على العمل، وأمين من أهل الثقة جميل الهيئة. واشترط فيه أن يُسَهل الشرّب على الناس ويعاملهم بالحُسنى والرفق وإدخال الراحة عليهم. وكان المزملاتي يتقاضى مرتبًا شهريًا أو سنويًا يقدره الواقف حسب قدرته المالية، وفي العصر المملوكي كان يتقاضى إلى جانب مرتبه كمية من القمح تصل إلى إردب شهريًا إلى جانب أرطال من الخبز يوميًا، وفي العصر العثماني كان يُصرف له بدل نقدي ثمن جراية وكُسوة ، وفي بعض الأحيان تصرف له الجراية عينية وتقدر بثلاثة أو أربعة أرغفة يوميًا زنة كل رغيف ½ رطل وهذا دليل على أن المزملاتي لم يكن يغادر عمله أثناء النهار وبصفة خاصة في وقت الظهيرة[٢١].

ولا يزال بالقاهرة القليل من الأسبلة التي شيدها المماليك وأمراؤهم، وفيها ثلاثة أسبلة شيدت قبل القرن السابع عشر. أما ما شيد من الأسبلة في القرن ١٧ – فعددها ٣٣، وعدد ما شيد منها في القرن ١٨، ٣٣. وفي القرن ١٩ شيد منها ١٣ فقط، ومن المحتمل أن ما شيد منها في أوائل القرن العشرين لا يزيد على أربعة. ويعتبر سبيل والدة عباس بالصليبة أفخمها شيد في عام (١٨٦٧)[٢٢].

إذا كان السبيل بشكله المعمارى التقليدى قد اختفى من ديوان الحياة المصرية، فإن الناس مازالوا يستخدمون الاسم بإطلاقه على مبردات الماء التى يحرص الأغنياء أو الناذرون على إقامتها فى الشوارع إرواء للسابلة، وهى ظاهرة منتشرة فى ربوع مصر كافة، وتؤدى نفس وظيفة السبيل القديمة، باستثناء أن السبيل القديم كان يراعى عند إنشائه تخصيص جانب منه لسقاية الدواب كما تقدم.

الهوامش

(١) نظرا لأهمية هذه الدراسة وتفردها فإننا نرتكز عليها بصورة أساسية في هذا الجزء، وقد نشرت الدراسة على شبكة الإنترنت، موقع إسلام أون لاين، تاريخ الدخول: ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٥.

(٢) السامرائي: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية.

(٣) عزت السعدني: عزيزي لؤلؤ الحاجب، جريدة الأهرام، ٦-٩-٢٠٠٨.

(٤) أحمد حسين الطماوى، صور رمضانية فى القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩، أغسطس ٢٠١٠.

(٥) حسن عبد الوهاب: رمضان

(٦) السامرائي: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية.

(٧) الجفنة هى القصعة الكبيرة، والجمع (جفان).

(٨) د. سمية حسن محمد إبراهيم، العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ٣٣- ٣٤.

(٩) وُلد في ١١ فبراير ١٩٢٠، وتولى في ٦ مايو ١٩٣٦.

(١٠) نبيل السالوطى، شهر رمضان فى جريدة «مصر» ومجلة «الراديو المصرى» عام ١٩٤٠، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩، أغسطس ٢٠١٠.

(١١) عن: جريدة المصرى اليوم، الخميس ١٣ سبتمبر ٢٠٠٧ عدد ١١٨٧

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) دعاء صالح، رمضان وآب اللهاب، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٤٠، سبتمبر ٢٠١٢.

(١٤) دعاء صالح، رمضان وآب اللهاب، مرجع سابق.

(١٥) أحمد سليم : حكايات رمضانية سيناوية، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

(١٦) على المصري وسوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ٢٠٠٨/٩/١.

(١٧) أحمد سليم : عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائى، بتصرف يسير.

(١٨) عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص١٢١- ١٢٩.

(١٩) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر . القاهرة : ١٩٨٠ . حسنة نويصر : مجموعة سُبل قايتباى . ص ١٩ . و محمود الحسيني: الأسبلة العثمانية . ص ٢٩٩ -٣٢٢.

(٢٠) فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الثالث، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: إبريل نيسان ٢٠٠٤، ص ٢٣٠.

(٢١) المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(٢٢) عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص١٢١- ١٢٩.

آداب وفنون

- أغانى شهر رمضان فى الإذاعة والسينما
- أغانى شهر رمضان الشعبية
- شهر رمضان فى الأفلام السينمائية
- شهر رمضان فى الأمثال الشعبية
- التوحيش
- شهر رمضان فى ديوان الشعر العربى
- نثر رمضان
- شهر رمضان في ذاكرة الأدباء والكُتَّاب
- شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين
- القوما
- المسحراتى
- حالو يا حالو
- وحوى يا وحوى

أغاني شهر رمضان فى الإذاعة والسينما

منذ أنشئت الإذاعة المصرية عام ١٩٣٤م، وهي تحتفي بشهر رمضان احتفاءً خاصًا، سواء بنقل الاحتفالات الدينية، التي تقام في المساجد والسرادقات، أو بتقديم البرامج والمسلسلات الدينية، والأوبريتات والصور الغنائية، وقد احتلت الأغنية نصيبًا كبيرًا من هذا الاهتمام، فقدمت على مدار عمرها عشرات الأغاني المتعلقة بهذا الشهر، ورغم أنه لا يوجد إحصاء دقيق لهذه الأغاني، أو ثبت بنصوصها فإن هناك العديد منها حظي بشهرة واسعة، وأصبحت واحدة من التقاليد والارتباطات الرمضانية الراسخة، التي تحيل المستمع فور انطلاقها إلى الأجواء الرمضانية.

ولم يقتصر تقديم الأغانى الرمضانية على الإذاعة وحدها، إنما امتد مجالها - كذلك - إلى الأفلام السينمائية التى قامت بتوظيف العديد من هذه الأغانى داخل أحداثها، للتعبير عما يمثله هذا الشهر لجموع المصريين على مختلف أحداثه ومظاهره الاحتفالية.

وقد استلهمت بعض هذه الأغنيات نصوصًا وموتيفات شعبية شهيرة قامت عليها، مثل: «وحوي يا وحوي» و «حالو يا حالو»، اللتين استلهمتا مرات عديدة، إضافة إلى بعض أغاني التسحير، التي وظفت عبارات شعبية شهيرة وراسخة كان يستخدمها المسحرون. ويمكن تقسيم هذه الأغاني إلى أقسام أربعة رئيسية، هي: أغاني استقبال الشهر، أغاني الاحتفال به وإحياء لياليه، أغاني التسحير، ورابعًا: أغاني الوداع، أو ما يمكن أن يطلق عليها أغاني التوحيش. وندرج هنا نصوص عدد من أشهر هذه الأغاني سواء التى أنتجتها الإذاعة، أو قدمت فى سياق الأفلام.

أولا: من أغاني الاستقبال

وحوي يا وحوي

غناء وتلحين: أحمد شريف وسميرة وصفي، كلمات: حسين حلمي المانسترلي. أذيعت الساعة ٢٠ ,٨ ق مساء الثلاثاء ١١ رمضان ١٣٥٨ هـ/ ٢٤/ ١٠/ ١٩٣٩، وأعاد أحمد شريف تسجيلها بصوته منفردًا وأذيعت يوم الجمعة الموافق ٢٦/ ٩/ ١٩٤١، وأعاد أحمد عبد القادر تقديمها للمرة الثالثة وهو التسجيل المنتشر الآن.

وحوي يا وحوي.. إياحه

رحت يا شعبان.. إياحه

وحوينا الدار..

جيت يا رمضان

وحوي يا وحوي.. إياحه

❁❁

هل هلالك والبدر أهو بان

ياللا الغفار

شهر مبارك وبقي له زمان

ياللا الغفار

ما أحلي نهارك بالخير مليان

وحوي يا وحوي..

إياحا

رحت يا شعبان..

إياحا

وحوينا الدار..

جيت يا رمضان

وحوي يا وحوي..

إياحا

**

جيت بجمالك سقفوا يا عيال

يا للا الغفار

ما أحلي صيامك فيه صحه وعال

يا للا الغفار

نفدي وصالك بالروح والمال

وحوي يا وحوي..

إياحا

رحت يا شعبان..

إياحا

وحوينا الدار..

جيت يا رمضان

وحوي يا وحوي..

إياحا

**

طول ما نشوفك قلبنا فرحان

ياللا الغفار

في الدار خيرك أشكال والوان

يا للا الغفار

بكره في عيدك نلبس فستان

وحوي يا وحوي..

إياحا

رحت يا شعبان..

إياحا

وحوينا الدار..

جيت يا رمضان

وحوي يا وحوي..

إياحا

**

هاتي فانوسك يا أختي يا إحسان

يا للا الغفار

آه يا ننوسك في ليالي رمضان

يا للا الغفار

ماما تبوسك وياباكي كمان

وحوي يا وحوي..

إياحا

رحت يا شعبان..

إياحا

وحوينا الدار..

جيت يا رمضان

وحوي يا وحوي..

إياحا.

ألف مرحب يا رمضان

أداء: فرقة من طالبات قسم الموسيقي بالمعهد العالي لمعلمات الفنون، تأليف: أحمد فؤاد شومان، ألحان: الآنسة/ إحسان محمد شفيق. أذيعت الساعة ٧,٥٠ ق مساء الأربعاء ٨ رمضان ١٣٦٢ هـ الموافق ٨/ ٩/ ١٩٤٣م.

يا ألف مرحب يا رمضان

هليت وكل الكون فرحان

ع المسلمين بالأنوار جيت

وبالفرح ع الناس هليت

يا شهر غالي يا شهر الصوم

تعود لنا دايما وتدوم

شهر المني شهر الأنوار

شهر الهنا

يا للا الغفار

والرزق فيه أشكال وألوان

يا ألف مرحب يا رمضان .

أهلا رمضان

غناء: محمد فوزي والمجموعة

أهلا أهلا يا رمضان
بعد الغيبه هلالك بان
شهر عباده وزكا وصيام
تحلي أيامه بذكر الله
شهر البر على الإسلام
جاي بالخير والسعد معاه
وفرحنا بك بعد غيابك..
يا رمضان
مرحب مرحب والله زمان
بعد الغيبه هلالك بان
هل هلاله شهر النور
عمره ما يخلف المواعيد
شهر كريم و هنا و سرور
بيهنينا وبعده العيد
و ف أيامك يا رمضان
يحلي صيامك يا رمضان
جبت الخير أشكال و ألوان
بعد الغيبه هلالك بان

كل منانا أيامه تطول

وفي لياليه نسمع قرآن

قيدى الشمع وغنى وقول

ياهنانا بشهر الإحسان

وفرحنا بك بعد غيابك..

يا رمضان

يا مفضل عند الرحمن

بعد الغيبه هلالك بان.

مرحب شهر الصوم

غناء: عبد العزيز محمود.

مرحب شهر الصوم مرحب

لياليك عادت بـ أمان

بعد انتظارنا وشوقنا إليك

جيت يا رمضان

مرحب بقدومك يا رمضان

ونعيش ونصومك يا رمضان

بعد انتظارنا وشوقنا إليك

جيت يااااااا رمضاااااااان

❊❊

زيك ما فيش بين الأيام

كلك حسنات

بيزيد معاك نور الإسلام

فضل وبركات

لياليك محلاها يا رمضان

ويا محلا بهاها يا رمضان

بعد انتظارنا و شوقنا إليك

جيت يا رمضان

❊❊

كل العباد فيك فرحانه

بين صلا وصيام

حتي العيون فيك سهرانه

مش راضيه تنام

ليل ويا نهار

وكبار وصغار

بعد انتظارنا وشوقنا إليك

جيت يا رمضان

**

محلاهم فيك بعد ما نفطر شمع منور

ماسكين فوانيس دا فانوس أحمر

وفانوس أخضر

يرقصوا ويغنوا

يا رمضان

فرحم واتهنوا

يا رمضان

بعد انتظارنا وشوقنا إليك

جيت يا رمضان

**

المؤمن يستني هلالك

فرحان وسعيد

وتروَّح وتزيد في جلالك أيام العيد

فيها خير وأماني

يا رمضان

وتجينا من تاني

يا رمضان

بعد انتظارنا وشوقنا إليك

جيت يا رمضان

مرحب شهر الصوم مرحب

لياليك عادت في أمان

بعد انتظارنا و شوقنا إليك

جيت يا رمضان

مرحب بقدومك يا رمضان

ونعيش و نصونك يا رمضان

رمضان جانا

غناء: محمد عبد المطلب.

رمضان جانا..

وفرحنا به..

بعد غيابه..

وبقاله زمان

غنوا معانا.. شهر بطوله..

هنوا وقولوا.. أهلا رمضان

قولوا معانا.. أهلا رمضان

رمضان جانا.. أهلا رمضان

بتغيب علينا وتهجرنا..

وقلوبنا معاك

وفى السنة مرة تزورنا

وبنستناك

من إمتي وإحنا بنحسب لك..

ونوضب لك..

ونرتب لك.. أهلا رمضان..

رمضان جانا

قولوا معانا.. أهلا رمضان

**

يوم رؤيتك لما تجينا.. زي العرسان
نفرح وننصب لك زينه.. أشكال وألوان
في الزفة نبقي نطبل لك..
ونقسم لك..
ونقول لك أهلا رمضان..
رمضان جانا قولوا معانا..
أهلا رمضان

**

يا مسحراتي دق لنا.. تحت الشباك
سمعنا وافضل غني لنا.. للفجر معاك
وحلقنا نعمل هليله
تلاتين ليلة حلوة جميلة
أهلا رمضان.. رمضان جانا
قولوا معانا.. أهلا رمضان.

افرحوا يا بنات

غناء: الثلاثي المرح.

افرحوا يا بنات ياله وهيصوا
رمضان آهو نور فوانيسه
يا حلاوة التين
والقمر الدين
وإكياس النقل وقراطيسه

**

المغربية راح نفطر
ساعة أدان الله أكبر
ونعلي حسنا ونقول هيه
ونجري ع البيت نتنطط
وقلوبنا م الفرحة تزأطط
ونقول لبعضنا رمضان جه

**

فوانيسنا دايما ح تنور
ونلف ف الحارة ندور
علي القهاوي نغنيهم
وهما يدونا العاده

ونشتري شمع زياده

نولع الفوانيس بيهم

**

بعد الفطار دوغري

نحلي بكنافته وقطايفه تملي

وكل يوم أفراحنا تزيد

يفوت علينا قوام يجري

ونقول له لسه عليك بدري

يقول دا جي ورايا العيد

آهو جه يا ولاد

غناء: الثلاثي المرح.

هيَّصو يا ولاد

زأططوا يا ولاد

في كل عام ويانا معاد

وعمره ما بيخلف لي معاد

آهو جه يا ولاد..

آهو جه يا ولاد

**

جبت لنا معاك الخير كله

م الصبح نقوم ونحضر له

بالقمر الدين وبلح على تين

م المغرب للمدفع واقفين

**

قالوا فيه

وحوي يا وحوي

إياحا

وكمان وحوي

إياحا

جيبنا الفوانيس أحمر وأخضر

بعد ما نفطر راح نتحضر
نملا جيوبنا بندق وزبيب
ونهادي بيهم كل حبيب

**

قالوا فيه
لولا الحبايب لولا جينا
ياللا الغفار
ولا تعبنا رجلينا
ياللا الغفار

**

آهو جه يا ولاد.. آهو جه يا ولاد
بعديك العيد وينفرح
واللبس جديد ح نعيد به
كحك بسكر راح نفطر به
والزكا بإيدينا ح نوديه

**

قالوا فيه
إدونا العاده
الله يخليكو
الفانوس طقطق
الله يخليكو
الشمعه خلصت
الله يخليكو

رمضان

غناء: محمد سلمان، كلمات: جليل البنداري، تلحين: عزت الجاهلي، من فيلم «الخير والشر»، إنتاج ١٩٤٦.

غنيت لك من قلبي
وفرحت يا رمضان
وقدومك مع حبي
خلي الكون فرحان
بكره ننول أمانينا
والأيام تصفى لنا
والدنيا تهنينا
ولا شيء يشغل بالنا
وتروق لي وأغني لك
وأقول أنا فرحان
غنيت لك من قلبي
وفرحت يا رمضان
بتجينا ف مواعيدك
وتزيل عنا هموم
ولاتخلف يوم عيدك
بعد التلاتين يوم
وينلبس ونعيد والكون لك فرحان
غنيت لك من قلبي
وفرحت يا رمضان.

هاتوا الفوانيس

غناء: محمد فوزي.

هاتوا الفوانيس ياولاد..

هاتوا الفوانيس

ح نزف عريس ياولاد..

ح نزف عريس

ح يكون فرحه تلاتين ليله

ح نغني ونعمل هليله

وح نشبع من حلوياته

هاتوا الفوانيس ياولاد..

هاتوا الفوانيس

**

كل حبايبه راح يعزمهم

متواعدين وياه..

ح يفطرهم ويسحرهم

والخير جايبه معاه

ح نغير ريقنا على خشافه

والفول راح يتاكل حاف

وكنافه وقطايف بيضا

يا ولاد والله سنتكم بيضا

للصايم فيه حسناته

هاتوا الفوانيس ياولاد..

هاتوا الفوانيس

**

م العشا راح تتلم صحابنا

ونروح كل مكان ونغني

علي نور فوانيسنا

آه يا بنت السلطان

ويا بخت اللي يصالح صاحبه

ويسبق بالخير ويروح له

إنشا الله ما يقطع لنا عاده

ويعودوا عليكم في سعاده

واللي يزكي له له جناته

هاتوا الفوانيس ياولاد..

هاتوا الفوانيس

**

علي صوت الطبله يصحينا

ينادينا بحنان

قوم صلي على الهادي نبينا

ياللا اصحي يا نعسان

ياصايم قوم وحد ربك

مين غيره يعزك ويحبك

وما تنسوش يا ولاد العيد

بعده ح ييجي بلبس جديد

واللي يصلي يشوف كراماته

هاتوا الفوانيس ياولاد..

هاتوا الفوانيس.

هلت ليالي

ألحان وغناء: فريد الأطرش، كلمات: بيرم التونسي. أذيعت يوم ٢٣/ ٥/ ١٩٥٥، الموافق الأول من شوال عام ١٣٧٤هـ.

هلت ليالي حلوه وهنيه

ليالي رايحه وليالي جايه

ليالي حلوه نشتاق إليها

وفيها ليله الله عليها

القدر فيها ...

الله أكبر

يوعدنا بيها ..

الله أكبر

يا رب توبه في العمر نوبه

وتكون قريبه تسعد آمالي

هلت ليالي ...

هلت ليالي .

رمضان جانا

غناء: محمد منير

وحوي يا وحوي.. مرحب رمضان

رمضان جنة جت من الرحمن

شمعة بتكبر..

إيوحا

في فانوس أخضر

إيوحا

رمضان نور

وهلاله يبان دايما فرحان

رمضان فرحة

إيوحا

شجرة و طارحه

إيوحا

اديني بلاحه

إيوحا

بيتك عمران بياميش رمضان

وحوي يا وحوي

مرحب رمضان

رمضان جنة جت من الرحمن

اصحي يا نايم ربك دايم

ده سحور بركه.. و خير للصايم

شمعة بتكبر.. إيوحه

في فانوس أخضر

ايوحا

رمضان نور

وهلاله يبان دايما فرحان

رمضان فرحة

أيوحا

شجرة و طارحه

ايوحا

اديني بلاحه

ايوحا

بيتك عمران بياميش رمضان

شبابيك ألوان

في حيطان و بيبان

زينة رمضان

فرحان من قلبي زي زمان

وحوي يا وحوي مرحب رمضان

رمضان جنة جت من الرحمن.

هلال رمضان

غناء: حماده هلال

لما تلاقى نجوم السما مليانه إيمان
واما تلاقى الخير والحب ف كل مكان
واما تلاقى هلال نور فى السما فرحان
يبقى بعوده رجوعك لينا يا رمضان
حالو حالو
عيال فرحانه بالفوانيس
وحوى يا وحوى
مسحراتيه وناس بتهيص
والكل اتجمعوا
فى تراويحك يركعوا
فى المغرب يفطروا على الأذان
لما تلاقى نجوم السما مليانة إيمان
واما تلاقى الخير والحب فى كل مكان
واما تلاقى هلال نور فى السما فرحان
يبقى بعوده رجوعك لينا يا رمضان.

ثانيًا: من الأغاني الاحتفالية

رمضان

غناء وتلحين: محمد فوزى، نظم: محمد على أحمد، من فيلم «بنت حظ»، إنتاج ١٩٤٨

ليااليك محلاها   يا رمضان

والأنس معاها   يا رمضان

جمعت لى الخلان   وقلبى أنا فرحان

بعروستى الحيلة   سبحان من صور

دى ليلتنا جميلة   والشمع منور

وقرينا الفاتحة   إياحا

بالنور والفرحة   إياحا

ليااليك محلاها

يا شهد نور وسلام   يا بهجة الإسلام

ليااليك م الجنة   وأنا ح أدخل فيها

وافرح واتهنى   باسم الله عليها

والخير ف قدومك	إياحا
ونعيش ونصومك	إياحا

ليااليك محلاها

دى وردة ع الأغصان	بحسنها الفتان
خدها تفاحة	بتقولى اقطعنى
وعيون فضاحه	والرمش قاتلنى
م العين محروسه	إياحا
مبروك ياعروسه	إياحا
لياليك محلاها يا رمضان	والأنس معاها يا رمضان

فوانيس رمضان

غناء: الطفلة: هيام يونس، كلمات: فتحي قورة، تلحين: أحمد صبرة.. غنتها ضمن أحداث الفيلم السينمائي «قلبي على ولدي» من إخراج بركات عام ١٩٥٣م.

وحوي وحوي

إياحا

وكمان وحوي

إياحا

أهو فات شعبان		وأهو جه رمضان

ارقصوا يا بنات		وقولوا لي كمان

وحوي وحوي

إياحا

يا حلاوة وحوي

إياحا

بابا جاب لي فانوس أحمر واخضر

م السنه للسنه عمال يكبر

وانا جايه بغني وبتمخطر		على قولة وحوي

يااليل يا عيني يا ليل يا نا يا وعدي

ندرن على يا ناس لاعزمكو يوم عندي

واعمل صينية كنافة واكلها أنا لوحدي

إياحا

يا سلام على وحوي

إياحا

الصايم بكره ح يتمتـــع ويطق الفاطر ويفرقع

ونقول له والشمع مولع دا خسارة فيك وحوي

إياحا

ارقصوا على وحوي

إياحا

لوما لفندي لوما جينا

ياللا الغفار

ولا تعبنا رجلينا

ياللا الغفار

الشمعه خلصت في ادينا

ياللا الغفار

صغيرين حنوا علينا

ياللا الغفار

أدونا العاده

ياللا خليكو

أيها الساده

ياللا خليكو

أدونا عماره والا سياره

ما تدونا ربي يعطيكو
ادونا العاده يا للا خليكو
مش كنتو وانتو أدنا ماسكين فانوس كده زيينا
وبكره نبقى قدكو وعيالكو تقول لنا
وحوي يا وحوي
إياحا
وكمان وحوي
إياحا
نفطر ونصوم على أرواحه ونقولك وحوي
إياحا
ارقصوا على وحوي
إياحا
اصحى يا نايم صحى النوم دا احنا بقينا في شهر الصوم
اصحى يا نايم صحى النوم دا احنا بقينا في شهر الصوم
يا للا يا نايم وانتي يا نايمه اشمعنى أنا م المغرب قايمه
طب على كده بسلامتك صايمه
من قبل ما تتولدي باصوم
اصحي يا نايم صح النوم دا احنا بقينا في شهر الصوم
يا للا يا نايم بكره صيام شوف الساعه صبحت كام
أصلي أنا فاطر
طيب نام ..... نام إن شا الله تنام ما تقوم
اصحى يا نايم صح النوم داحنا بقينا في شهر الصوم

بشراك يا صايم

ألحان وأداء: محمد فوزي، كلمات: محمود بيرم التونسي. أذيعت الساعة ٦,٣٥ ق مساء السبت ٣ رمضان ١٣٧٥هـ - ١٤/ ٤/ ١٩٥٦م.

بشراك يا صايم عند الله

لك أجر دايم عند الله

يا صايمين النبي قال الصيام جنه

فيها النعيم والثواب

يا رب نولنا

نفرح بنورها ..

الله الله

ونشوف قصورها ..

الله الله

للي يصوم فرحتين

الفرحه في الدنيا

ويا هناه من يفوز بالفرحه في التانيه

فرحه ودوام ..

الله الله

أجر الصيام ..

الله الله

بشراك.. بشراك يا صايم

سبحة رمضان

غناء: الثلاثي المرح.

سبحة رمضان
لولي ومرجان
بتلاته وتلاتين حبايه
منهم تلاتين.. أيام رمضان
نور وهدايه
وتلاته العيد
ونقول ونعيد
ذكر الرحمن آيه بآيه
أيام رمضان رحمه وغفران
ورضا الرحمن وحده كفايه

**

تسابيح وصيام
ياسلام يا سلام
وخشوع للمولي وعباده
دا صيام رمضان
والصوم حرمان
يدينا كمان صحه زياده

ياهنا الصايمين..

ياشقا الفاطرين

يتحرموا من كل سعاده

والخير بيزيد

ويجينا العيد

نلبس له جديد

زي العاده

أيام حلوه زي الغنوه

الدنيا بحالها تغنيها

لياليه أنغام زي الأنسام

بتشف الروح وتصفيها

وملايكه تطوف

وعنينا تشوف

أسرار المولي ومعانيها

وياريت على طول

أيامه تطول

والعمر بحاله نعيش فيها.

وحوي يا وحوي

غناء: الثلاثي المرح.

وحوي يا وحوي...

أيوحا

وكمان وحوي...

أيوحا

يا قمر طالع...

أيوحا

بفانوس والع...

أيوحا

إنت حبيبي...

أيوحا

املالي جيبي ...

أيوحا

سكر أحمر ...

أيوحا

وزبيب أسمر...

أيوحا

وأنا أدعي لك

في يوم عيدك

إمتي آجي لك

ويا أموره

أيوحا

في المقصوره

أيوحا

زي الورده في البنوره

إحنا جينا طلي... علينا

بيتك عمران بياميش رمضان

إدينا حفان

رمضان غالي...

أيوحا

كله تسالي...

أيوحا

**

فيه الفرحه...

أيوحا

شجره طارحه ...

أيوحا

طارحه بندق

طارحه فستق في خشاف عايم

ويا مكارم لجل أنا صايم

وحوي يا وحوي...

أيوحا

وكمان وحوي...

أيوحا

❊❊

رمضان من أول ليله...

يا للا الغفار

خلا لنا الدنيا جميله...

ياللا الغفار

وهلاله كل ما يكبر

نكبر وياه ونكبَّر

ليلة القدر يا ليلة النور

يا اللي كلك هنا وسرور

الموعود بيكي يتهني

وينول كل ما يتمني

يارب بيها اوعدنا

من إحسانك واسعدنا

ياللا الغفار.

حالو يا حالو

غناء: صباح

حالو يا حالو

رمضان كريم يا حالو

حل الكيس وادينا بقشيش

لنروح ما نجيش ياحالو

**

ليأليك الحلوه الزينه

ع الجمهوريه هلوا

حالو يا حالو

رمضان كريم يا حالو

حل الكيس وادينا بقشيش

لنروح ما نجيش ياحالو

**

عادت وبلادي بخير وسعاده

وأيادي المجد شموع منقاده

والرايه فوق قنالي

منوره الليالي

وأرضنا الحبيبه..

ما فيهاش إيد غريبه

والمجد للعروبه

طول السنين يا حالو

حالو يا حالو

رمضان كريم يا حالو

حل الكيس وادينا بقشيش

لنروح ما نجيش ياحالو

**

عادت وبلادي الغالية...

بقت حاجه تانيه

بتقول الكلمة ترن.. ف كل الدنيا

وف كل يوم جهادنا...

يزيد أنوار بلدنا

وأرضنا الحبيبة...

ما فيهاش إيد غريبة

والمجد للعروبة...

طول السنين يا حالو

حالو يا حالو

رمضان كريم يا حالو

حل الكيس وادينا بقشيش

لنروح ما نجيش ياحالو

**

عقبال ما تجينا.. يا رمضان

ف العام الجاي.. يا رمضان

ونغني معاك على دق الطبله

وف وسط الناس

**

يا روضة للعباده..

الخير معاك زياده

وأرضنا الحبيبه...

ما فيهاش إيد غريبه

والمجد للعروبه...

طول السنين يا حالو.

خيرات رمضان

صورة غنائية، من تأليف: محمود إسماعيل جاد، موسيقي وألحان: سيد إسماعيل، غناء: سعاد مكاوي، صلاح عبد الحميد، سيد إسماعيل، آمال حسين، أحمد عبد الله، والمجموعة.

شهر الهدي والصيام والفضل والإحسان

نور هلاله فرحنا في كل مكان

وكل قلب انسعد ويبدعي للمولي

وفاض على الجميع واتهني في رمضان

**

ياللا يا نعمات إنتي وبركات

هاتوا الفوانيس ونقول وحوي

غنوا لرمضان شهر الخيرات

ونفوت ع الناس ونقول وحوي

رمضان آهو هل علينا

شرف وحوينا الدار

وفِرِحنا واتهنينا

بالزينه والأنوار

غنوا يا ولاد حتتنا

ما خلاص تمت فرحتنا

إدونا ياناس إدونا

م التين والقمر الدين

وأنتم لو فرحتونا

ح تكونوا م الفايزين

**

زي اللوز ولذيذ يا مدمس

شغل إيديا وزيه مفيش

خد لك منه بقرش وغمس

فول متنقي عليه تحابيش

قبل ما تجبر مني الإدره

هات مواعينك واملا إطباق

فول مبروك من رب القدره

صحن يكفي عشر تنفار

حبه نقاوه لذيذ يا مدمس

**

كنافه وقطايف

مين يندهلي مين ويأكل ولاده...

يا بخت الصايمين

خد دوق الكنافه وإن جالك رخيص

معجونه بنضافها تفضل وهيص

باللوز المقشر... والسكر مكرر

هي والقطايف...

مين يندهلي مين

خد رطلين وهادي... أحبابك ياصايم

دا قطايف الليله دي...

حتزين الولايم

❋❋

لبن زبادي صابح

ونادي حليب

وقشطه كريم ياهادي

❋❋

الله حي

واحد باقي

دايم حي

هو العاطي

رازق حي

رب القدره عظيم وهاب

هو العالم بالأحوال

راعي الكون غفور تواب

في ملكوته كريم متعال

اسمه الغالي

دايم حي

هو العالي رازق حي

اذكر اسمه في كل مكان

صلي وسبح يرضي عليك

طهر قلبك للرحمن

تلقي الرزق ح يملا إيديك

ربك عالي دايم حي

اسمه الغالي رازق حي

يا بركة رمضان

غناء: محمد رشدي

يا بركة رمضان..

خليكي في الدار

هلي علينا..

وخلي دارنا عمار

يا بركة رمضان...

خليكي م العام للعام

عايشه معانا

يا بركة رمضان..

إحنا قلوبنا بتسعد بيكي

جايبه الخير دايما وياكي

والدنيا بتسعد بلقاكي

يا بركة رمضان

محلاكي..نورك بيضوي

ف لياليناأرواحنا م الشوق حاضناكي

يا معيه من ربنا لينا مع رمضان

دايما بنشوفك

والرحمه شايلها ف كفوفك

يا بركة رمضان..

خليكي في الدار

هل علينا..

وخلي دارنا عمار.

شهر الصيام

غناء: نجاة الصغيرة، كلمات: عبد المنعم السباعي، وتلحين: أحمد عبد القادر

كريم يا شهر الصيام

والصبر والبركات

كريم يا شهر السلام

في الأرض والسموات

كريم يا شهر الهنا

ياللي بقالك سنه

غايب بعيد عنا

يا كريم

يا كريم يا شهر الصيام

يا رحمه من الرحمن

فيك نور القرآن

ع الأرض م الجنه

يا مفرح المحروم

بالبر يوم ورا يوم

يا ما ف هواك غني

يادنيا كلك عجب

فيكي الزمن ألوان

أيام تجيب الهنا

وأيام تجيب حرمان

وأيام نشوف الفرح ....

نور على الألوان

يا شهر فيك الرضا...

والتوبة والغفران

يا شهر فيك الكرم

ياجنة للي انحرم

شوفوا رمضان

غناء: هدى سلطان والأطفال، كلمات: محمد علي، وألحان: محمد ضياء الدين «الكبير».

المطربة: يا ولاد حارتنا

الأطفال: إيه

المطربة: اتلموا اتلموا

الأطفال: ياه ياه

المطربة: شوفوا رمضان

شوفوا خفة دمه

بر وتقوى

مدفع يضرب

طبله ف عز الليل

على حسها أحباب يتلموا

هاتوا الفوانيس بيضا ولامعه

وف كل فانوس ولعوا شمعه

النور هيلم سكتنا

و الشر يطلع من بيتنا

و كل مهموم يترك همه

يا ولاد حارتنا

الأطفال: إيه

المطربة: اتلموا اتلموا

أدوا فروض الصلاة و الصوم

احسن و زكي عن مالك

و اللي تجود بيه يبقالك..

منا وإلينا عايد الينا

شوفوا رمضان خفة دمه

بر وتقوى ...فرحه

مدفع يضرب

رمضان يا شهر الخير يا كريم

تسعد فقير و تهني يتيم

وتلم روايح من الجنة

وان كنت رايح هتجيلنا

وهتلاقينا مالبين إيدينا

نلقاك صغار و كبار يتلموا

يا ولاد حارتنا اتلموا اتلموا.

شهر رمضان

غناء: تامر حسني

تيجو نصوم شهر رمضان

زي ما وصانا ربنا

صوم وصلاة ونقرا القرآن

ونقيم الليل كلنا

ونزكي وندي العلابة

فيه ناس كتير أوي محتاجه

ونحس بيهم وبيدمعو عنيهم

انت ادعي وربنا يديلك الحاجة

عايزين طول الشهر ده

نلم شمل العيلة

نفضل على طول بالشكل ده

نسأل على بعض كل ليلة

ونصالح الزعلانين

ونحس بالمحتاجين

دول برضو أهلنا

كلنا عايزين برمضان

نفضل زي ما حنا

صوم وصلاة وقرآن وإيمان

ح نلاقي الدنيا أحلى

مين عارف نهايته إمتى

مين عارف نهايته فين

يارب ارزقنا انت

يارب ارزقنا انت

ثالثًا: من أغاني التسحير

حلقة من المسحراتي

ألحان وغناء: كارم محمود ، كلمات: أحمد مخيمر

يا روح من فوق نازل هايم

يقول للصاحي وللنايم

ما فيش دايم غير الدايم

روايح هبه م الجنه

يا عز اللي ح يتهنى

دا انا طمعان وباتمني

أشوف نورها وأطول خيرها

و أطوف ف الضل مع طيرها

ومين ح يفوز غير الصايم

❊❊

يا مدبولي

يا عبد الله

يا بخته من بنى وعلا

وشاف نوره بيتجلى

ونام ساعه

وقام ساعه

وقال دي الدنيا خداعه

ما فيش دايم غير الدايم

يا عم أمين

يا عم حسين

صلاة الزين

صلاة الزين

دموع العين على الخدين

وأنا قلبي يصلي له

وع البازه يغني له

**

يا حاجة اصحي وصحيهم

دا صوم رمضان ح يهديهم

وح يبارك لكم فيهم

وح يوريهم السكه

وفين نمشي على مكه

ومن زارها رجع غانم.

المسحراتي

غناء: عبده السروجي.

يا مؤمنين بالله

يا موحدين بالله

قوموا كفايه نوم

هي الحياه كام يوم

وبالصلاه والصوم...

يرضي علينا الله

يا مؤمنين بالله

يا صايمين رمضان

باب السما مفتوح لطالب الغفران

وربنا ف علاه

ح يدي للي دعاه

يا موحدين بالله

يا بو السعود..

يارشاد

يا حاج عز الدين..

يا إمام

يا عم فؤاد..

يا مصطفي

يا أمين

قوموا اسجدوا لله

وسبحوا لله

❊❊

يا مؤمنين بالله

نادوا على التايبين

باب الرضا مفتوح

م الفجر للصايمين

واللي يعود لله

يبقي ف أمان في حماه

يا مؤمنين بالله

يا عم عبد العال..

يا خليل

يا أبو منصور..

يا أبو العينين

يا جلال ..

ياغريب

يا حاج سرور

قوموا اسجدوا لله

وسبحوا لله

❊❊

يا مؤمنين بالله

الرب رب قلوب

باب الهدى مفتوح

للصايم اللي يتوب

ويا فرحته يا هناه

ح ينول رضا مولاه

يا موحدين بالله

يا حاج مرسي.. يا عيد

يا أحمد.. يا عم حجاب

يا أبو إسماعيل.. يا سعيد

يا زيد.. يا أبو غلاب

قوموا اسجدوا لله

وسبحوا لله

المسحراتي

غناء: ثريا حلمي، كلمات: عبد العزيز سلام.

يا عباد الله..

وحدوا الله

قوم وحد ربك واستغفر

وقت الاستغفار والطلب من الله

واتسحر علشان ما تجعش

اصحى يا نايم

وحِّد الدايم

قوم ياسعادة الباشا السابق

خد موعظة من صوم بوابك

أنا من أعلى سطوح البيت

لجل تصوم في اليوم اللاحق

صوتي بيعلا ويصحيكم

ولا تطرد محروم من بابك

دا أنا ويا رمضان هليت

اصحى يا نايم

وحد الدايم

والخير هل معانا عليكم

ياساكنين فوق سطوح البيت
أنا من تحت البيت بناديكم
قوموا اصحوا والفول أبو زيت
ع الطبلية مستنيكم
اصحي يا نايم
وحِّد الدايم
م الصبح بالطبلة باطبل
اصحى يانعسان قوم اتسحر
نومك تقيل ولا بتعمل
أطرش رمضان علشان تفطر
اصحى يا نايم وحد الدايم
ع الشباك يا سي حمدي بانقر
مادام الطبلة ما بتصحيكش.

رابعًا: من أغاني الوداع

لسه بدري

غناء: شريفة فاضل.

تم البدر بدري

والأيام بتجري

والله لسه بدري

يا شهر الصيام

**

حيانا هلالك

ردينا التحية

سهانا جمالك بالطلعه البهية

وفرحة سلامك ووداعة أيامك

**

يا ضيف وقته غالي

وخطوه عزيزه

حبك حب عالي

في الروح والغريزه

أيامك قليله

والشوق مش قليل

والغيبه طويله

ع الصبر الجميل

لسه بدري حبه

يتملي الأحبه

❊❊

بتحلى ف يتيمك

ويتلمح دموعه

وتسره بقدومك

وتنور شموعه

وبتترك وداعك

فوق الأرض عيد

يا ألف مرحب

والله لسه بدري

يا شهر الصيام.

الكحك

غناء وتلحين: محمد فوزى، نظم: صالح جودت، من فيلم «بنت حظ»، إنتاج ١٩٤٨

بعوده فى الليالى البيض   نغنى لك يا كحك العيد
دى ليلتك أجمل المواعيد
أغنى وأسمعه يقول لى   وأقول له م الهوى دبنا
أما أملى طلعتك ياللى   ميعادك فرحة فى قلوبنا
بعودة فى الليالى البيض
بعودة فى الليالى البيض   نغنى لك يا كحك العيد
دى ليلتك أجمل المواعيد
المغنى: بعودة والسنة الجيه   فلسطين وعيد يبقى سعيد
دى تبقى فرحة الدنيا   وفرحتنا وعيد العيد
بعودة فى الليالى البيض
بعودة فى الليالى البيض   نغنى لك يا كحك العيد
دى ليلتك أجمل المواعيد
بعودة ومصر متحدة   وبالمنام الأعادى يروق
وتتحقق لنا الوحدة   ونتهنى بعهد فاروق
بعودة فى الليالى البيض
بعودة فى الليالى البيض   نغنى لك يا كحك العيد
دى ليلتك أجمل المواعيد

إضافة إلى ما سبق توجد العديد من الأغاني والصور الغنائية الأخرى التى لم نستطع العثور على نصوصها أو نتبينها كاملة بوضوح من خلال التسجيلات المتاحة، منها:

- ديالوج المسحراتي.. كلمات: محمد إسماعيل، لحن: أحمد شريف، غناء: أحمد شريف وسميرة وصفي.

- أغنية «على نور الفوانيس»، كلمات : فتحي قورة، ألحان: عبد الحميد توفيق زكي، غناء: المطربة عصمت عبد العليم.. أذيعت الساعة ٤٠ , ٥ عصر يوم الاثنين ١٤ رمضان ١٣٧٠هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٥١ م.

- أغنية «قيدوا الفوانيس»، كلمات: يوسف عز الدين، ألحان: فؤاد حلمي، غناء: هند علام.. أذيعت بعد مغرب السبت ١٠ رمضان ١٣٧٥ هـ، الموافق ٢١ أبريل ١٩٥٦م.

-أغنية «قيدوا الفوانيس»، غناء شافية أحمد.

- أغنية «آنست يا رمضان»، كلمات محمود بيرم التونسي، تلحين وغناء أحمد عبد القادر.

- أغنية «هليت يا شهر النور»، غناء عباس البليدى.

- أغنية «نورت يارمضان»، كلمات سعد الدين المصرى، ألحان حسن أبو النجا، غناء حورية حسن.

- أغنية «هل هلالك»، كلمات: محمد كمال بدر، غناء وألحان: سيد مكاوي.

أغاني شهر رمضان الشعبية

الأغنيــة الشــعبية واحدة من أهم فروع الأدب الشــعبى، التى تمتــاز بقدرتها السريعة على الانتقال والذيوع والانتشــار، وقد قدمت القريحة الشعبية عددا من الأغاني المرتبطة بشهر رمضان، التي يرتبط بها الأطفال بشكل خاص، بعض هذه الأغاني يؤدي من دون حركات، وبعضها يصاحب الألعاب، وصنف ثالث منها يؤديه الأطفال وهم ممسكون بفوانيسهم ويدورون بها في الشوارع والحارات فى الأماسى الرمضانية، كما منها ما تؤديه البنات فقط، ومنها ما يؤديه الصبيان، ومنها ما هو مشترك بينهما.

ونـورد هنـا عددا مـن نصوص هـذه الأغاني، على أنـه لابد من ملاحظـة أن النص الشـعبي يتســم بالمرونة مما يجعله عرضة للحذف والإضافة والتعديل والتبديل، حسب المكان الذي يؤدي فيه، وطبيعته الاجتماعية، بأعرافه وتقاليده، وحســب طبيعة المؤدي، بل وحسب حالته النفسية، لذا سوف يلحظ القارئ وجود صيغ عديدة للنص الواحد.

من أغاني الاستقبال

-١-

رمضان يا منور

نورت وادينا

يا أحلى م السكر

حلوة ليالينا

نلعب ونتمخطر

ونقول أغانينا

حالو يا حالو

رمضان كريم يا حالو

الصايمين يا حالو

بعد ما فطروا حلوا

حلوا بالهنا..

عقبال كل سنة

-٢-

يا رمضان يا أبو شخليلة

أول سحورك الليلة

يا رمضان يا أبو صحن جديد

آخر سحورك ليلة العيد

يا رمضان يا عود كبريت

يا حابس كل العفاريت[٢].

وهناك نص ثان لهذه الأغنية، يقول:

يا رمضان يا ابن الحاجه

يا مولودع المخده

يا رمضان يا ابن سكينه

يا مولودع السكينه

يا رمضان يا ابن حفيظه

يا مولودع الترابيزه

يا رمضان يا ابن نجيه

يا مولودع الطبليه.

من الأغاني الاحتفالية[٣]

-١-

علي عليوه ..ياللي

ضرب الزُّميره .. ياللي

وضربها حربي .. ياللي

نطت في قلبي .. ياللي

قلبي رصاص .. ياللي

أحمد رقاص .. ياللي

رقاص على مين.. ياللي

علي شاهين .. ياللي

وشاهين ما مات .. ياللي

خلف بنات .. ياللي

خلفهم متعه .. ياللي

وجابهم تسعه .. ياللي

وتحت النصبه .. ياللي

**

فاطمة قاعدة على مكنتها

بتخيط بدلة دخلتها

يا رب تمم فرحتها

بنت العزيز الغالي

لوما حوينا لوما جينا ..

يا للا الغفار

ولا تعبنا رجلينا ..

يا للا الغفار

يحل كيسه ويدينا ..

يا للا الغفار

يدينا ياما يدينا..

يا للا الغفار

يدينا ميتين ريال ..

يا للا الغفار

نروح بيهم على بر الشام..

يا للا الغفار

نجيب رنيثي ومثيثي ..

يا للا الغفار

نجيب زنيثي العصفور ..

يا للا الغفار

اللي يكاكي فوق السور ..

يا للا الغفار

ادونا العادة..

يا للا الغفار

لبده وقلادة..

يا للا يخليكو

الفانوس طقطق..

يا للا يخليكو

والشمعة خلصت..

يا للا يخليكو

-٢-

وحوي وحوي..

إياحا

وكمان وحوي ..

إياحا

بنت السلطان ..

إياحا

لابسه قفطان ..

إياحا

بالأخضري ..

إياحا

بالأصفري ..

إياحا

يا لموني ..

إياحا

يادوا عيوني ..

إياحا

يارب خليلي سي عثمان

خاللي نيته سي عثمان

لولا سي عثمان لولا جينا ..

يا للا الغفار

ولا تعبنا رجلينا ..

يا للا الغفار

يحل كيسه ويدينا ..

يا للا الغفار

يدينا ياما يدينا ..

يا للا الغفار

يدينا ميتين ريال ..

يا للا الغفار

نروح بيهم على بر الشام ..

يا للا الغفار

وهناك نص ثان لهذه لأغنية، يقول:

وحوي يا وحوي..

إياحا

بنت السلطان..

إياحا

لابسه قفطان..

إياحا

بجلابيته ..

إياحا

ياللا نجيب له..

إياحا

ونص ثالث لها، تقول كلماته:

لولا البيت ده ما جينا ..

يا للا الغفار

ولا وقفنا ولا حوينا..

يا للا الغفار

حل الكيس وادينا..

يا للا الغفار

تدينا ما تدينا..

يا للا الغفار

تدينا ميتين جنيه ..

يا للا الغفار

ميتين جنيه ما يكفونا..

يا للا الغفار

ولا يودونا على بر الشام..

يا للا الغفار

نجيب الخوخ ويا الرمان..

يا للا الغفار

ونجيب زعاقة العصفور..

يا للا الغفار

اللي تنادي ع الجسور..

يا للا الغفار(٤)

ونص رابع، يقول:

إدونا العاده

لبده وزياده

الفانوس طقطق

والعيال ناموا

ناموا ما ناموا

بعدها صاموا

وإدونا العادة

لبده وزياده(٥).

شهر رمضان في الأمثال الشعبية

المثل الشعبي هو حكم على موقف ما، تبلغ فيه حكمة الناس ورؤيتهم للأمور مبلغا دقيقا، فهو خلاصة ونتاج خبرات طويلة ومكنز لها.

وهناك عدة أمثال ترتبط بشهر رمضان وصومه، يذكر منها:

* يصوم يصوم ويفطر على بصله.

يفسره أحمد باشا تيمور بقوله: أي صام ثم فطر على شيء زهيد لايغني عن الجوع، كما يضرب لمن يمتنع عن شيء مدة ثم يقع في أردأ أنواعه.

* اللي ما يصوم ويصلي رزقه يولي.

يقصد به أن البركة تذهب عن أرزاق من لا يصومون ولا يصلون، ويحض على إتيان فروض الله وطاعته.

* ما تعيبوا يا قوم إلا على الصلا والصوم

يضرب للدقة في أداء الفروض، والحث على أدائها بإخلاص.

صلى وصام لأمر كان فإذا قضى الأمر لا صلى ولا صام.

يضرب لمن يأتي فروض الله لغرض دنيوي، فإذا تحقق تركها وعاد سيرته الأولى.

* صامت يوم واتمخطرت للعيد .

يضرب لمن يعمل عملا هينا، ويطلب جزاء أعلى مما يستحقه.

* اللي يكدب نهار الوقفة يسود وشه نهار العيد

المقصود أن كل كذب لابد في النهاية من انكشافه.

* هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل. (انظر: الزلابية)

* اتصدقوا ترزقوا

يحفز على الحرص على إتيان الصدقات والإكثار منها، وأن هذا المسلك سيعود بالنفع الوفير على صاحبه، وفي الحديث الشريف: «ما نقص مال من صدقة، بل تزده».

* اللي يخرج منه زكه عنه

أي كل ما يخرجه المرء في سبيل الله فهو زكاة عنه ورحمة له.

* يا مزكي حالك يبكي

يطلق على الفقير المعدم الذي يحرص على إخراج الزكاة، بينما هو في حقيقة الأمر يستحق العطف عليه.

* ما بان مني زكاه عني.

المقصود به أن مقدار ما يخرجه المرء من زكاة أو صدقة أو أى إحسان إن هو إلا تعبير عن حاله.

* يا مزكى على أهل بره زكى على أهل جوه

يضرب فيمن ينفق على البعيدين عنه ويشملهم بعطفه، فى الوقت الذى يحتاج أهله وأقربائه إلى رعايته.

* كل حتة بتحط زكاها

انظر: ما بان مني زكاه عني.

* اللي يتسحر مع العيال يصبح فاطر

يضرب للحث على أخذ الأمور بجدية وعدم التهاون فيها، وإتيان الأشياء في مواضعها الصحيحة.

* اللي اتسحر اتسحر واللي ما اتسحر طلع عليه الفجر .

يحفز على أداء الأشياء في أوانها حتى لايداهمه الوقت، وقد أورده «الأبشيهي» في كتابه «المستطرف» بلفظ: صام سنه وفطر على بصله.

* جيت أبيع الحنة كترت الأحزان ورحت أعمل مسحراتى قالوا راح رمضان
* عملوك مسحراتي قال فرغ رمضان.

يضربان فيمن يشتغل بأمر فينتهي المقصود منه حين اشتغاله به، وهم يقصدون بذلك سيئ الحظ وغيره.

* لو كان دي الطهي على دي النهي لا رمضان خالص ولا العيد جي

يضرب للاهتمام بالشيء دون مبالغة أو تقصير والتعامل مع الأمور بهمة.

* بعد العيد ما يتفتلش كحك.

يضرب للتحفيز على إتيان الأشياء في مواعيدها وعدم تأجيلها.

التوحيش (وداع رمضان)

في العشرة الأخيرة من رمضان، يصبح التحسر على انقضاء الشهر الكريم موضوعا غلابا في العديد من المظاهر، خاصة في الإنشاد، ويطلق على موضوع فراق رمضان وذكر فضائلـه مصطلـح «التوحيش»، حيث إن معظم الأقوال والقصائد التي يجري إنشـادها تبدأ - عادة - بالمطلع: لا أوحش الله منك.

ولا يقوم بهذا التوحيش المنشدون المحترفون فحسب، وإنما يمتد ـ أيضا ـ حتى يكاد يغمر العالم الليلي للمجتمع المحلي، إذ يقوم المسحر بتغيير موضوعات أدائه أثناء جولاته إلى «التوحيش»، كما يملأ المؤذنون المنشدون فضاء الحي بتوحيشهم الذي يواصلونه منذ الإمسـاك وحتـي إقامة أذان الفجر؛ ولهذا أصبح موضوع التوحيش وأسـاليب إنشـاده مجالا للتجويد والتنويع والتنمية سـواء في نظم عباراته أو في موسـيقي أدائه. وصار أحد مجـالات التقاطع الذي تلتقي فيه الثقافة الشـعبية بالثقافة الرسـمية، وأبرز مظاهر ذلك الالتقاء أن معظم المنظومات التي تتردد في التوحيش كانت من الشـعر الفصيح، كما أن موسيقى أدائها تتأسس على تقاليد الموسيقى العربية التقليدية[٨].

وفي صـوت ملـؤه الأسي والحزن كان المسـحرون يرددون عبـارات التوحيش، التي تحمل حزن الناس على انقضاء الشهر المبارك وإحساسهم بالوحشة في غيابه، وافتقادهم لأجوائه العامرة بالخشوع والمحبة والتواصل، من أشهر هذه النصوص:

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام

لا أوحش الله منك يا شهر القيام

لا أوحش الله منك يا شهر الولائم

لا أوحش الله منك يا شهر العزائم

لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود[٩].

ويلاحـظ أن معظم المجتمعات الشـعبية لم تكتف بإنشـاد التوحيـش مظهرا لتوديع رمضـان، وإنما أضافـت إلى هذا مظاهر احتفاليـة أخري. ففي واحـة باريس، وهي من الواحات الخارجة بالوادى الجديد، كان الأهالي يقيمون مأدبة وداعية، وبعد أداء صلاة العشـاء ثـم التراويح الجماعيتـين، يتحلقون في جانب المسـجد للإنشـاد الاحتفالي، وإن كانوا يطلقون عليه «تروايح». وكان من محفوظهم الذي يتواترون إنشاده:

شهر الصيام مفضل تفضيلا

نويت من بعد المقام رحـيلا

قد كنت شهرا طيبا ومباركا

ومبشرا بالعفـــو من مولانا

بالله يا شهر الهنا ما تنســانا

لا أوحش الرحمن منــك.

بينـما كان الصبيـة في قرية منديشـة، وهي إحـدي الواحات البحريـة، يقيمون مأدبة إفطار جماعية وداعية اسـتمرارا لتقليد يسـمونه «الضهور»، يتناول الأولاد فيه وجبات مشتركة. أما في هذه المناسبة الوداعية، فإن الصبية يقيمون قبة صغيرة من الطوب بحيث تتسع لوضع ما جلبوه من طعام داخلها. ثم يشرعون في الدوران حول القبة منشدين:

يا رمضان يا شريف

يا لا بس التوب النضيف

لا إله إلا الله يا جنوده

القطة خطفت الفروجه

وبعد الدوران والإنشاد يجلسـون لتناول طعامهم. وعمومًا، كان للأطفال والصبية دورهـم المتميز في الاحتفالات بتوديع رمضان وإنشـادها. وكما قامـوا بدوراتهم الليلية

منشـدين لاسـتقبال الشـهر داعين لحمايته ووقايته: وحوي يا وحوي، ويا رمضان هيب هيب.. كل سنة وأنت طيب، ويا رمضان يا بو شخليلة.. أول سحورك الليلة.

فإن الأولاد يدورون أيضا هاتفين في وداع الشهر الكريم:

يا رمضان يا بو صحن نحاس

يا داير في بلاد الناس

سقت عليك أبو العباس

تخليك عندنا الليلة.

كما أنهم ينعونه متأسفين:

يا رمضان يا ابن الحاجة

يا ميت على المخدة

يا رمضان يا ابن عيشة

يا ميت على العريشة[١٠].

شهر رمضان في ديوان الشعر العربي

لم يكن شـهر رمضان بـكل ما يتضمنه من معان دينية وروحية بالمناسـبة التي يغفلها الأدب العربي شـعرا ونثرا، ولذلك نجد الأدباء والشـعراء يحتفلون برمضان ويحسـنون استقباله من خلال إظهار آثار الشهر الكريم على عادات الناس وسلوكياتهم والاحتفال بالانتصارات التي حدثت خلال الشهر، باعتباره شهرا للهداية والنصر والكرم والجود وحسـن الخلـق، وقد هجا الشـعراء مـن يرتكب المعـاصي في رمضـان، وإن كان بعض الشعراء ممن كان يثقل عليهم الصوم قد هجوا رمضان في بداية حياتهم مثل: ابن الرومي وأبي نواس، ثم قالوا فيه شعرًا جميلا عندما طعنوا في السن، فكان رمضان ملهما للأدباء المسلمين من العرب وغير العرب[١١].

ولشهر رمضان في ديوان الشعر العربي - قديمه وحديثه - آثار أدبية حافلة، تشتمل على منظومة من الشـعر والنثر، توقفت عند رمضان: المعنى والدلالة، والرمز والإيحاء، وعنيت بمواكبة هذا الحدث الإسـلامي المتجدد في اسـتقباله والحفاوة به، والإفاضة في نفحاته الروحية وآثاره الاجتماعية، وتصوير ما يقترن به من بهجة وفرح وزينة، في دائرة واسـعة امتلأت بالأذكار والأدعية والابتهالات والرسـائل والتهاني، ولم تخل من صور الدعابـة والفكاهة، والأسـى لفراقه وتوديعه، والتعبير عـن ازدحام النفس بما خلّفه من خير عميم وبركة قائمة[١٢].

هكذا لم يكن لأي مبدع إزاء ما يعايشـه من أجواء شهر رمضان الشفيفة، الحالمة، إلا أن يبتهل اللحظة، ويطلق لروحه التحليق شعرا، إن فرحا باستقباله، أو معددا لفضائله، أو مناجيـا لطيوفـه، وسـابحا في أغواره. فهذا هو الشـهر الذي يقول عنه أمير الشـعراء «أحمد شوقي» (١٢٨٥ - ١٣٥١ هـ/ ١٨٦٨ - ١٩٣٢م):

أنت مهر الشهور والحسن والإشراق نير الوجود منذ صباك

*** في استقبال شهر رمضان والتهيؤ له**

يؤهل الشاعر الأندلسي «ابن دراج القسطلي» (٣٤٧-٤٢١ هـ/ ٩٥٨-١٠٣٠م) النفوس لاستقبال شهر رمضان، قائلا:

فلئن غنمت هناك أمثال الدُّمي فهنا بيوت المسك فاغنم وانتهب

تحفا لشعبان جلا لك وجهه عوضا من الورد الذي أهدي رجب

فاقبل هديته فقد وافي بها قدرا إلى أمد الصيام إذا وجب

واستوف بهجتها وطيب نسيمها فإذا دنا رمضان فاسجد واقترب

وكتب مهنئاً بحلول الشهر الكريم:

ويُهَنِيْكَ شهرٌ عند ذِي العَرشِ شَاهِدٌ بأنّكَ بَرٌّ للصِّيامِ وُصَول

فَوَفِّيتَ اجْرَ الصَّابرينَ ولا عَدَا مَسَاعيكَ فَوزٌ عَاجِلٍ وقَبُولُ

ويقول الشاعر «ابن حمديس الصقلي» (٤٤٧-٥٢٧ هـ/ ١٠٥٣-١١٣٣ م):

قُلْتُ والنّاسُ يَرقُبونَ هِلالاً يُشْبِهُ الصَبَّ مِنْ نَحَافةِ جِسْمِهْ

مَنْ يَكُنْ صَائِماً فذا رَمضانُ خطَّ بالنُّورِ للورى أوّل اسْمِهْ

وهنأ الصقلي قدوم الشهر الفضيل بقوله أيضاً:

صُمْتَ لله صَوْمَ خَرْقٍ هُمَامِ مُفِطِّر الكَفايا بالعَطايا الجِسَام

أطلعَ اللهُ للصِيامِ هِلالاً ولنا مِنْ عُلاكَ بَدْرَ تَمَامِ[١٣]

وللشاعر الصوفى الأندلسي «ابن الصباغ الجذامي[١٤]»:

هذا هلال الصوم من رمضان بالأفق بان فلا تكن بالواني

وافاك ضيفا فالتزم تعظيمه واجعل قراه قراءة القرآنِ

صمه وصنه واغتنم أيامه واجبر ذما الضعفاء بالإحسان

واغسل به خطّ الخطايا جاهدا ... بهمول وابل دمعك الهتّان
لا غرو أن الدمع يمحو جريه ... بالخدّ سكبا ما جناه الجاني
للهّ قوم أخلصوا فخلّصوا ... من آفة الخسران والخذلان
هجروا مضاجعهم وقاموا ليله ... وتوسلوا بالذل والإذعان
قاموا على قدم الوفاء وشمّروا ... فيه الذيول لخدمة الديان
ركبوا جياد العزم والتحفوا الضنا ... وحدا بهم حادي جوى الأشجان
وثبوا وللزفرات بين ضلوعهم ... لهب يشبّ بأدمع الأجفان
راضوا نفوسهم لخدمة ربهم ... ولذاك فازوا منه بالرضوان
إن لم تكن منهم فحالفهم عسى ... تجنى بجاههم رضا المنام
حالفهم والزم فديتك حبهم ... واجعله في دنياك فرض عيان
يا لهف نفسي إن تخلّفني الهوى ... عن حلبة سبقت إلى الرحمان
فلأنزفن مدامعي أسفا على ... عمر تولى في هوى وتوان

ويقول الشاعر المصرى هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك (٥٤٥ - ٦٠٨ هـ / ١١٥٠ - ١٢١٢ م)

تَهَنَّ بهذا الصوم يا خير صائر ... إلى كل ما يهوى ويا خير صائم
ومن صام عن كل الفواحش عمره ... فأهون شيءٍ هجره للمطاعم

وللشاعر المغربي «حمدون بن الحاج السلمي »(١١٧٤ - ١٢٣٢ هـ / ١٧٦٠ - ١٨١٧ م):

وإن أتى رمضان واصطفيت له ... فاخلع ثياب الهوى وقم على قدم
هذا زمانك مقبل ومبتسم ... بكل خير تلقه بمبتسم
وصنه عن كل ما يرديه من حرم ... ولتعكس النفس عكس الخيل باللجم

أما الشاعر العراقي «عبود الطريحي» (١٢٨٥ - ١٣٢٨ هـ) فيقول:

أقبل شهر رمضان قم واستعد لصومه مع التقى والصلاح
شهر به الرحمة قد أنزلت وكل خير للتقي فيه لاح
أحب لله بأن تكون تلاوة القرآن عند الصباح
دع الملاهي عنك وادع به دعا النهار ودعا الافتتاح

وللشاعر المصري «مصطفى صادق الرافعي» (١٢٨٩-١٣٥٦هـ / ١٨٨١-١٩٣٧م):

فديتك زائرًا في كل عامِ تُحيّا بالسلامة والسلامِ
وتُقبل كالغمام يفيض حينا ويبقى بعده أثر الغمامِ
وكم في الناس من كِلفٍ مشوقٍ إليك، وكم شجيٍّ مُستهامِ
رمزْت له بألحاظ الليالي وقد عيّ الزمان عن الكلام
ولم أرَ قبل حبّك من حبيبٍ كفى العشّاق لوعات الغرامِ
فلو تدري العوالم ما درينا لحنّت للصلاة وللصيامِ
بني الإسلام هذا خير ضيفٍ إذا غشيَ الكريم ذَرا الكرامِ
يلمّكمو على خير السّجايا ويجمعكم على الهمم العظامِ

وللشاعر السعودي ضياء الدين رجب (١٣٩٦-١٣٣٥ هـ/ ١٩١٦ - ١٩٧٦ م):

يا هلا لا مباركًا ربّك الله ربنا
أنت والله بشرنا أنت والله حبنا
حين أقبلت أقبلت نفحات تظلنا
وتوارت غمائم دجنها الدجن ليلنا

وتبـدت سحـائب   للأمـاني تقلنـــا

يا صفـاء نحـــبّه   وزجـــاء يجبّنـــا

وللشاعر السوري «خيرالدين وانلي» (١٣٥٢-١٤٢٥ هـ/ ١٩٣٣-٢٠٠٤ م):

رمضان أقبل يا أولي الألباب   فاســتقبلوه بعد طول غياب

عام مضي من عمرنا في غفلة   فتنبـــهوا فالعـمر ظل سحاب

وتهيئوا لتصبّر ومشقة فأجور   من صـــــبروا بغير حساب

الله يجزي الصـــائمين لأنهم   من أجله سخروا بكل صعاب

ويقول الشاعر التونسي محمد الناصر الصدّام:

شهر أزاح عن الدنيا دياجيها   فأشرقت بعــد إظلام لياليهـــا

شهر به لاح نور الحق منتجـا   فاهتزت الأرض إجلالا وتنويهـا

الله كم أبرزت أحـــداثه قيما   سـمت ولما تزل تسـمو معانيهـا

فيه تنزلت الآيات محكمة تنهي   عن الشر والبغضـــاء نواهيهـا

إن الشعوب إذا أبناؤها صلحوا   لبّـوا إلى صالح الأعمال داعيهـا

أما الشاعر «محمود حسن إسماعيل» (٢ يوليو ١٩١٠ - ٢٥ إبريل ١٩٧٧م) فيقول فى قصيدته التي سمّاها (الله والزمن) وهي إحدى قصائد ديوانه (صوت من الله):

أضيفٌ أنت حلَّ على الأنامِ   وأقسـم أن يحيّا بالصـيام؟

قطعْتَ الدهر جـوّابا وفيـّا   يعــود مزاره في كلّ عـام

تُخيّم، لا يحـدّ حمـــاكَ ركن   فكلّ الأرض مهدٌ للخيامِ

نسخْتَ شعائر الضيفانِ، لمّا   قنعْتَ من الضيافةِ بالمُقـامِ

ورحت تسنُّ للأجواد شرْعًا   من الإحسانِ عُلْويّ النظامِ

بأنّ الجود حرمانٌ وزهـــدٌ أعزّ من الشرابِ أو الطعامِ!
أشهرٌ أنت أم رُؤيا متـــابِ تألّق طيفُها مثل الشهابِ؟
تمرّغ في ظلالك كلُّ عـاصٍ وكلُّ مُرجّسٍ دنسِ الإهابِ
فأنـت مُحيِّرُ الآثـام.. تجري فتلحقها بأحلامِ العذاب
تراك شفيع توْبتها، فتَخـزي وتوأدُ تحت أجنحةِ الشبابِ
وأنـت منارة الغفـرانِ، يأوي إليك اليائسـون من المتابِ
وعند الله سؤلك مُستجابٌ ولـو حُمّلْـت أوزار الـترابِ
وقفْـتَ خطـاكَ عنـد البائسينا فكنْـتَ لليلهـم فلقًـا مُبينـا
تسـاقُ إليـك أمـواج التّحايـا فتدفعهـا لبـابِ المُعوزينـا
فكـمْ آهـات محرومٍ حداهـا إليك البؤسُ، فانقلبت رنينا
فأنـت مُفـزّع البُخّالِ...تجـري خطاك عـلى حجارتهم مَعينا
وأنـتَ مُلقّـن الأيـدي نداها ومُكْسـبها التراحـمَ والحنينا
يخافُـك كلُّ قـارونٍ شـحيحٍ فيخجـل أن يـردّ السّـائلينا
ومنـذ تهـلُّ ترهبُـك الذنـوبُ وتختشـع السرائـرُ والقلوبُ
وتفـزعُ أن تُقابلـك المعـاصي فتهـرعُ، أو تُقنّعُ، أو تذوبُ
ويُجفـل أن يـراك أخو هواهـا ولو قتلت مشـاعره العيوبُ
كأنـك فـارسُ الأيـام، تبـدو فيصعقّها مُهنّـدك الغضوبُ
كأنّ بكفّك البيضـــاء سرّا من النجوى، تكتّمهُ الغيوبُ
تُجابـــهُ كلّ غيّـانٍ عنيـدٍ فيكتتـمُ الغَوايـةَ أو يتـوبُ
جعلْتَ الناس في وقت المغيبِ عبيد ندائكَ العاتي الرّهيبِ
كـم ارتقبـوا الأذانَ كأنّ جُرحـا يعذّبهـــم تلفّـتَ للطبيـبِ

وأتلعت الرقاب بهم، فلاحوا كركبانٍ على بلدٍ غريب
عُتاةُ الإنسِ أنت نسخْتَ منهم تذلُّلَ أوجهٍ وضنَى جُنوبِ
فَيا...من لقمـــةٍ وحفيف ماءٍ يُقلّب روحهُ فوق اللهيبِ:
علامَ البغـــي والطغيان؟ إني كفرْتُ بمنطق الدنيا العجيبِ!
تلفّتْ للمـــآذن حاليـــاتٍ كحوريات خلدٍ سافراتِ
تفوحُ مباخرُ النّســـاكِ منها فتحسبُها غصونًا عاطراتِ
تلألأ حـــولها أطواق نورٍ سعيْن لعطرهِ مُتجمّلاتِ
كأنك حـــاملٌ وحيًا إليها وقفْن لسحْرهِ مُتلهفاتِ
إذا صاح الأذانُ بهـــا أرنّتْ بإلهامٍ كموج البحْرِ عاتِ
يذكّر بالهداية كلّ نـــاسٍ ويوقظُ كلَّ غافٍ في الحياةِ
وهذا المُعجزُ العالي الرخيمُ أذانُ الله، والذكرُ الحكيمُ
تلاهُ في ســـكونِ الليل تالٍ فكاد لهوله تهوي النجومُ
نداءٌ تفـــزعُ الأفلـــاكُ منـــه ويخشع في مساريه السّديمُ
على سمْع الهداةِ يضوعُ عطرًا وتُقذفُ منه للغاوي رجومُ
أصاخ الكون مسحورًا إليـــه وخرّ لبأسهِ الأزلُ القديمُ
تنزّلَ فوق صدرك من عُـــلاهُ بشيرُ الوحي، والدّينُ القويمُ
سلامًا ناسك الزمنِ القـــويِّ من القلب الحزين الشاعريِّ
حملْتُ إليك أشواقي وسرّي لتحملها إلى الأفق العليِّ
تمائمي التعبُّد بالأغـــاني على نغماتِ قيثارٍ شقيِّ
أمرّ به على زمنـــي غريبًـــا كطيرٍ تاه في ظُلم العشيِّ
وأعزفُ للصبائح والأمـــاسي فينتفض الغناءُ لكلّ حيِّ

كأني ما ذرفتُ أسى زمـــــاني ولا أفضى صدايَ بأيّ شيٍّ!

طلعْـتَ مُنـوّرا فـوق العبـادِ فأيقظْ من تشبّث بالرقادِ

وقـلْ للـشرقِ: إن الكـون يمـشي عـلى سُبلٍ مُغنّية الرشـادِ

فخذْ لزمانكَ الزادَ المُرجـــّى من الخلق القويم والاتحاد

ولا يوقفْـكَ في التيـار هـوْلٌ فنار الهـول.. نورٌ للجهادِ

لقد ملّت تقلّبنا الليـــــالي على وضَرِ التنعّم والفسادِ

شدا لك بالأذان خميلُ مصرٍ فقمْ وانشر صداهُ على البوادي

وفي مناجاة شهر رمضان، يقول الشاعر المصرى أحمد مخيمر (١٩١٤ - ١٩٧٨م):

أنت في الدهر غرة وعلـي الأر ض سلام وفي السماء دعـــاء

يتلقـاك عنـد لقيـــاك أهل الـ ـبر والمؤمنون والأصفيـــاء

فلهـم في النهـار نجوي وتسبيـ ـح وفي الليل أدمـع ونـداء

ليلة القدر عندهم فرحة العـــم ر تدانت على سناها السمـاء

في انتـــــظار لنورهــا كل لي ل يتمني الهدي ويدعو الرجاء

وتعيش الأرواح في فلق الأشوا ق حتى يباح فيـها اللقـــاء

فـإذا الكـون فرحـة تغمـر الخلـ ـق إليـه تبتـل الأتقيـــاء

وإذا الأرض في ســـلام وأمن وإذا الفجر نشـــوة وصفـــاء

وكأني أري الملائكـة الأبــــــ ـرار فيهـا وحولهـا الأنبيـاء

نزلـوا فوقهـا من الملأ الأعلـ ـي فأين الشـقـاء والأشـقـياء؟

أمـا الشـاعرة علية الجعـار (١٩٣٥ - ٢٠٠٣ م) فكانت من أكثر الشـاعرات احتفاء بشـهر رمضان، وفى ديوانها (ابنة الإسـلام) نجد مقطوعة شعرية بعنوان (رمضان) جاء فيها:

وإن هل بالنور شهر الصيام يجـــود به الله في كل عام

وصمنا له طاعة في النهار وقمنا له خشّعا في الظلام[١٥]

ويذكر الشاعر الكويتي «فاضل خلف» (ولد ١٩٢٧ م) أمجاد المسلمين التي تحققت في هذا الشهر، فيقول:

بشير الفتح والنصر المصفي أهلّ فزادنا حبا وزلفي
هو الشهر المبارك فيه عزت ديار العرب والإسلام صفا
وعظمة الجدود فكان مجدًا وكان المجد قرآنا وسيفا
فمنذ النصر في ساحات بدر ودين الله فاح شذا وعرفا
فعطر في المسيرة كل أرض وأهدي من غنائمه وأوفى
فيا شهر الصيام أفض علينا ينابيع الهدي مددا وعطفا

في فضائل شهر رمضان:

ويقول الشاعر «تميم بن المعز الفاطمي » (٣٣٧- ٣٧٤هـ/ ٩٤٨ - ٩٨٤م)

لِيُهنِئكَ أنَّ الصَوْمَ فَرْضٌ مُؤكَدٌ مِنَ الله مَفْرُوضٌ على كُلِ مُسْلِمِ
وانَّكَ مَفْرُوضُ المَحَبَةِ مِثْلُهُ علينا بِحَقٍ قُلْتَ لا بالتَوَهُمِ

وللشاعر السعودي «محمد على السنوسي» (ولد ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ م):

رمضانُ يا شهر الضياءِ الحرُّ من أسر الظلامْ
أطلقْ بأضواء الهدى أَسْرَ النفوس من الحطامْ
وأنِرْ بقدسيِّ الصفاءِ رؤى الحياة من القتامْ
وانضحْ عواطفنا تقىً واغمُرْ نوازعنا وئامْ
رمضان يا أملَ النفوسِ الظامئاتِ إلى السلامْ
يا شهرُ بل يا نهرُ ينهلُ من عذوبتهِ الأنامْ
طافتْ بك الأرواحُ سابحةً كأسراب الحمامْ
بِيضٌ يجلّلها التقى نوراً ويصقلها الصيامْ

رفافةٌ كشذى الزهورِ نقيةٌ كندى الغمامْ
شفافةُ الإحساسِ قانتةٌ مهذبةُ الكلامْ
عزّتْ على الأهواء وارتفعت على دنيا الرغامْ
وسمتْ إلى النور الذي غمرَ الوجود به ابتسامْ
نورٌ من الفرقان يرفعها إلى أسمى مقامْ
آياته تُشفي السقام ولفظهُ يطفي الأُوَامْ
رمضانُ ! معذرة فإني لا وراء ولا أمامْ
نمنا وأسرى المدلجون وما عسى يجِدُ النيامْ
طال الطريق بنا وضلّ وهدّ منكبنا الزحامْ
ولوى الطموح عنانه وانقدّ من يدنا الزمامْ
سخرتْ بنا الأهواء وانطلقت تقهقهُ في عرامْ
وتخاذلت همم النفوسِ فلا انطلاق ولا اقتحامْ
حالٌ يغصّ بها الكرام شجىً ويبتهج اللئامْ
رمضانُ رُبَّ فمٍ تمنَّعَ عن شراب أو طعامْ
ظنّ الصيامَ عن الغذاء هو الحقيقةُ في الصيامْ
وهوى على الأعراض ينهشها ويقطعُ كالحسامْ
يا ليتهُ إذا صامَ صامَ عن النمائم والحرامْ
واستاكَ إذ يستاكُ من كذبٍ وزورٍ واجترامْ
وعن القيامِ لو أنه فيما يحاوله استقامْ
رمضانُ ! نجوى مخلصٍ للمسلمين وللسلامْ
تسمو بها الصلوات والدعوات تضطرم اضطرامْ

الله جـــــــل جــلاله | ذي البرّ والمننِ الجســـامْ
أن يُلــــهم اللهُ الهـــداةَ | الرشـــدَ في كل اعـتزامْ

وللشاعر العراقي «ثابت كريم جاسم الربيعي» :

القلب صب والهوي رمضـــان | شهر به يتجسد الإيمـــان
شهر الفضائل إن أردت حسابها | لم يحصها جن ولا إنســـان
شرع المليك الصـوم فيه فريضـة | تزكو بها الأرواح والأبدان
من صام محتسبًا وأخلص صومه | هو في الجنان يظله رضوان
شمس الهداية أشـرقت ومحـــمد | كان البشير وأنزل القـرآن

وللشاعر السعودى «عبدالرزاق رمضان الخالدي»:

قد جاء شهر الاعتكاف فكن به | في طاعة تعطي رفيـع جـــنان
وتجنب الآثــــــام والزم توبة | تقصيك عن لهو وعن نسـيان
خسئ اللعين وصفدت أحزابه | بسـلاسل من سـطوة الديـان
وافاك شهرك شهر أرباب التقي | رمضانك الموسـوم بالغفــران
فاغنم ليـــــاليه وكرم يومـــه | بالصوم عن زور وعن بهتـان
فاجهد وشمّر فيه ساعد كيسلا | عاجـزًا تبع الهــوي بأمـاني
شهر الرضا فيه الجنـان تفتحت | أبوابهـــا كرمًا لذي العرفـان
لا تفتننك عن هـداك ضـــلالة | تلهيـك عن ذكر وعن قرآن
رمضان مدرسة ومشفي فالتمس | منه الشفاء ومنهج الرضـوان
لا تجعل التقـوي على أيامه وقفًا | وبعـــد تخوض في العصيان

*** في الحث على الالتزام بآداب الصيام، واستكناه روحانياته ووجوب إحيائه بالطاعة والترفع عن النقائص والإكثار من الجود والكرم فيه**

يقول الفقيه والشاعر أبو بكر عطية الأندلسي:

إذا لم يكن في السمع مني تصامٌ ... وفي بصري غضٌّ وفي منطقي صمت

فحظي إذاً من صومي الجوع والظما ... وإن قلت إني صمت يوماً فما صمت

ويقول الشاعر البغدادى أبو إسحاق الصابي (٣١٣-٣٨٤هـ/ ٩٢٥ -٩٩٤م)

يا ذا الذي صام عن الطعام ... ليتك صمت عــن الظــلم

هل ينفع الصوم امرؤ طالما ... أحشاؤه مــلأي مــن الإثم

وللذين ادعوا أن رمضان شهر حرمان، يقول الصاحب بن عباد (٣٢٦-٣٨٥ هـ/ ٩٣٨-٩٩٥م):

قد تعدَّوا على الصيام وقالوا ... حرم الصب فيه حسن العوائد

كذبوا فالصــيام للمرء مهما ... كان مســتيقظًا أتـم الفوائــد

موقف بالنهـار غير مريـب ... واجتمـاع بالليل عند المساجد

ويقول «أحمد شوقي» :

يا مديم الصوم في الشهر الكريم ... صم عن الغيبة يومـا والنميـم

ويقول أيضا:

وصلِّ صلاة من يرجو ويخشي ... وقبل الصوم صم عن كل فحشا

ويقول الشاعر العراقي «معروف الرصافي» (١٢٩٤-١٣٦٤هـ/ ١٨٧٧ ١٩٤٥م) هاجيا الذين لا يرون فى رمضان غير إمساك عن الطعام والشراب:

وأغبي العـالمين فتي أكـــول ... لفطنتـــه ببطنتـــه انـــهزام

ولو أني استطعت صيام دهري ... لصمت فكان ديدنـي الصيـام

ولكني لا أصـوم صيـام قـوم ... تكاثر في فطــورهــم الطعـام

إذا رمضان جاءهـم أعـدوا | مطاعم ليس يدركها انهضـام
وقالوا يا نهـار لئـن تجعنـا | فإن الليـل منـك لنـا انتقـام
وناموا متخمين على امتـلاء | وقد يتجشئون وهم نـيام
فقل للصائمين أداء فـرض | ألا ما هـكذا فرض الصيام

ويقول الشاعر مصطفي حمام (١٩٠٦-١٩٦٤ م):

حدِّثونا عن راحـة القيد فيه | حدثونا عن نعمـة الحرمـان
هو للنـاس قـاهر دون قهـر | وهو سلطـانهم بلا سلطـان
قال: جوعوا نهاركم فأطاعـوا | خشعا، يلهجـون بالشـكران
إن أيامك الثـلاثين تمضـي | كلذيذ الأحـلام للوسنـان
كلما سرني قدومـك أشـجا | ني نـذير الفـراق والهجـران
وستأتي بعد النـوي ثـم تأتي | يا تري هـل لنـا لقاء ثـان؟

ولقد ذم بعض الشعراء ذلك الصنف من الموسرين البخلاء في رمضان، والذين لم يعودوا أنفسهم على الجود والكرم والعطاء، وفي هذا يقول الشاعر على الجارم (١٨٨١-١٩٤٩م) الذي نزل ضيفا عند أحد البخلاء فهجاه بقوله:

أتى رمضان غير أن سـراتنا | يزيدون صـوما تضيق به النفس
يصومون صوم المسلمين نهاره | وصوم النصارى حينما تغرب الشمس[١٦]

وهناك العديد من الشعراء الماجنين، الذين اشتهروا بقصائدهم التهكمية على شهر رمضان، وأعربوا عن تململهم منه - نظرا لما فيه من نهي عن أشياء كثيرة كانوا يأتونها، وعلى رأسها شرب الخمر- وترقبهم لانتهاء دورته حتى يؤوبوا إلى ما كانوا عليه.

*** شكوى الشعراء من إجهاد الصيام**

بيَّن الشاعر المخضرم بشار بن بُرد(٩٦-١٦٨ هـ) شدة تعبه من الصوم والجهد ونحول جسمه أيام رمضان فقال:

قُلْتُ لَشَهْرَ الصّيامِ انْحَلْتَ جِسْمِي   فمتى يا تُرَى طُلوعُ الهِلالِ

اجْهِـــدِ الآنَ كلّ جُهْـــدِكَ فِيَنـا   سَنَرَى مَا يَكُونُ في شَوّالِ(١٧)

ومن المداعبات الشعرية اللطيفة قول الشاعر العباسى ابن الرومي١٨ (٢٢١-٢٨٣ هـ/ ٨٣٦-٨٩٦م) وقد جاءه رمضان في لهيب الصيف:

شهر الصيام مبـــارك   ما لم يكن في شـــهر آب

خِفت العذاب فصمته   فوقعت في نفس العذاب

وأنشـد الشـاعر الموصلى أبو الحسـن بن السَريّ الرفّاء (ت ٣٦٦ هــ/ ٩٧٦ م) في طول أيام الصيام:

إذا طالَ شَهرُ الصّـوْمِ قَصّرتُ طُولَه   بِحَمْرَاءَ يَحكي الجُلّنارَ احمِرَارُها

يُقصّر عُمْرَ الليلِ ـ إنْ طالَ- شِرْبُها   ويَعْمَلُ في عُمْرِ النَّهارِ خِمَارُهـا

* في وداع شهر رمضان واستقبال عيد الفطر

يقول الشاعر العباسى ابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦هـ/ ٨٦١ -٩٠٨ م).

أهلاً بفطر قد أتــاك هلالــه   فالآن فاغد إلى السرور وبكّر

فكأنمـا هو زورق من فضـــة   قد أثقلته حمولـــة من عنبر

وللشاعر «تميم بن المعز الفاطمي » فى وداع شهر رمضان:

يا شهر مفترض الصوم الذي خلصت   فيه الضمائر والإخـــلاص للعمـل

أرمضت يا رمضان الســـــيئات لنا   بشربنـــا للتـــقي عـلاّ عـلى نهـل

وليت ظلـك عنـا غــــــير منتقـل   بصالح وخشـوع غير منفصـل

يا ليت شـــهرك حـــول غير منقطـع   صوم وبر ونســك فيـك متصـل

مسحراتي فؤاد حداد

إضافة إلى ريادته المتفردة لشعر العامية المصرية، يمثل الشاعر «فؤاد حداد» (٢٨ أكتوبر ١٩٢٨ - ١ نوفمبر ١٩٨٥) طيفًا بديعًا من الطيوف الرمضانية، فهو واحد من أبرز الذين اشتهروا بقصائدهم الرمضانية خلال القرن العشرين، وألف ديوانًا كاملا بعنوان المسحراتي، قام الملحن الراحل «سيد مكاوي» بتلحين قصائده وظل يؤديها لسنوات طويلة، وحرصت الإذاعة والتلفزيون على إذاعة هذه الأغاني، التي ارتبط بها الناس في شهر رمضان، وكانوا لا يشرعون في تناول وجبة السحور قبل سماعها، وكأنها عتبة مرور وفاتحة ليومهم الجديد.

من هذه القصائد، قصيدة «هلال»، التي تقول كلماتها:

اصحى يا نايم

وحِّد الدايم

وقول نويت

بكره إن حييت

الشهر صايم

والفجر قايم

اصحى يا نايم

وحِّد الرزاق

رمضان كريم

مسحراتي

منقراتي

أملك قيراطي

من الكليم

رمضان كريم

الله أكرم

دا غير قيراطي

من الحصير

إن زاد إيرادي

في الدايرة دي

يصبح أراضي

بساط حرير

زي الهليل

تلاقيه قليل

تفضل تليل

يصبح كبير

يفضل يناور

بين المناور

في جوز أساور

يقع أسير

يرجع يغازل

بين المنازل

ما لوش عواذل

هلال أمير

هلال يقوللي

أنا حلو كلي

شوف عقد فلي

صنع القدير

هلال حمامه

تحت الغمامه

لبست عمامه

ما فيهاش تطير

هلال بيجري

ف بحر هجري

قال ضي فكري

للمستنير

هلال بلدنا

علي ألف مدنه

لله حمدنا

حسن المصير

والمشي طاب لي

والدق على طبلي

ناس كانوا قبلي

قالوا في الأمثال

الرجل تدب مطرح ما تحب

وانا صنعتي مسحراتي ف البلد جوال

حبيت ودبيت كما العاشق ليالي طوال

وكل شبر وحته من بلدي

حته من كبدي

حته من موال

لو تسأل الليل يقولك راضي بالمقسوم

والقلة في الفجرح تقول لك عن الماء صوم

واحنا عرب كلنا أصحاب طرب مقسوم

حلوين على كل حال لكن سوا أحلى

يا سواحليه

ومن الصعيد للبحيره للدقهليه

إحنا أهليه

تجمعنا ساعة السحور تجمعنا طبليه

قضينا على الجاهليه نحمد الواحد

القلب واحد ولو كان الرغيف مقسوم

اصحي يا... نايم وحد الدايم

السعي للصوم... خير من النوم

دي ليالي سمحه... نجومها سبحه

اصحى يا نايم... يا نايم اصحى

وحِّد الرزاق.

نثر رمضان

لم تكـن إلهامات شـهر رمضان وفيوضاتـه الإبداعية قاصرة على الشـعراء وحدهم، إنما أخذ نصيبا كبيرا من كتابات الناثرين كذلك، وربما كان من هذه الكتابات ما ينافس الشـعر، بـل ويغلبه حلاوة ويفوقـه إبداعا، وإن كانت أقل حظا من الذيوع والانتشـار؛ ففي بيان منزلة رمضان بين أشـهر السـنة والفصول كتب الإمام ابن الجوزي في بسـتان الواعظـين، فقـال: « مثل الشـهور الاثنى عـشر، كمثل أولاد يعقوب، وكما أنّ يوسـف أحـب أولاد يعقـوب إليه، كذلـك رمضان أحب الشـهور إلى الله وكما غفـر لهم بدعوة واحدة منهم وهو يوسف كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهرا ببركة رمضان».

وقـال الـرازي عن الشـهر المبـارك: « إنّ الله ـ سـبحانه وتعالى ـ خصـه بأعظم آيات الربوبيـة، وهـو أنـه أنزل فيـه القرآن فلا يبعـد أيضا أن يخصصـه بنوع عظيـم من آيات العبودية، وهو الصوم».

وكتب أبو بكر الورّاق في ذات الموضوع قائلا: « مثل رجب مثل الرياح، شعبان مثل السحاب ورمضان مثل المطر».

وفي محاسن شهر رمضان كتب الإمام الحسن البصري، قائلاً: » إنّ الله تعالى قد جعل رمضان مضماراً لخلقه، يَسْـتَبِقُونَ فيه بطاعته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا فالعجب للضاحك اللاّعب في اليوم الذي فاز فيعه المسـارعون، وخابَ فيه الباطلون، فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين، في شهر شرَّفَهُ ربّ العالمين.

أمّا الصاحب بن عبّاد فأرسل قطعة نثرية يهنئ فيها أحد الأمراء بمقدم شهر الطاعة والغفـران جـاء فيهـا: » كتابي أطـال الله بقاء الأمير، غُرّة شـهر رمضان، جعـل الله أيامه

غـرّاء، وأعوامه زهراء، وأوقاته إسـعاداً، وسـاعاته أعياداً، وأتاه في هذا الشـهر الكريم مورده ومأتاه أفضل ما قسم فيه لمن تقبل أعماله فبلغه آماله...».

ومـن الأدب العـربي الحديث نقرأ ما كتبه الأديب مصطفـى صادق الرافعي قائلا: «شـهرٌ هـو أيامه قليلة في الزمـن، متى أشرفت على الدنيا قال الزمـن لأهله: هذه أيام من أنفسـكم لا من أيامي، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي، فيقبل العالم كله على حالة نفسـية بالغة السـمو، يتعهد فيها النفس برياضتهـا على معالي الأمور ومكارم الأخلاق، ويفهم الحيـاة على وجه آخر غير وجههـا الكالح، ويراها كأنما أجيعت مـن طعامها اليومي كما جاع هو».

وعبّر الأديب عباس محمود العقاد عن شهر رمضان بقوله: «رمضان شهر الإرادة.. أدبـه أدب الإرادة، وليسـت الإرادة بالـشيء اليسـير في الديـن ومـا الخلـق إلاّ تبعـات وتكاليـف، وعـماد التبعات والتكاليف جميعـا إنها تُنَاطُ بمريد ومن ملـك الإرادة فزمام الخلق جميعاً في يديه»[٢٠].

ويصـور أمـير الشـعراء أحمد شـوقي معاني الصـوم تصويـرًا أدبيًا، فيقـول في كتابه «أسـواق الذهب»: الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع، لكل فريضـة حكمة وهـذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة يسـتثير الشـفقة ويحض على الصدقـة، يكسر الكبر ويعلم الصبر ويسـن خلالـه البر، حتى إذا جاع من ألف الشـبع وحرم المترف أسباب المنع، عرف الحرمان كيف يقع وكيف ألمه إذا لذع[٢١].

شهر رمضان في ذاكرة الأدباء والكتاب

إذا كان العديد من الشعراء قد حلقوا في سماء الأجواء الرمضانية وجابوا آفاقها؛ فإن العديد من الساردين والنثريين كذلك استلهموا تجليات هذا الشهر في كتاباتهم، بما يجعل من هذه الكتابات نصوصا اجتماعية دالة، تمثل سجلا لأحوال مصر عبر العصور المختلفة، على نحو ما رأينا في كتابات الرحالة العرب والأجانب والمستشرقين التي تم الاستعانة بها داخل أبواب هذا المعجم، جنبا إلى جانب كتابات المؤرخين المصريين.

وقبل السياحة في هذه الكتابات، تجب الإشارة إلى أن هناك العديد من الأعمال السردية المصرية، عنيت برصد المظاهر الرمضانية، مثل رواية «الشمندورة» للأديب النوبي «محمد خليل قاسم»، التي تعد مرجعا مهما، يمكن من خلاله قراءة كيفية احتفال النوبيين بشهر رمضان قبل التهجير، مما يمكن الباحث الاجتماعي والتاريخي في هذا الشأن من الوقوع على ماده ثرية، تمثل واحدة من المداخل إلى الشخصية النوبية.

من جانب آخر هناك بعض الروايات التي جرت أحداثها داخل شهر رمضان بأكمله، مثل رواية «١٧ رمضان» لجرجى زيدان، نظرا لطبيعة موضوعها، وهناك من الروايات ما يعد مرجعا أنثروبولوجيا متكامل الجوانب يمكن الاستدلال منه على طبيعة شهر رمضان وخصوصية تعامل المصريين معه، مثل رواية «خان الخليلي» لنجيب محفوظ، و«في بيتنا رجل» لإحسان عبد القدوس، التي وقعت جوانب كثيرة من أحداثها في شهر رمضان.

أما إذا انتقلنا إلى ذكريات الكتاب عن شهر رمضان، فيطالعنا في هذا الباب ما كتبه الأديب «نجيب محفوظ»[٢٢]، عن ملامح شهر رمضان في حي الجمالية وتحديدا في منطقة بيت القاضي التي شهدت ميلاده، يقول:

كان ميدان بيت القاضي يبدو في فرح مستمر لمدة شهر كامل، فإذا ما جاء العيد وصل الفرح إلى ذروته وعلت مباني الشارع زينات الأفراح، وقد كان أجمل ما يسعدني أن المنازل التي تقع في الحي كانت وقت رمضان تفتح أحواشها للناس، وكانت تأتي بالمنشدين الذين كانوا يقيمون ما كان يسمي بالتوليد النبوي، وهو مثل حلقات الذكر تنشد فيه قصائد المديح في النبي، وكانت هذه المنازل تتباري في من يأتي به للإنشاد، وكنا نحن ننتقل من منزل إلى آخر نستمتع بهذه الحلقات.

وكان رمضان بالنسبة للأطفال في هذه الأيام شهر الحرية، لأن الأهل كانوا يسمحون لنا بالأشياء التي كانت ممنوعة في بقية أيام السنة فقد كنا في ذلك الوقت أطفالًا صغارًا لا يسمح لنا بالتغيب عن البيت طويلًا ولكن ما إن يجيء رمضان حتى تفتح الأبواب؛ لكي نخرج إلى الشارع، حتى في الليل دون أن يقال لنا ألا نتأخر من دون أن يذكرنا أحد بموعد للعشاء أو النوم. وكانت هدية رمضان الأولى بالنسبة لنا هى الفانوس الذي كانت تضيئه آنذاك شمعة.

ويواصل نجيب محفوظ قائلا:

لكن الأكثر أهمية في رمضان بالنسبة لنا كأطفال في مثل هذه السن الصغيرة أن الأهل كانوا يسمحون لي أن أخرج إلى الشارع، حتى أجتمع بالأطفال سواء بنات أو صبيان، وكان لهذا الاجتماع وقع خاص في أنفسنا حيث كنا نجتمع في مكان متفق عليه فيما بيننا ثم ننطلق حاملين الفوانيس ذات الألوان الزاهية، وندور على جميع بيوت ميدان بيت القاضي مرددين أغاني رمضان في فرحة شديدة.

وعن الأيام الأخيرة في شهر رمضان يقول:

كنت أشارك في عمل الكعك حيث كنت أقوم بنقشه مع والدتي، ثم يأتي الفران ليحمله للفرن، وكنت أسعد بمنظرة حينما يعود من الفرن، أما لبس العيد، فكنت أذهب مع والدي أشتري بدلة العيد.

ويصف طه حسين لحظات الإفطار بقوله:

فإذا دنا الغروب وخفقت القلوب وأصغت الأذان لاستماع الآذان.. وطاشت نكهة الطعام بالعقول والأحلام. فترى أشداقا تنقلب وأحداقا تتقلب بين أطباق مصفوفة

وأكواب مرصوفة.. تملك على الرجل قلبه وتسحر لبه بما ملئت من فاكهة وأترعت من شراب.

الآن يشق السمع دوي المدفع، فتنظر إلى الظماء وقد وردوا الماء.. وإلى الجياع طافوا بالقصاع.. تجد أفواهًا تلتقم وحلوقا تلتهم.. وألوانا تبيد وبطونا تستزيد.. ولا تزال الصحائف ترفع وتوضع والأيدي تذهب وتعود.. وتدعو الأجواف قدني.. قدني.. وتصيح البطون قطني.. قطني.

وعن سهرات رمضان الدينية سجل شيخ الصحفيين الراحل «حافظ محمود» ذكرياته عنها في كتابه «المعارك في الصحافة والسياسة»، تحت عنوان «سهرة مع الصالحين»، بقوله:

كانت ألوان السهر في ذكر الله أو التزود من كلمات الله علما وعبادة في شهر رمضان ولئن كانت هذه الألوان كلها معروفة وقد امتد منها الشيء الكثير حتى الآن، فإن هناك لونًا خاصًا من سهرات رمضان.. كان بعض الناس يختار في ليالي رمضان أن يستصحب أحد الصالحين المخلصين يقضي معه الليل بطوله في أحاديث الصوفية.

ويردف قائلا: رأيت أنا هذا اللون من سهرات رمضان بصحبة الشيخ «محمود الأشليمي»، ولم يكن الأشليمي شيخًا بالمعني الرسمي، بل كان أفنديا يعمل رئيس مكتب من مكاتب البرق التي يجري العمل فيها باللغة الإنجليزية للخارج.. كانت ثقافته تؤهله لذلك، لكن صوفيته أهلته لشيء آخر، هو اعتزال الناس والعكوف على العبادة بغرفة صغيرة متواضعة بالقرب من المسجد الحسيني.

وذات ليلة من ليالي رمضان في سنة من سنين الحرب العالمية الثانية وجيوش هتلر تجتاح كل أوروبا قال لنا الأشليمي عليه رحمة الله: إن هتلر مسكين.. إنه سينهزم وينتحر.. وكذبنا يومئذ الشيخ محمود وظننا أنه يخرف، لكن الأيام كذبت ظنوننا وحققت نبوءته..

أما عن مظاهر الاحتفال بمقدم العيد في الريف المصري فيسجلها د. محمد رجب البيومي[٢٣]، بقوله:

كان عيد الفطر في الريف خاتمة لثلاثين يوما من الأعياد هى أيام رمضان المبارك، إذ كان كل يوم بفرحته الغامرة وبمصابيحه التي يحملها الأطفال في الشوارع، وبموائده

التي تقام قبيل الغروب أمام منازل الموسرين، وبدروسه الدينية في ساحة المسجد بعد العصر وبعد صلاة المغرب، وبالمئذنة المتألقة بالضياء، الصادحة بالأذان والتواشيح، وبالزيارات الليلية المتصلة في سهرات المقارئ بالمنازل المترفة.. كان ذلك كله بعض مظاهر الاحتفال، أما «الليالي» الثلاث التي يحييها شاعر الربابة بالمقهى، فهي تتويج لهذه النشوات الغامرة، إذ كان من المصطلح عليه أن يختص كل شاعر في هذا الموسم الجهير بعشر قرى من قرى الريف، يزور كل قرية في ثلاثة أيام متفرقة قد حددت مواعيدها وأبرم الاتفاق عليها بين صاحب المقهى والشاعر على نحو لا يقبل التراجع، ولم يكن للراديو وقد بدأ في الظهور أثره الخالب في جذب الجمهور إلا ما كان من سماع المشاهير من القراء. وأميرهم يومئذ هو الأستاذ الشيخ «محمد رفعت» فإذا انقضت ساعة القراءة كان المقهي برواده في شأن آخر من شئون الاستمتاع، أما الشاعر فقد اعتاد أن يصل بعد أداء صلاة العصر قادما من القرية المجاورة على جناح حمار مطهم، يقوده ريفي متطوع، حتى يبلغ المكان المحدد ويتناقل القوم أخبار مجيئه فيتأهبون لليلة حافلة، فإذا استراح بعض الأمد، وأذن المغرب تناول طعام الإفطار عند من يتطوع مرحبا باستضافته من الموسرين بعد استئذان صاحب المقهى؛ لأنه الداعي المضيف، ويفضل الزائر الكريم أن يصلي المغرب والعشاء بمنزل المضيف، لا بالمسجد كي يكون استقباله بالمقهى عند بدء السهرة مما يليق تماما بمقامه الجهير وهو روح الاحتفال!.

وكانت ليالي الصيف في رمضان أبهج رونقا وأروح جلوسا من ليالي الشتاء، إذ إن شتاء رمضان يجبر السامعين على الانكماش في المقهي وهو على سعته النسبية لا يتيح مجالًا للانبساط والتبحبح، أما صيف رمضان فتنتقل المقاعد فيه إلى الفضاء الفسيح خارج المقهى وتنتظم صفوفا متراصة وفق ترتيب يحبذه القائمون على شئون السهرة، ويأخذ الشاعر راحته النفسية حين يجلس على أريكة عالية، يقلب نظرة في جمهوره، وبين يديه ربابته الموسيقية التي يعشق الحاضرون أنغامها وكأنها وحي سماوي خالد، وهنا يتسع المجال لسيدات المنازل المجاورة كي يملأن النوافذ مصغيات إلى ما يهتف به الشاعر، وقد تزغرد إحداهن إذا استمعت إلى مواقف الابتهاج بين عبلة وعنترة، فيتردد التصفيق مجاوبا هذه الزغاريد، ويطلب من الشاعر أن يعيد ما حكاه عن فرحة اللقاء بين الحبيبين فيستجيب وفي عينيه بريق النشوة والابتهاج.

ويشير «د.البيومي» إلى أن برنامج الليالي الثلاث التي يقضيها المنشد بالقرية كان يمضي على النحو الآتي: الليلة الأولى كان يروي فيها قصة أبي زيد الهلالي، أما الليلة الثانية فقصة عنترة، فيما يختتم برنامجه في الليلة الثالثة بقصة الزير سالم.

ونفس برنامج هذه السهرات -تقريبا- يورده محمد خليل قاسم عن مجتمع النوبة القديم فى روايته الشمندورة، حيث يروى أن النوبيين كانوا يقضون سهراتهم بين حلقات الذكر والاستماع إلى القرآن وأساطير البطولة.

وعن وداع اللحظات الأخيرة من الشهر وتعاطى الجماعات الشعبية لها يقول عبد الحميد حواس: كان للغروب الأخير من رمضان وقعه الخاص - ولازال - منذ صباي في الأربعينيات من القرن العشرين. فقد كان يسود القرية صمت ثقيل - منذ ما بعد العصر - فيه أسى وترقب وتحسب من عبور النقلة من رمضان. وقبيل مغيب الشمس تتصاعد روائح البخور تغمر هواء القرية. ثم تسمع من هنا وهناك طقطقة حصوات الملح والفكوك تتقلي على جمرات المناقد. وما إن يأخذ ضوء الغسق في الانسحاب إلى ما وراء البيوت، حتى تتصاعد أصوات طرق وقرع منتظمة يتعالى معها صيحات غناء. وقد كنت - بوصفي أصغر أفراد الأسرة - أشارك في إصدار هذه الأصوات مع القرع بقضيب من الحديد على أدوات أخري حديدية. كان الكبار قد ساعدوني في جلب تلك القطع الحديدية ووضعها عند عتبة الباب الخارجي للدار. وقبيل الغروب أتوا بمنقد الجمرات وقد أججت ووضع عليها البخور والملح والفكوك. حينئذ أجلس - مثلي مثل لداتي - على عتبة الدار أقرع الحديد في دقات تتوافق مع أغنية مطلعها: يا بركة رمضان/ خليكي في الدار/ يا شيطان اطلع من الدار. وأواصل بهمة هذا الدق والغناء إلى ما بعد الغروب لأسارع بعدها للحاق بمائدة الإفطار الأخير.

وفي قرى أخرى، كانت عملية التبخير والقرع والغناء تتم فوق أسطح المنازل، وربما استبدلوا ضرب الأواني النحاسية بالقرع على الأدوات الحديدة. والغرض في كل الأحوال، هو وقاية المنازل من غزوات العفاريت، التي ستنطلق لحظة انتهاء الشهر الكريم، وتأمين عدم إزاحتها لبركة رمضان، وضمان استمرار حلول روحه الطيبة وإقامتها الدائمة[٢٤].

إضافة إلى ما سبق توجد بعض الأعمال الإبداعية الأخرى التى سارت على الدرب ذاته، إن مستلهمة لأجواء الشهر الكريم أو متخذة منه زمانا لأحداثها، مثل: عودة الروح» لتوفيق الحكيم، ورواية «لا أحد ينام فى الإسكندرية» لإبراهيم عبد المجيد، التى نطالع من خلالها العلاقة الحميمة بين بطلها الشيخ مجيد الدين المتدين النازح من إحدي قري البحيرة، وجاره المسيحي الذى يتعامل معه وكأنه يشاركه الاحتفال بهذا الشهر، جامعًا لحالة إنسانية وممثلاً لحالة وطنية واحدة. وكذلك رواية «محب» لعبد الفتاح الجمل، وقصة بائعة الكنافة للقاص سعد حامد. وقصة «أكان لا بد أن تضيئى النور يا لى لى» التى قام فيها بتصوير سهرات تعاطى الحشيش فى حى الباطنية، الذى لم يردع متعاطوه حلول رمضان. وهو الملمح ذاته الذى التقطه «يحيى حقى» فى «قنديل أم هاشم» متمثلا فى عدم صيام «إسماعيل» بطل الرواية عقب عودته من أوروبا. وكذلك قصة المتصابية لعائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» ضمن مجموعتها «صور من حياتهن» التى صورت بطلة القصة المتصابية التى لاتعبأ برمضان وقدسيته. وكذلك محمد حسين هيكل فى زينب، وانتهاء بإبراهيم عيسى فى روايته «صار بعيدًا».

ويلاحظ أن شهر رمضان ارتبط فى أعمال العديد من الأدباء بالخير والمعجزات وتحقيق الانتصارات وتنقية النفوس واستجابة الدعاء، ففى قصة «معجزة فى رمضان» لإبراهيم المصرى من مجموعة «صور من الإنسان» نجد بركات شهر رمضان تحل فى زوجة مصطفى بك التى يهبها الله حملا منه بعد أم يئست من الحمل وكادت أن تقع فى الخطيئة. وإسماعيل المشلول فى قصة «بائع العطور» لمحمود البدوى، الذى يسترد قدرته على الحركة بعد أن غفى فى أحد نهارات رمضان واستيقظ على تكبير الناس وهم يهللون فرحا باقتحام الجيش المصرى لخط بارليف ورفع علم مصر على أرض سيناء، فينتفض وينسى عكازه كأنه لم يكن مشلولا من قبل.

كما صور الكاتب «على أحمد باكثير» انتصار الجيش المصرى فى معركة عين جالوت فى رواية «وإسلاماه. ويبين أثر الصوم فى ذلك، يقول: وخر الملك ساجدا لربه، ثم رفع رأسه وخطب قائلا: أيها المسلمون، إياكم والزهو بما صنعتم، وما يدريكم لعل دعوات إخوانكم المسلمين فى الساعة التى حملتم فيها على عدوكم، يوم الجمعة وفى هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان، كانت أمضى على عدوكم من السيوف.

شهر رمضان في كتابات الرحالة الأجانب والمستشرقين

إذا كان الدارسون والباحثون في عادات المصريين وتقاليدهم، يعتمدون بصورة أساسية على كتب المؤرخين المصريين، إلا أن هناك مصدرين آخرين مهمين، يستدل من خلالهما على العديد من المظاهر التي ربما لم تلفت عناية المؤرخين المصريين فلم يتصدوا لها، هذان المصدران هما: كتابات الرحالة العرب والأندلسيين، ثم الأجانب، خصوصًا المستشرقين منهم، الذين زاروا مصر خلال عصور مختلفة ودرسوا عادات شعبها، وقد اعتمدنا في كثير من فصول هذا الكتاب على ما سجله الرحالة العرب والأندلسيين بخصوص مشاهداتهم عن شهر رمضان في مصر، أمثال: الرحالة المغربي ابن الحاج، وابن بطوطة، وابن جبير، والبغدادي، والرحالة الفارسي ناصر خسرو، واعتبرنا هذه الكتابات جزءًا لا ينفصل عن كتابات المؤرخين في هذا السياق وذلك لانتمائهم إلى الديانة الإسلامية واللغة العربية، مما سهل لهم فهم العديد من السلوكيات والأفعال، وهو الأمر الذي كان يتسم بدرجة من التشوش لدى الأجانب نتيجة لعدم إتقانهم اللغة العربية أو عدم فهمهم لطبيعة الشعائر الإسلامية والشعوب العربية، إضافة إلى اعتماد أكثرهم على مترجمين، مما جعل كتاباتهم تتسم بالسطحية والسذاجة وعدم الفهم الدقيق لسياقات الأمور في بعض الأحوال، رغم ذلك فإن كتاباتهم تفتح أبوابًا لم يلجها غيرهم، وإن كان يجب التعامل معها بحرص فإن هذا ليس مبررًا للتغاضي عنها. و«لعل المظاهر الدينية لقيت اهتماماً يفوق ما لقيه سواها من المظاهر بسبب الغرابة التي تبدت لهم فيها مقارنة بمعتقداتهم، وكان من بين تلك المظاهر الاحتفال بشهر رمضان قدوماً وصياماً وقياماً وعادات وتقاليد ارتبطت به دون غيره من الشهور، وما يتلوه من احتفالات بعيد الفطر، بل إن بعض الرحالة أشار إلى قضايا فقهية تتعلق بالصوم وبممارسة الحياة خلال شهر الصوم والتغيرات التي تطرأ على سلوك الإنسان»[٢٥]، دون فهم لأبعادها أو النظر إليها فى سياقاتها، مما صور سلوك المصريين – فى بعض الأحوال- لديهم بشكل سلبى، يساهم فى التكريس للنظرة الخاطئة التى اعتاد الكثير من الأوروبيين رؤية المصريين عبرها.

**

فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، زار الرحّالة الإيطالي «برنار دي بريد بناخ» القاهرة وشهد جانبا من احتفال المصريين بهذا الشهر المعظم وقام بوصفه، ووصف مظاهر بهجة الناس بحلوله، وحرصهم على إنارة المساجد والدروب، وقدم وصفا للإنشاد وحلقات الذكر التى تعمر لياليه.

أما الرحالة الإيطالي «فيلكس فابري» (١٤٤٠-١٥٠٢م تقريبا) فقد زار مصر مرتين؛ أولها عام ١٤٨٠م، والثانية من ١٣ إبريل ١٤٨٣م حتى ٣٠ يناير ١٤٨٤م، وفى كتاباته عن شهر رمضان فى القاهرة؛ أعرب «فابرى» عن دهشته ليلة دخوله القاهرة لكثرة ما رأى في شوارعها من الأنوار والمشاعل والفوانيس المختلفة ألوانها وأشكالها، التى يحملها الكبار والصغار، وشاهد المسحراتي يجوب الشوارع ليلاً، وينادي الناس بأسمائهم. واعتقد أنه أحد رجال الدين، حيث كان يمر ثلاث مرات في الشوارع ليلاً ومعه طبلة يدق عليها منادياً للناس بأسمائهم[٢٦].

وفى عام ١٥٨١م زار الرحالة الفرنسي «جان بالين» مصر، وتوقف خصوصا أمام حرص المصريين على العطف على الفقراء في شهر رمضان وتوزيع الصدقات عليهم.

وفي عام ١٥٨٩م زار الرحالة الفرنسي جاك دو فيلامون (١٥٦٠-١٦٢٥م) مصر، وتحدث في كتابه المنشور بعنوان (رحلات السير دوفيلامون) عن مواكب دراويش الصوفية وحلقات الذكر وإنارة المساجد وزحام الأسواق ومآدب الإفطار التي يدعى إليها الأصدقاء، ووصف المصريين بالكرم فيقول: «ولديهم عادة جميلة، إذ يجلسون على الأرض ويأكلون في فناء مكشوف أو أمام بيوتهم، ويدعون المارة إلى الطعام في صدق وحرارة»[٢٧]. (انظر: مآدب الإفطار الجماعية).

وخلال العصر العثماني شهد الرحالة التركي «أوليا جلبي» احتفال مصر برؤية هلال رمضان سنة ١٦٧٠م، وقدم وصفا دقيقا في كتابه «سياحتنامه مصر»[٢٨] لموكب رؤية الهلال، الذي أطلق عليه «موكب ليلة المحتسب» وادعى أن البعض كانوا يسمونه «بعيد النسوان. (انظر: موكب الرؤية).

وإبان إقامته في مصر قام الطبيب الفرنسي أنطوان بارتيليمي كلوت (١٧٩٣-١٨٦٨م) المعروف بكلوت بك، (مؤسس أول مدرسة للطب في مصر في عصر محمد

على باشـا)- قام بتسـجيل مشاهداته في شهر رمضان في مجتمع القاهرة، في كتابه الشهير «لمحـة عامـة إلى مـصر»؛ وقدم وصفـا لطعـام المصريين في وجبتـي الإفطار والسـحور والتفافهـم حـول حكايات شـعراء الربابة والمنشـدين، في الأمـاسي الرمضانية وكذلك تعرض لوصف حلقات الذكر المختلفة.

ومن الأشياء التي استرعت انتباه كلوت بك امتناع بعض المصابين بالحمى عن تناول الدواء مؤثرين الموت على مخالفة واجب الصوم، وعن عادات الإفطار قال: «إن الفقراء يتناولون إفطارهم بنهم وشـهية، أما الأثريـاء فيكتفون بوجبة خفيفة؛ قليل من الخبز أو الحلوى أو الفاكهة إلى أن يصلوا العشاء، ثم يتناولون وجبة الإفطار الدسمة»[٢٩].

وعن الأماسـي الرمضانية، قال: يتخذ كثير من المصريين طريقهم إلى المسـاجد لأداء صلاة التراويح، بينما يمضي البعض إلى المقاهي، يسـتمعون إلى حكايات شـعراء الربابة والمنشـدين، وتتنوع أمسـيات رمضان في شـوارع القاهرة، ما بين مشاهد ألعاب الحواة، أو الانضمام إلى حلقات الذكر حول ضريح أحد الأولياء، بينما يتجمع البعض في ممرات حديقة (الأزبكية) في ضوء القمر، ليستمعوا إلى فرق الموسيقى التركية، ومشاهد (خيال الظل) و(الأراجوز) وتناول الكعك والذرة المشـوي والقهوة وعصائر الفاكهة. ويتفنن الباعة في الغناء لبضاعتهم، بينما يشق السقاءون الجموع وهم يحملون قرب الماء[٣٠].

وفي أيـام الحملة الفرنسـية على مصر قام المؤرخ الفرنسي الشـهير «فرانسـو جومار» (١٧٧٧-١٨٦٢ م).. أحـد العلـماء الذيـن أتـوا بصحبة نابليـون بونابـرت أثناء حملته عـلى مـصر عام ١٧٩٨م، - قام برصد عادات المصريين في شـهر رمضان وضمنها كتابه (وصـف القاهرة وقلعة الجبـل)، وتوقف بصورة كبيرة أمام أحوال الشـوارع ودروس الفقه بالمساجد في نهار رمضان، وكذلك أحوال الأسواق والمقاهي.

يقول جومار: «تحيا الأعياد الدينية في القاهرة ببذخ شديد؛ فالناس جميعاً يعلمون أن رمضان هو شـهر الصـوم فيمتنعون عن الطعام والشراب والتدخين، والاسـتمتاع بأي تسـلية لنسـيان ذلك الامتناع، ويحتفي المسـلمون بليالي رمضان، وبينما يحضرون خلال النهار في جماعات كبيرة، وبورع شديد دروس الفقه في المساجد، تبدو في المساء الشوارع مضاءة صاخبة، وتظل الأسواق والمقاهي مفتوحة حتى أذان الفجر»[٣١].

ومن علماء الحملة الفرنسية أيضا قام العالم «دي شابرول» بوصف بعض المشاهدات الرمضانية وذلك ضمن دراسته عن تقاليد سكان مصر، نُشرت ضمن موسوعة «وصف مصر»، وتوقف طويلا أمام طقوس رؤية هلال شهر رمضان، واستقبال الناس له.

كما رصد «جلبير جوزيف جاسبار كونت دو شابرول» (١٧٧٣-١٨٤٣م) أحد علماء الحملة الفرنسية - أيضا- في بحثه (محاولة في تقاليد سكان مصر المعاصرين) الذي نشر في كتاب (وصف مصر)[٣٢]، - رصد العديد من أحوال المصريين في نهار رمضان، وقام على نحو خاص بمقارنة أحوال الفقراء قياسا لأحوال الأثرياء، وتعرض كذلك لبعض أحوال مجتمع النساء في شهر رمضان. كما قدم وصفا لموكب الرؤية، حيث كان يركب القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وأرباب الدولة، يحيط بهم الدراويش وعامة الناس، وعدد كبير من القناديل والمشاعل لاستطلاع الهلال، وعقب ثبوت الرؤية، يتوجهون جميعاً الى القلعة لتهنئة الوالي، وتضاء أمام الحوانيت القناديل والشموع، وتوضع المباخر بأشكالها الجميلة تنتشر منها روائح زكية. (انظر: موكب الرؤية).

ووفقا لرؤيته فقد وصف «دو شابرول» ممارسات المصريين خلال شهر رمضان بالمتناقضة، فإلى جانب تطهير النفس.. هناك الانغماس في الملذات وعلل ذلك بأن المشرع أراد أن يخفف من وطأة هذه التوبة المهلكة فعمل على أن تصحبها أوقات تخصص للمسرات! واعتبر أن شهر رمضان في مجموعه هو شهر للعبادة واللهو أيضاً، مما يشير إلى قصور فى فهم طبيعة الدين وعلاقة المصريين به ومغزى سلوكياتهم الاجتماعية، فى التعامل مع الشهر الفضيل الذى يتعاملون معه على نحو مخصوص، لا يحظى به شهر آخر من شهور السنة. وعلى حد تعبير نجيب محفوظ فى خان الخليلى فهو شهر النور والسرور، والليل المنار اليقظان والليل العامر بالسمار والمنشدين واللهو البرىء.

يقول: في النهار، يسعى كل امرئ قدر طاقته كي ينهي عمله في أسرع وقت، ليخصص بضع ساعات للنوم، فترى الفلاح راقداً تحت نخلة، والتاجر يرقد على بنك دكانه، والعامة ممددين أمام واجهات بيوتهم بينما الأثرياء ينعمون بالنوم على أرائك فاخرة داخل السلاملك. وتتجمع النساء في المشربيات يرقبن الشمس وهي تتوارى وراء الأفق.. إلى أن تأتي الساعة التي طال انتظارها، حيث تتصاعد أصوات المؤذنين من

فوق منارات المساجد، يدعون الناس إلى الصلاة، فمنهم من يلبي النداء، ومنهم من يهرع إلى الطعام والشراب..ويحرص الأثرياء على تقديم مآدب الإفطار الباذخة، حيث يقدم الطعام إلى الجميع بلا تمييز.

وتظل المساجد والشوارع مضاءة بالقناديل حتى مشرق الشمس ويذهب كثير من الناس إلى المقاهي للاستماع بحماس إلى الرواة والمنشدين وهم يقصون حكايات عجيبة!.. ويذهب البعض إلى الحمامات العامة التي لا تخلو من المسرات والتسلية!.. بينما تزدحم الميادين بالحواة والمشعوذين، وفرق التمثيل (بمشاهدها الركيكة والماجنة التي لا تجتذب الا العوام)!...وتمتد مباهج ليالي رمضان إلى (الحريم) حيث يسمح للنساء باستقبال زوارهن، وباستدعاء العوالم والموسيقيات...وقد يشهد الزوج جانباً من هذه الأمسيات، وقد جلس على أريكته في استرخاء، وإلى جانبه أحب زوجاته إلى قلبه، ومبسم نرجيلته في فمه(٣٣).

أما المستشرق البريطاني الشهير «إدوارد لين» (١٧ سبتمبر ١٨٠١- ١٠ أغسطس ١٨٧٦م)، الذي أقام فترة طويلة في مصر دارسا لشعبها، فيعد كتابه «المصريون المحدثون» واحدا من أهم المراجع عن عادات المصريين وتقاليدهم، خلال أواخر الحكم العثماني. وما قدمه «إدوار وليم لين» في كتابه من مشاهدات رمضانية يعد سجلا حافلا لأحوال المصريين في رمضان في أواخر العصر العثماني، إذ تعرض لكافة مجريات الحياة الرمضانية بدءًا من رؤية الهلال واستقبال الناس للشهر، واحتفالهم بقدومه، وعاداتهم خلال هذا الشهر، وتوقف طويلا أمام المسحراتي وقدم وصفا دقيقا له. (انظر: موكب الرؤية والمسحراتى).

كذلك قدم الرحالة الأيرلندي «ريتشارد بيرتون» (١٨٢١-١٨٩٠) الذى عمل ضابطا بالجيش البريطاني في الهند، وقد قام برحلات استكشافية في شرق وغرب أفريقيا، وجزيرة العرب ووصل إلى مصر سنة ١٨٥٣م- قدم وصفا لانتظار الناس لانطلاق مدفع الإفطار وفرحتهم بالإفطار وسجل ملاحظاته بقوله: (تراعى مختلف الطبقات شعائر هذا الشهر بإخلاص شديد على الرغم من قسوتها! فلم أجد مريضًا واحدًا اضطر ليأكل حتى لمجرد الحفاظ على حياته..وحتى الآثمون الذين كانوا قبل رمضان قد اعتادوا السّكر والعربدة حتى في أوقات الصلاة قد تركوا ما كانوا فيه من

إثم، فصاموا وصلوا!...والأثر الواضح لهذا الشهر على المؤمنين هو الوقار الذي يغلف طباعهم...وعند اقتراب المغرب، تبدو القاهرة وكأنها أفاقت من غشيتها، فيطل الناس من النوافذ والمشربيات يرقبون لحظة خلاصهم!، بينما البعض منهمك في صلواته وتسبيحه، وآخرون يتحلقون في جماعات أو يتبادلون الزيارات.

وعن لحظة الإفطار بقول: أخيرًا...انطلق مدفع الإفطار من القلعة، يا للسعادة!، ويجلجل صوت المؤذن جميلاً داعياً الناس إلى الصلاة، ثم ينطلق المدفع الثاني من قصر العباسية (سراى عباس باشا الأول) وتعم الفرحة أرجاء القاهرة، التي كانت صامتة.. وينتقل إحساس الترقب المبهج إلى اللسان الجاف والمعدة الخاوية والشفاه الواهنة، فتشرب (قلة) من الماء، ثم تصفق طالبًا في عجلة الشيشة وقدحًا من القهوة، ثم تنتظر مباهج المساء!.)[٣٤].

وبينما يتخذ البعض طريقه إلى المساجد لأداء صلاة التراويح، ينخرط كثيرون في المسرات، فيجلسون متزاحمين عند مداخل المقاهي يدخنون النرجيلة ويستمعون لحكايات رواة السير الشعبية، وتظل الأسواق مفتوحة حتى ساعة متأخرة.

ويشير «بيرتون» مثلما أشار سابقه «كلوت بك» إلى أن الفقراء يتناولون طعام الإفطار بنهم تام، بينما الأثرياء يكتفون بقليل من الفاكهة أو الحلوى أو العصائر، وعقب أداء صلاة العشاء، ثم التراويح، يتناولون طعام الإفطار.. وفي الليل، ينغمس الجميع في المتع المباحة، وتزدحم الشوارع والأسواق بالناس، كما تزدحم المقاهي بروادها، ينهلون المشروبات المحلاة وأقداح القهوة ويدخنون النارجيلة، ويستمتعون بحكايات الرواة وعازفي الربابة والمنشدين.

وتحدث «بيرتون» أيضاً عن جولاته بشوارع القاهرة في ليالي رمضان، خاصة الطرق المؤدية إلى حديقة الأزبكية، وصخب الزحام الذي يكاد يغطي على صوت المؤذن في الفجر، داعياً المؤمنين: «الصلاة خير من النوم»[٣٥].

وفي يومياته عن الحياة الاجتماعية في مصر في نهاية عصر إسماعيل وبداية عصر توفيق؛ قام «ألبرت فارمان» (١٨٧٦ – ١٩٦٩)؛ قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في مصر بين عامي ١٨٧٦–١٨٨١م، – قام بتسجيل انطباعاته عن مظاهر الاحتفال بشهر

رمضـان خـلال فترة إقامته بهـا. يقول فارمان عن استطلاع الرؤية: يخرج الرجال إلى التـلال العالية خلف القلعـة، وفور أن تثبت لهم رؤية الهلال يعـودون بالبشرى، ولابد مـن إثبات ذلـك كتابة، وصدور إعلان من أصحاب المقامـات الرفيعة المجتمعين ببيت القاضي...وتنطلـق المدافـع مـن القلعـة، وتسـير المواكب الرسـمية والشـعبية المبتهجة في أرجـاء العاصمـة، معلنة بدء صيام رمضان.. وعندما توشـك السـاعات المضنية من النهـار شـديد الحرارة عـلى الانتهاء، ينتظـرون في صمت دوي مدافـع القلعة، وتجلجل أصـوات المؤذنين...والظمـأ هـو أول ما يجـب إطفاؤه بجرعـة من ماء النيـل المقدس، وتشـعل السـجاير، ويعـد البلـح والفاكهة والمشروبـات المرطبة، ثم ينهمـك الجميع في أطايـب الطعـام.. وفي رمضـان تؤجـل الأعـمال الشـاقة، والمطاعـم والمقاهـي في ذروة رواجها، وتزدان الشـوارع والبيوت والمسـاجد بالأنوار، وتمضي ثلاثون يومًا، ثم يعلن مدفع القلعة انتهاء الصيام.. وفي صباح اليوم التالي، الموافق أول شهر شوال، يبدأ (العيد الصغير) ثلاثة أيام هى موسـم للزيـارات والمقابلات والاحتفـالات، وارتداء الملابس الجديدة، وتقديم الهدايا إلى الأطفال والخدم والفقراء، وتبادل صواني (الكعك بالسكر) كتقليد مصري متوارث!.[٣٦]

أما العالم والمفكر «محمـد أسـد» فهو واحد من أهم الرحالة المسـتشرقين الذين لبوا نـداء الإسـلام، حيث رأى فيه «نظامًـا اجتماعيًا وتصورًا للحياة يختلـف اختلافًا جذريًا عـن النظـام الأوروبي»، وكان شـاهداً على حصـار الغرب للحيـاة السياسـية والثقافية الإسلامية.. في ربيع سنة ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤م.

كانـت رحلتـه الأولى إلى القاهـرة، وسـجل انطباعاتـه عـن مظاهر شـهر رمضان، فكتب: «في اليوم الثالث من وصولي، وعند غروب الشـمس، سمعت صوتًا قويًا لمدفع ينطلـق مـن القلعة، وأضاءت حلقات مـن المصابيح في الشرفات العليا لمئذنتي مسـجد القلعـة (جامـع محمد على باشـا)، سرت حركة غير عادية في شـوارع القاهـرة القديمة، إيقاع يشي باحتفالية، وصارت الضوضاء في الشـوارع أعلى صوتًا، أرى وأسمع وأشعر بإيقـاع حمـاسي مختلف في جميع الأنحاء، كان سـبب ذلك ظهور القمـر الوليد، أي بداية شـهر عربي جديد، هو شـهر رمضان الذي يتمتع بقدسـية خاصة لدى المسـلمين، ففي هـذا الشـهر يحتفون بذكرى مـر عليها ثلاثة عشر قرنًا، عندما نـزل أول وحي على محمد

ﷺ بالقرآن الكريم، وفي هذا الشهر يصوم المسلمون صيامًا كليًا عن الطعام والشراب، باستثناء المرضى، من لحظة انبلاج ضوء الفجر حتى غروب الشمس، مدة ثلاثين يومًا تقريبًا، وخلال هذه الأيام يمضي الناس في شوارع القاهرة بوميض خاص في عيونهم كما لو كانوا قد رفعوا إلى مرتبة سامية، في الثلاثين ليلة تسمع صوت المدافع التي تعلن عن موعد تناول الإفطار أو الإمساك عن الأكل عند الفجر، وتسمع الإنشاد وحلقات الذكر، بينما تتألق المساجد بالأضواء حتى الصباح»[٣٧].

***

القوما

يُعـد «القومـا» واحدًا من الفنون الشـعرية المعروفـة عند أهل العراق. نشـأ فى دولة الخلفاء من بنى العباس، برسم السحور في شهر رمضان المعظم.

يشـير ابن الأثير الكاتب (٥٥٨-٦٣٨هـ/ ١١٦٣-١٢٤٠م) في كتابه «المثل السـائر في أدب الكاتب والشـاعر» إلى أن قومًا ببغـداد من رعاع العامة كانوا يطوفون بالليل في شـهر رمضان على الحارات، وينادون بالسـحور، ويخرجون ذلـك في كلام موزون على هيئة الشـعر وإن لم يكن من بحار الشـعر المنقولة عن العرب، وسمع شيئًا منه فوجد فيه معـانٍ حسـنة مليحة ومعـانٍ غريبة، وإن لم تكـن الألفاظ التيٰ صيغت بهـا فصيحة [٣٨]. ولعله يقصد بذلك النوع من الشعر «فن القوما».

واشـتقاق الاسم جاء من قول المغنين للتسحير فى آخر كل بيت منه، بعد غناء الرمل أو الزجـل: (قومـا للسـحور) ينبهـون به رب المنـزل ويذكـرون فيه مدحـه والدعاء له وتقاضيه بالإنعام، فانطلق عليه هذا الاسم وصار علمًا له. ثم لما شاع وكثر فيه التصنيف نظموا فيه الغزل والزهرى والعتاب وسائر الأنواع كما قبله من الفنون الأخرى.

وقيل: إن أول من اخترع فن القوما هو الشـاعر «ابن نقطة» برسم الخليفة المملوكي الناصر محمد، والصحيح أنه مخترع من قبله، وكان الناصر يطرب له، وجعل لابن نقطة عليـه فى كل سـنة مـا يفضـل عنه من الإنعـام، فلما توفى ابـن نقطة، وكان لـه ولد صغير ماهـر في نظم القوما والغنـاء به، وأراد الابن أن يعلم الخليفة بمـوت والده ليجريه على مفروضـه، فتعـذر ذلـك عليه، فصبر إلى دخول شـهر رمضان، ثم أخذ أتبـاع والده من المسـحرين ووقف في أول ليلة من الشـهر تحـت الطيارة[٣٩] وغني النوبـة بصوت رقيق فأصغي الخليفة إليه وطرب له، فلما وصل إلى القوما، كان أول ما قاله:

يا سيد السادات   لك بالكرم عادات

أنا بنى ابن نقطة   تعيش أبى قد مات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار، واستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه. (انظر: المسحراتى)

ولا ينبغى أن تنظم القوما إلا بلفظ عامى رقيق، وله وزنان: الأول منها بيته مركب من أربعة أقفال، منها ثلاثة متساوية فى الوزن والقافية، والآخر - وهو الثالث- أطول منها، وهو مهمل بغير قافية.

والوزن الثانى منها بيته مركب من ثلاثة أقفال مختلفة الوزن متفقة القافية، يكون القفل الأول منه أقصر من الثانى، والثانى أقصر من الثالث.

والبيت الوارد أعلاه من الوزن الأول الذى بيته بأربعة أقفال وثلاث قواف[٤٠].

المسحراتي

على مدار التاريخ الإسلامي؛ تعددت طرق وأساليب إيقاظ النائمين لتناول وجبة السحور، ففي عهد الرسول ﷺ؛ كان الناس يعرفون وقت السحور بأذان بلال، ويعرفون المنع (الإمساك) بأذان ابن أم مكتوم، فقد قال الرسول ﷺ: «إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم».

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية بدأ المسلمون يتفننون في أساليب التسحير، وظهرت وظيفة المسحراتي في الدولة الإسلامية. فقد أشار الرحالة العربي ابن جبير فى معرض حديثه عن زيارته لمكة المكرمة في شهر رمضان للعام ٥٧٨ هجرية،- أشار أن التسحير كان يتم من خلال المئذنة التي في الركن الشرقي للمسجد الحرام وذلك بسبب قربها من دار شريف مكة، فيقوم المؤذن الزمزمي بأعلاها وقت السحور داعياً ومذكراً على السحور ومعه أَخَوانِ صغيران يجاوبانه».

فكان الزمزمى يقول:

نياما قوما

قوما للسحور

فيردد الطفلان ما قاله الزمزمي، ثم ينشد قائلا:

أيها النوّام قوموا للفلاح.

ويضيف ابن جبير قائلا: نظرا لترامي الدور بعيداً عن الحرم المكي حيث يصعب وصول صوت المؤذن كانت تنصب في أعلى المئذنة خشبة طويلة في رأسها عمود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان يوقدان

مدة التسحير، فإذا قرب تبين خطا الفجر ووقع الإيذان بالقطع مرة بعد مرة، حط المؤذن المذكور القنديلين من أعلى الخشبة ويبدأ بالأذان وثوب المؤذنون من كل ناحية بالأذان، وعندما يرى أهل مكة من سطوح ديارهم المرتفعة أنّ القنديلين قد أُطْفِئَا علموا أنّ الوقت قد انقطع»[٤١].

أما أول من صاح بالتسحير في مصر فيقال إنه الوالي (عنبسة بن إسحاق) وكان ذلك في سنة (٢٣ هجرية/ ٨٥٢ ميلادية)، فقد لاحظ أن الناس لا ينتبهون إلى وقت السحور ولا يوجد من يقوم بهذه المهمة آنذاك، فتطوع هو بنفسه لهذه المهمة، فكان يطوف شوارع القاهرة ليلا لإيقاظ أهلها وقت السحر، ويؤثر عنه أنه كان يذهب على قدميه من مدينة العسكر في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص، وكان ينادي بنفسه على الناس بالسحور، قائلا: «عباد الله تسحروا فإن في السحور بركة».

وفي العصر الفاطمي أمر الخليفة الحاكم بأمر الله الناس أن يناموا مبكرين بعد صلاة التراويح، وكان الجنود يمرون على المنازل ويدقون أبوابها ليوقظوا الشعب للسحور، وبعد ذلك عين أولو الأمر رجلا مخصوصا للقيام بمهمة المسحراتي، كانت مهمته المناداة: «يا أهل الله قوموا تسحروا»، وكان يدق أبواب المنازل بعصًا يحملها، تحولت مع مرور الأيام لطبلة يدق عليها دقات منتظمة بدلا من استخدام العصا، هذه الطبلة كانت تسمي «بازة» وهي صغيرة الحجم ، يدق عليها المسحراتي دقات منتظمة، ثم تطورت مظاهر المهنة فاستعان المسحراتي بالطبلة الكبيرة التي يدق عليها أثناء تجوله بالأحياء وهو يشدو بأشعار شعبية وزجل خاص بهذه المناسبة.

وفي العصر المملوكي ابتدع الناس بدعة جديدة يعلنون بها عن بدء موعدي الإفطار والإمساك، حيث كانوا يضيئون الفوانيس عند بدء الإفطار ويتركونها مضاءة وعندما يحين الإمساك يطفئونها، وقد اعترض البعض على هذا خوفا من النسيان – نسيان الإضاءة أو الإطفاء، مع ذلك استمر استخدام الفوانيس بالإضافة إلى الأذان طبعًا[٤٢].

ومما يجدر ذكره أن مهنة المسحراتي كادت أن تختفي في العصر المملوكي، تمامًا لولا أن الظاهر بيبرس أعادها وعين أناسا مخصوصين من العامة وصغار علماء الدين للقيام

بهـا، ليتحـول عمل المسـحراتي إلى موكب محبـب، خاصة للأطفال الذيـن تجذبهم أغاني المسـحراتي ويسـعدون بصوته وطريقة أدائه على الطبلة، وغالبًا مـا كان هؤلاء الأطفال يحملون الهبات والعطايا التي كان يرسلها الأهل إلى من يقوم بعملية التسحير[٤٣].

وكان المسحراتى فى ذلك العهد يصحب معه زامرًا أو طبالا ويقتصر دوره فقط على الغنـاء والنداء بالسـحور، وقليلا منهم من كان يقوم بالعـزف والغناء معًا، وكان لكل منطقة سكنية المسحراتى الخاص بها كما هو الحال الآن[٤٤].

وقد لفتت شـخصية المسحراتي أنظار بعض الرحالة والمستشرفين الذين زاروا مصر عـلى مر العصور، فالرحالة المغربي «ابن الحـاج» الذي جاء إلى مصر في العصر المملوكي في عهد الناصر محمد بن قلاوون، قال عن المسحراتي مبديا دهشته واستغرابه مما شاهد: إنه تقليد خارج عن الشرع لم يعرفه في بلاده. وذكر أن المسحراتي ينادي ويغني في شوارع القاهرة، أما في الإسـكندرية فيطوف ويدق على البيوت بعصاه دقات منظمة وهو يردد الأدعية أو التغني بمعجزات الرسول ﷺ وغزواته.

ويصف المسـتشرق الإنجليزي «إدوار لين» المسـحراتي في العـصر العثماني بقوله: في كل ليلة من ليالي رمضان يجول المسحرون ليقولوا أولا كلمة ثناء أمام كل منزل يستطيع صاحبه أن يكافئهم. وفي ساعة متأخرة يجولون ليعلنوا وقت السحور. ولكل «خط» أو قسـم صغير في القاهرة مسـحر. ويبدأ المسـحر جولاته بعد الغروب بساعتين تقريبا أي بعد صلاة العشـاء ممسكا بشـماله طبلا صغيرا يسـمي بازا أو طبلة المسحر وبيمينه عصا ويقف أمام منزل كل مسلم غير فقير. وفي كل مرة يضرب طبلته ثلاث مرات، ثم ينشد قائلا «محمد الهادي رسول الله»، ثم يعود إلى ضرب طبلته ويواصل كلامه: بـ«أسعد الله لياليك يافلان (مسـميا صاحب المنزل) ثـم الأولاد دون البنات ويضرب طبلة بعد كل تحية وهو ينشـد أمـام منازل العظماء وغيرهم بعد أن يقول: «عـز من يقول لا إله إلا الله محمد الهادي رسـول الله» ثم ينشـد أغنية طويلة بسـجع غير موزون، يبدأ فيها باستغفار الله ويصلي على الرسـول ثم يأخذ في رواية قصة المعراج وغيرها من قصص المعجزات. وفي بعـض الليـالي كان الأهـالى يطلبون منـه قصصا قصيرة فيروي لهـن قصة قصيرة في سـجع غير موزون مثل قصة «الضرتين» وهي قصة مشاجرة تصور الصراع بين امرأتين متزوجتين من رجل واحد.

ويضيف «لين» قائلا: إن المسحراتي غالبًا ما كان يعرف أسماء جميع الموجودين في المنزل من الرجال ويردد الدعاء لهم واحدا واحدا ولم يكن يذكر اسم النساء إلا إذا كان بالمنزل فتاة صغيرة لم تتزوج، فيقول: أسعد الله لياليك يا ست العرايس. وكان من عادة النسوة في ذلك الوقت أن يضعن قطعة معدنية من النقود ملفوفة داخل ورقة ثم يشعلن أحد أطرافها ويلقين بها إلى المسحراتي الذي يستدل على مكان وجودها ثم يرتفع صوته بالدعاء لأهل المنزل جميعًا ثم يقرأ الفاتحة. وكان المسحراتي يلزم الصمت عندما يمر ببيت في حالة حزن لوفاة عزيز[٤٥].

كما يشير «لين» أنه كان يقام في هذه الشهر أذانان قبيل الفجر يلقي أولهما ويسمي «الأبرار» قبل منتصف الليل ويتكون من الآيات الكريمة ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (سورة الإنسان، الآية ٥: ٩)، ويسمي الأذان الثاني «السلام» وهو مجموعة من الصلوات على الرسول ﷺ تشبه تلك التي تؤدى قبل صلاة الجمعة، ويلقي على العموم بعد منتصف الليل بنصف ساعة ويلقي أذان الصباح أكثر تكبيرًا من المعتاد لتنبيه المسلمين إلى تناول السحور. ويتجول المسحر قبل الإمساك بساعة ونصف ليوقظ من الناس من أمروه بالمناداة عليهم فيقرع الباب وينادي إلى أن يجاب ويفعل مثله بواب الحارة، وكان المسحر فى نهاية رمضان يتناول من منزل المتوسطي الطبقة حوالى قرشين أو ثلاثة قروش أو أربعة في العيد الصغير (مع الهدايا من الكعك).

وقد شهد فن التسحير قيام بعض النساء بالتسحير، ففي العصر الطولوني كان هناك بعض النساء يقمن بإنشاد أناشيد التسحير من وراء النافذة، شريطة أن تكون المنشدة من صاحبات الصوت الجميل وتكون معروفة لدى جميع سكان الحي الذي تقطن فيه، كما أن كل امرأة مستيقظة كانت تنادي على جاراتها[٤٦]. ومن المفارقات اللطيفة أنه كانت توجد مسحرة حسناء غازلها الشيخ «زين الدين الوردي»، بقوله:

عجبت في رمضان من مسحرة ... بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت

قامت تسحرنا ليلا فقلت لها ... كيف السحور وتلك الشمس قد طلعت؟

***

أما الشـخص الذى كان يتولى التسـحير فى الريف المصرى فهو «عمدة القرية» الذي كان يقـوم بنفسـه إيقاظ أهل قريته للسـحور، أو يتولى تقسـيم شـوارع القرية على عدد مـن المسـحراتية ويبدأ كل منهـم العمل ابتداء مـن ليلة رؤية هلال رمضـان وحتي ليلة عيـد الفطـر وهـي الليلة التي يبدأ فيها المسـحراتي الـتردد على جميع المنـازل ليس بهدف التسـحير ولكـن للحصول على أجره الـذي غالبا ما يكون بعض المـال أو كعك ولحوم العيـد[٤٧]، إذ إنه ليس للمسـحراتي أجر معلـوم أو ثابت، غير أنه يأخذ ما يجود به الناس في صبـاح يـوم العيد، وعادة ما كان الأجر يؤخـذ بالحبوب، فيأخذ قدحًا أو نصف كيلة مـن الحبوب سـواء ذرة أو قمح، ولم يكن أجـرا بالمعنى المفهوم، ولكنه هبة، كل يجود بها حسب قدرته[٤٨].

وقد أغرى الانتشـار الواسع لما ينشده المسحرون بعض الشعراء والزجالين بالكتابة لأولئك المسحرين، فقد كتب الشيخ محمد النجار شيخ الزجالين في أواخر القرن الماضي عدة أدوار للمسحراتي لا تخلو من الفكاهة، منها قوله:

يا غفـــــلان وحـــد ربـك   وبالتـــقى عـمـر قلبـك
ما يــوم تقـــلق على رزقـك   دا ربنـــا عـــالم بالحـــال
يا رب قدرنـا على الصـــوم   واحفـــظ إيـمـاننا بين القوم
وارزقنا يا رب باللحم المفروم   أحسن يا رب ما ليش أسـنان

وقوله:

أنا المسحر جيت أطبل لكم   حافظ أساميـــكم صغير مع كبير
وفي كل ليلة لي على كل بيت   اللي من الذمـــة خـــرج للفقير
ولي عدية عندكم كل عيــد   الكعك وكفوف الشريك والفطير
آجي أصحيكم وأنتم نيــام   وقت السـحر عن كل خير غافلين

أحياكم المولى

وفى موضع آخر يقول:

أنا المسـحر جيت معـي طبلتي واحكي حكاية الفار وأقول قصته
أحكي حكاية الفار وأقول ما جرى بينـه وبين القـط يـوم وقعته
الفار جعل بيت الفقير مسـكنه وكل يوم يسـطي على مشـنته
وحرمه رغيف يخبزه ابن الحـرام وأكل الحرام خلاه ملظلظ سمين

ويظل يقص حكاية القط مع الفأر إلى أن يقع الفأر بين مخالب القط، ثم يختتم بقوله:

آدي جـزاء من غـرته شـهوته حتى هوت به في مهاوي الهوان
وادي جـزاء من راح بنفسـه إلى موته وخد له من عدوه الأمان
وادي جـزاء من كان يصدق جميع ما يسمعه ويميل لمدح اللسان
واختم حكايتي بالصلاة والسلام على ابن رامـة خـاتم المرسلين

وقوله:

ثبت هلال رمضان وقالوا صيام لرؤيتـه والشـك زال باليقين
أحيـاكم المولى إلى كل عام وكل عـام وأنتم بخـير طيبين[٤٩].

***

وفى العـصر الحالى، ورغم انتشـار آلات التنبيه وتعود الناس على السـهر حتى وقت السـحور فإنه مهنة المسـحراتى مازالت موجودة فى البلدان المصرية، وإن كان وجودها بدافـع إحيـاء التراث والحفاظ عـلى التقاليد المصرية فى الغالب مـن البلدان إلا أنه هناك أماكـن ما زالت تعتمد كلية على المسـحراتي لإيقـاظ أهلها لتناول طعام السـحور حتى الآن، عـلى نحـو ما نجد في واحة سـيوة بمحافظـة مطروح، وفى واحـة باريس بالوادى الجديد، حيث يدور المسـحر عـلى بيوت البلدة ومن ورائه الأطفـال مهللين، بينما يدق بعصاته على الطبلة، وهو يردد:

يا نايم قوم وحِّد الدايم

يا نايم قوم وحد الله

أنا با مدح اللى خطاع الرمل لم علم

بالهداية النبى لم له خطيب علم

واجب على امدحه من قبل ما اتكلم

كلام أقول لكم عليه

رب العباد ع المصطفى صلى نقول

لا إلاه إلا هو يا نايم قوم وحد الدايم

وأثناء أدائه لهذا الغناء ينادى المسحر على التاس بأسمائهم داعيًا إياهم للاستيقاظ ويستمر فى جولته هذه إلى أن يلف القرية بيتًا بيتًا(٥٠).

وإذا كان هذا هو الحال فى واحة باريس فإن واحة القصر بنفس المحافظة؛ لم تعرف المسحر إلا مؤخرا، فقد كانت عملية التسحير تتم بأن يصعد أحد المشايخ على مئذنة الجامع وينشد أناشيد معينة فيعرف الناس أن هذا هو موعد الإمساك، وكان الشيخ يحدد موعد السحور بالنظر إلى النجوم، والآن يتم التسحير بالضرب على طبلة، حيث يلف المسحر القرية داعيًا الناس إلى السحور ويتجمع الأطفال حول المسحراتى، ثم سينصرفون ويأتى غيرهم وينصرفون أيضًا وهكذا(٥١). (انظر: السحور)

وقد أغرت شخصية المسحراتى وخلفيته الاجتماعية العديد من الساردين فصوروها فى أعمالهم واستجلوا جوانبها، ففى قصة «الأعمى» من مجموعة «رجل» لمحمود البدوى؛ نجد أرملة فى الخمسين من عمرها، ضعيفة الجسم، تقيم ببيتها معظم العام حتى إذا أهل رمضان تخرج فى الهزيع الأول من كل ليلة حاملة على ذراعها صفيحة قديمة تطوف بها على منازل القرويين مرددة أغنية قديمة قل من يعرفها من أهالى القرية، لتنبههم إلى وقت السحور، وما إن يسمع سكان القرية صوتها حتى يهبون من نومهم ويبسطون موائد السحور، حتى وإن كان الليل لم ينتصف بعد.

وفى روايـة «شـباب امـرأة» يحدثنا الروائى «أمين يوسـف غراب» عن الشـيخ نوفل الضرير، مســحر القرية، الذى كان يصحب معه صبيا يحمل فانوسًـا، ويعلق الطبلة على صـدره، ويمسـك عصاه بيمينه التى يقـرع بها الطبلة، ويضع مخلاة عـلى كتفه يضع فيها الصدقـات، وكان هذا الشـيخ يقـف عند كل باب ويثنى على صاحبـه من أجل العطاء، وكان كل مـن القريـة عنـد عم نوفل أصيل الجـدود، وكانت لعم نوفل قـدرة عجيبة فى معرفـة البيوت وأسـماء سـكانها، وهو يـدق الطبلة فتنفتـح الأبواب، وتمتـد الأيدى إلى الجـوال بـكل هذه الخيرات، ثـم إن عم نوفل كان يتصدق على القـراء بما جلبه من أهالى القرية[٥٢].

وحوي يا وحوى

من الأغانى الشعبية الشهيرة التى يرددها الأطفال وهم يدورون بفوانيسهم في الشوارع والطرقات خلال ليالي شهر رمضان، أغنية «وحوى يا وحوى»، ولهذه الأغنية العديد من الصياغات، وفقا لمفردات كل منطقة جغرافية وسياقها الاجتماعي.

وبينما يرد بعض المؤرخين نشأة هذه الأغنية إلى عهد الفاطميين، يرجعها الآخرون إلى عهد قدماء المصريين، فقد لفتت كلمتا «وحوى» و «إياحا» انتباه الكثير من الدارسين فراحوا يستجلون معناها، من هؤلاء الأديب «محمد فهمي عبد اللطيف» الذى قام بتحقيق أصل الأغنية، وتوصل إلى أن كلمة (وحوي) أقدم تاريخيًا من شهر رمضان وعاداته، وأنها من الأغاني التي كان يرددها قدماء المصريين على ضفاف النيل منذ آلاف السنين، فهى تحمل معنى من تاريخنا ودلالة من دلالة أساطيرنا. وأوضح أن (أيوحه) مأخوذة من (أيوح) اسم القمر في الفرعونية، وكان (الساميون) يسمون الشمس (أيوح). كما كانوا يسمون القمر (أجع) ولكن المصريين نقلوا عنهم اسم القمر للشمس واسم الشمس للقمر، فكانوا يغنون هذه الأغنية تحية للقمر إذا أهل في مطلع كل شهر[٥٣].

وترجع مصادر أخرى أصل الكلمة إلى السيدة «إياح حتب» والدة البطل «أحمس» التى كان لها دور كبير فى شحذ همة ابنها لمحاربة الهكسوس ومطاردتهم، وبعد أن نجحت مهمة ابنها وعادا منتصرين، قدر الشعب دورها البطولى وخرج الناس لاستقبالها مرددين: واح واح إياح، أى: تعيش تعيش يا قمر[٥٤]، وقد صارت الجملة تشير فيما بعد إلى تحية الهلال عند ظهوره، الذى صار مرتبطاً بشهر رمضان بشكل خاص.

ومما يجدر ذكره أن هناك أحد ملوك الأسرة ٢٦، يدعى (واح إيب رع) ومعنى الاسم (عاش قلب رع)[٥٥].

ومن ثم قد نخلص إلى أن جملة وحوى ياوحوى.. إياحا) وفق هذه المقدمات تعنى: تعيش.. تعيش ياقمر.

وهنـاك مـن يرد كلمـة وحـوي إلى جذرهـا في اللغة العربيـة وهو (أحـوي) بمعنى (امتلك) ليصبح المعنى المقصود من الأغنية هو الرغبة في امتلاك بنت السـلطان الجميلة بالـزواج بهـا، ففي الحكايـات الشـعبية المصرية يكافـأ الأولاد المطيعون بالـزواج ببنت السلطان، وهي إحدي التيمات المتكررة في الحكايات الشعبية المصرية.

الهوامش

(١) البازه: هى الطبلة التي يستخدمها المسحر، وهي مصنوعة من النحاس، أما الجلد المشدود عليها فهو من جلد الحيوان.

(٢) هذه الأغنية تقال في واحة باريس بالوادي الجديد، إذ يدور الناس في الشوارع مطبلين وبرفقتهم الأولاد وهم يرددونها. (انظر «شوقي عبد القوي حبيب: الاحتفالات الدينية في الواحات).

(٣) تؤدي هذه الأغنيات عادة بمصاحبة الفوانيس.

(٤) الموسوعة المصرية لأغنيات الأطفال، (١) الشعر الشعبي، إعداد وتصنيف: مسعود شومان، المركز القومي لثقافة الطفل ٢٠٠٨م.

(٥) المرجع السابق.

(٦) نفسه.

(٧) إبراهيم عبد الحافظ: الأمثال الشعبية المرتبطة ببعض الحرف التقليدية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ١٨، الإمارات.

وهناك أغنية قدمها إسماعيل ياسين وشادية فى فيلم قليل البخت، من إنتاج ١٩٥٢، تأليف: إبراهيم رجب، وألحان: عزت الجاهلي، استلهم نصها هذا المعنى، تقول كلماتها:

ليه يا بختي ألاقيك قوام لبخت　　خلتني يا بختي قليل البخت

قليل البخت .. قليل البخت

كنت با غنى ولسه حا　　أغني ف أول ليله لفرح العيله

قامت عركه وحدفوا الدكه　　وجت في نافوخي أنا بالذات

رحت يا عيني ف قصر العيني　　ف أوده عشان العمليات

لخبطوا بقى يا داهية دقي　　وصوتي صبح في المغنى صوات

قلت اتحين وابقى مزين هادي	يا هـــــادي يا صــباح نــادي
لسه أنا بافتح لاجل اسـتفتح	جـــاني زبون أقـــرع غلبـــان
قلت اشـطر وابقى مســـحر	قالوا خلاص ما هو فات رمضان
جيت أتعشى وجبت الكرشه	لقيت فيها عضم أشكال وألوان

يا قلة بختي يا ناس أنا دخت

خليني يا بختي قليل البخت

قليل البخت .. قليل البخت

(٨) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة، السنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤.

(٩) انظر: مصطفي عبد الرحمن، رمضانيات، مرجع سابق.

(١٠) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، مرجع سابق. و: شوقى عبد القوى حبيب: الاحتفالات الدينية فى الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠٠، ص٨٢.

(١١) أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مجلة العربى، العدد ٥٤٠ - ٢٠٠٣/ ١١، الكويت.

(١٢) فاروق شوشة: ترنيمة رمضانية.. ناسك الزمن للشاعر محمود حسن إسماعيل، مجلة العربى، العدد ٥٥١ - ٢٠٠٤/ ١٠، الكويت

(١٣) السامرائى: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية.

(١٤) عاش في الحقبة الأخيرة من دولة الموحدين في المغرب، على زمن الخليفة المرتضى (١٢٤٨- ١٢٦٦ هـ)

(١٥) أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مرجع سابق.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) السامرائى: رمضان فى الحضارة.

(١٨) هو الشاعر أبو الحسن على بن عباس بن جريج، الشهير بابن الرومي. كان حاد المزاج متطيرًا نظراً لما عاناه في حياته من كثرة الآلام والكوارث التي تعرض لها بفقدان أولاده وزوجه، وكان واسع الثقافة وأشعر أهل زمانه بعد البحتري.

(١٩) السامرائى: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية.

(٢٠) المرجع السابق.

(٢١) أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مرجع سابق.

(٢٢) راجع: أنا نجيب محفوظ، «سيرة ذاتية»، تقديم: إبراهيم عبد العزيز، المجلس القومي للشباب، يناير ٢٠٠٦ م.

(٢٣) محمد رجب البيومي، شاعر الربابة في رمضان، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٢م.

(٢٤) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، مرجع سابق.

(٢٥) د. محمد خير البقاعي: رمضان في كتب الرحالين الأجانب، المجلة العربية ـ العدد ٤١٦

(٢٦) المرجع السابق.

(٢٧) نفسه.

(٢٨) ولد سنة «١٦١١م»، وزار مصر سنة ١٦٧٠م قضى فيها ثماني سنوات ويعتبر هذا الكتاب رؤية متفردة لما كانت عليه مصر في ذلك العصر.

(٢٩) د. محمد خير البقاعي: رمضان فى كتب الرحالين الأجانب، مرجع سابق.

(٣٠) رمضان...في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن- الكويت، ملف الأسبوع ١٧-٧-٢٠١٢

(٣١) د. محمد خير البقاعي: المرجع السابق.

(٣٢) د. محمد خير البقاعي: رمضان فى كتب الرحالين الأجانب، المجلة العربية ـ العدد ٤١٦

(٣٣) رمضان...في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن- مرجع سابق.

(٣٤) المرجع السابق.

(٣٥) انظر: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج ١، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، سلسلة الألف كتاب الثانى، ع ١٦١، هيئة الكتاب، مصر.

(٣٦) رمضان...في كتابات الرحالة الأجانب، مرجع سابق.

(٣٧) عرفه عبده علي: رمضان في دفتر الذكريات الأوروبية.. صور ومعانٍ باهرة ومؤثرة، مجلة الرافد.

(٣٨) شوقي عبد القوي حبيب: مرجع سابق.

(٣٩) لعله يريد ما يسمى من الغرف العالية بالعلية، وهى تطل على بستان أو طريق عام ولاتكون فى وسط الدار .(د. حسين نصار)

(٤٠) صفى الدين الحلى، العاطل الحالى والمرخص الغالى، تحقيق: د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.

(٤١) محمد رجب السامرائي: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية ٢٠٠٢م. و: حسن عبد الوهاب، رمضان، المكتبة الثقافية، ع٨، دار القلم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، صفحة رقم (١٠).

(٤٢) جريدة الجزيرة السعودية، ملحق العدد مجلة الجزيرة ع رقم ٥٧/ ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ.

(٤٣) المرجع السابق.

(٤٤) د. ياسمين فراج: شعبيات الموسيقى الرمضانية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٤٠، سبتمبر ٢٠١٠.

(٤٥) د. محمد خير البقاعي: رمضان فى كتب الرحالين الأجانب، مرجع سابق.

(٤٦) جريدة الجزيرة السعودية، ملحق العدد مجلة الجزيرة ع رقم ٥٧/ ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ.

(٤٧) الموقع الإلكتروني لمكتبة الإسكندرية.

(٤٨) المرجع السابق.

(٤٩) انظر: حسن عبد الوهاب في كتابه «رمضان»، ود. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٠٣- ١٠٤، و د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ١٨- ١٩.

(٥٠) شوقى عبد القوى حبيب: الاحتفالات الدينية فى الواحات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠٠، ص٨٠.

(٥١) المرجع السابق، ص٨٣.

(٥٢) أحمد حسين الطماوى، صور رمضانية فى القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩. أغسطس ٢٠١٠.

(٥٣) مصطفي عبد الرحمن: رمضانيات، مرجع سابق.

(٥٤) الراهب القمص بيجول الأنبا بيشوى: كلمات العامية المصرية ذات الأصل القبطى، الناشر : كنيسة مار مرقس بالكويت. طبعة تحضيرية - مايو ٢٠١٠ م.

(٥٥) انظر: د. عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة.

عادات ومعتقدات

- عادات البادية المصرية فى شهر رمضان
- التقسيم الشعبى لأيام رمضان
- حبس العفاريت

عادات البادية المصرية في شهر رمضان

رغم التغير الهائل الذى جرى على الحياة المصرية فى مختلف ربوعها، واندماج معظم البـوادى فى المجتمـع المصرى، سـواء بنزوح أبناء الـوادي إلى البادية، هربًـا من ازدحام المـدن، وبحثًا عن حياة أقـل نفقة، أو بازدياد ارتباط أبناء البادية بالمدن المصرية الكبرى، ممـا أدى إلى اختلاط العـادات والتقاليد واندماجها ببعضها البعـض، إلا أن بعض أبناء البـوادى المصريـة ما زالوا متمسـكين بالعديد مـن تقاليدهم المتوارثـة، التى تميزهم عن غيرهم من سـكان البقاع المصريـة، ، خصوصًا كلما ابتعدنا عـن العواصم، ويتجلى هذا على نحو خاص فى شهر رمضان الكريم.

ففى سيناء يحرص الأهالى بعد صلاة التراويح إقامة السهرات الرمضانية بالدواوين ومجالس العائلات، يتسامرون ويتناولون الشاي والقهوة إلى جانب الحلوى الرمضانية، ويسـتمر السهر ومناقشـة بعض الأمور الحياتية اليومية علاوة على الدينية حتى ساعات متأخـرة من الليل، وقبل موعد السـحور يتجه كل منهـم الى منزلـه لإيقاظ أهله وتناول طعام السحور معهم، ثم يخرج إلى المسجد لصلاة الفجر[1].

ويخـرج أبنـاء واحـة الفرافـرة إلى الصحـراء البيضاء وسـط الطبيعة الخلابـة لقضاء أمسـياتهم الرمضانيـة، ويجتمـع عمـداء العائـلات على الأطعمـة الشـهية والمشروبات السـاخنة التي تعدها النسـاء لهم، وتسـتمر السـهرات طوال الليل، بينـما ينامون معظم فترات النهار لارتفاع درجة الحرارة[2].

القضاء والمعاملات

لا يعقد بدو سـيناء جلسـات القضاء العرفى فى رمضان احترامًا لهذا الشـهر المقدس، ويتـم تأجيل أى جلسة للقضاء العرفى إلى ما بعد عيد الفطر المبارك، وإذا ما حدث خلاف

بـين قبيلتـين أو عائلتين من قبيلـة واحدة أو أفراد يتم تحديد هدنة فيـما بينهم لحين انتهاء شهـر رمضـان. كما أن مجالس البشـعة (أي لحس النار) تتوقف أيضـا فى شهر رمضان، ويتوقف عمل المبشـع طوال الشـهر الكريم احترامًا وتقديرًا لهذا الشـهر العظيم، كما أن حفلات الزواج تتوقف نهائيًا عند البدو في شهر رمضان، كما يتم تأجيل الخطوبة أو عقد القـران إلى ما بعد انتهاء الأيام الستة البيض من شهر شـوال[٣]. إضافة إلى أن «البدوة» تتوقف فى نهار رمضان ولا تتم إلا ليلا. و(البدوة) هى إحدى وسائل إيقاف النزاع بين المتخاصمـين، وأشبه ما تكـون بإعلان صحيفة الدعوى فى القضـاء المدنى، حيث يقوم المتضرر (ويسـمى البادى أو المطالب) بإرسال عدد لا يقل عن ثلاثة أشخاص ولا يزيد على خمسـة، إلى خصمه (ويسـمى المطلوب) طالبًا منه التوجه إلى القضاء العرفى. ويتعين أن تكون البدوة فى وقت النهار[٤]، إلا فى شهر رمضان فإنه يقام بها ليلا.

و (البـدوة) تضفـي على أهل المعتدى عليه صورة إيجابيـة، إذ تدل على حرصهم على عـدم تفاقـم القضية، وعـلى احترامهم لأهل المعتـدى، بإعطائهم الفرصـة التذكيرية في معالجـة الموقف وفق الأصول. وتسـمى المجموعة المكلفـة بالبـدوة: بـدّايـة، والواحد منهم: بـدّاي[٥].

والعـادة أن تكون البدوة بين أبناء القبيلة الواحدة أو بين القبائل المتحالفة (فى منطقة شمال سيناء)[٦].

التقسيم الشعبى لأيام رمضان

في الجيل السالف، كانت كبيرات البيوت تـرددن عن أيام رمضان: أنها عشرات: عشرة مرق وعشرة حلق وعشرة خلق!.. يعنين بذلك أن الأيام العشرة الأولى من رمضان ينصب فيها الاهتمام على ما يتصل بالطهي وإعداد الطعام، والأيام العشرة الثانية ينتقل الاهتمام إلى اللقاءات والتجمع في شكل حلقات، أما العشرة الأخيرة فيقع فيها التركيز على تجهيز ملابس جديدة للعيد. وواضح أن قولهن المتواتر هذا إن هو إلا صدي لخبرات مشاغلهن النسوية أكثر مما يعكس الخبرات العامة لأبناء المجتمعات الشعبية(٧).

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

حبس العفاريت

يترسب في يقين الجماعة الشعبية أنه إذا حل رمضان قيد العفاريت والجن في قماقم من النحاس، فلا يظهر الجن طوال هذا الشهر، ويستطيع الناس أن يعيشوا في سلام وطمأنينة بل يستطيعون أن يرتادوا مسارح الجن في الأماكن المهجورة دون خوف، أو وجل لأن الجن سجنها رمضان. ومن هنا يأخذ القرويون في السهر خارج بيوتهم، وربما يقومون بزيارات للقرى المجاورة ليلاً، في الظلام الدامس في شهر رمضان، دون غيره من شهور السنة، والأطفال في القرى يرددون هذا الرأي في أناشيد جماعية، وهم يلهون فرحين بشهر رمضان فيقولون:

يا رمضان يا عود كبريت   يا مقيد العفاريت

حتى إذا جاء آخر يوم في رمضان أخذ المصريون عدتهم لاستقبال عيد الفطر المبارك، ولكنهم في الوقت نفسه يعملون ألف حساب لما توارثوه من الرأي القائل، بالإفراج عن العفاريت عقب صلاة المغرب مباشرة، حتى تبلغ السذاجة ببعض أفراد الشعب إلى الخوف من أن عفريتاً من العفاريت التي تخرج منطلقة من القماقم النحاسية قد تضل الطريق فتدخل الدور والمنازل وتستقر فيها، فكان لا بد أن يقوم الشعب بعمل ما لدرء خطر اقتحام الجن والعفاريت منازلهم، لذلك يرشون الملح في كل ركن من المنزل وخاصة في أركان الحجرات ويضربون آنية نحاسية بها قليل من الملح حتى إذا اقترب العفريت من المنزل، وسمع هذه الأصوات النحاسية توهم أنها القماقم التي سجن فيها فيهرب عن هذا المنزل خوفاً من أن يسجن مرة أخرى.

ويغني الأطفال في ذلك الوقت:

يا رمضان يا صحن نحاس

يا داير في بلاد الناس

سقت عليك أبو العباس

تبات عندنا الليلة

والمقصود هنا هو الخليفة العباسي وهو أثر من آثار تفضيل العباسيين على الفاطميين في العصر الأيوبي. وربما كان المقصود أيضاً هو ولي الله المرسي أبو العباس بالإسكندرية. ويغنون أيضاً:

يا بركة رمضان حطي في كل مكان[8].

وما زال هذا الاعتقاد ساريًا فى العديد من القرى المصرية، حيث يقوم البعض بطقوس من شأنها استبقاء تلك الكائنات الشريرة مصفدة: فمثلا في محافظة كفر الشيخ «بيلا» تعد السيدات كريات من العجين وتجففها في الشمس قليلا ، ثم يوزعنها بأرجاء المنزل، وتُبقي حجرات المنزل مضاءة طول الليلة الأخيرة من ليالي شهر رمضان[9].

ومن المعتقدات المرتبطة ـ كذلك ـ برحيل شهر رمضان ما يقوم به الأطفال في قرية (بهبيت الحجارة) بمحافظة الغربية؛ حيث يقوم أطفال كل أسرة برّص قوالب من الطوب على أسطح منازلهم ، ويحمل كل قالب اسم واحد من أفراد الأسرة ، ويراقبون ما فعلوه في اليوم الأول من أيام عيد الفطر، فإذا ما سقط أحد القوالب يكون معناه لديهم أن صاحب القالب سيتوفاه الله خلال هذا العام ويتحسبون لذلك[10]!

الهوامش

(١) على المصري وسـوزان حسين وماهر إسماعيل: «رمضان» البادية المصرية، جريدة المصرى اليوم، ١/ ٩/ ٢٠٠٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحمد سليم : عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائى، بتصرف يسير.

(٤) موسوعة التراث العربى الفلكلورى،المجلد الثانى، ص ٨٢.

(٥) انظر: حمد أحمد سلامـة أبو كلوب سليمان، موقع العدالة الراديكالية، مرجع إلكترونى.

(٦) موسوعة التراث العربى الفلكلورى،المجلد الثانى، ص ٨٢.

(٧) عبد الحميد حواس: وداعا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة ، السنة الخامسة ، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤ .

(٨) د. فاطمـة حسين المصري، الشـخصية المصريـة من خلال دراسـة الفلكلور المـصري، القاهرة: الهيئـة المصريـة العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ١١٦ - ١١٧ . و: محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفلكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، ص ٩٦- ٩٧.

(٩) دعاء صالح، ، رمضان وآب اللهاب، مرجع سابق.

(١٠) المرجع السابق.

أطعمة وأشربة:

"ترتيب المواد أبجديًا"

- الأرز باللبن
- البلح والتمر
- التمر هندى
- الخشاف
- الزلابية
- الطرشى
- العرقسوس
- الفول المدمس
- القطائف
- الكنافة
- النقل
- الياميش
- أم على
- قمر الدين

الأرز باللبن

نوع من الحلوى، ويسمى فى بعض البلاد العربية «بحته» أو «الرز بحليب»، ويصنع الأرز باللبن من الأرز المنقوع فى الماء، ثم يضاف إليه الحليب المحلى بالسكر والنشا. وينتشر إعداده بالمجتمع المصرى، ريفه وحضره، ويرتبط الأرز باللبن بأطعمة المناسبات الدينية والاجتماعية، كما يعد رمزا للخير والتفاؤل والنقاء، لذلك يعد ويوزع ويؤكل عند الاحتفال برأس السنة الهجرية، والاحتفال بسبوع المولود، وغيرهما من المناسبات السعيدة، وتعد طريقة إعداد الأرز واحدة، وإن كان الاختلاف فى طريقة تناوله ومناسبات إعداده. ففى بعض قرى محافظة الجيزة يفضلون تناوله ساخنا ويؤكل بالخبز، ومن عادات إعداده فى الأسرة الممتدة أن تتولى كبرى النساء سنن إعداده حتى تحل البركة على أفراد الأسرة. وعن كمية اللبن أو الأرز التى يتم طهوها فإنها تختلف من طبقة إلى أخرى، حيث تزداد كمية اللبن فى الطبقتين العليا والوسطى، وتقل بالتالى كمية الأرز، كما تزيد كمية الأرز وتقل كمية اللبن فى بعض شرائح الطبقة الدنيا، وذلك انطلاقًا من فلسفة ضغط التكاليف بتقليل كمية اللبن والحرص على إطعام عدد أكبر من الأشخاص.

أما فى الحضر فيفضلون تناوله باردًا، وهنا إما أن يعد منزليًا، أو يشترى جاهزًا للأكل من محلات بيع منتجات الألبان، أو محلات بيع الحلوى. ومن التجديدات التى طرأت على الأرز باللبن إضافة بعض أنواع من المكسرات على وجه الطبق أو إضافة «الآيس كريم»، والفاكهة، والقشدة. وكلها إضافات مستحدثة. ومنها أيضًا تقديمه فى بعض الفنادق والمطاعم وإدراجه ضمن قائمة الحلوى التى تقدمها[1].

ومما يجدر ذكره أن بعض المجتمعات الريفية تستبدل السكر بالملح فى طهى الأرز باللبن، وتتناوله مع الخبز. كما أن الأرز باللبن واحد من أشهر أطعمة النذور التى يكثر تقديمها فى موالد الأولياء.

البلح والتمر

ذكر الله تعالى النخلة فى كتابه الكريم فى أكثر من موضع. يقول المولي ﷻ مخاطبًا السيدة مريمَ حين فاجأتها آلام الوضع : «وَهُزِّي إليك بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيكِ رُطَبًا جَنِيا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَينًا» (مريم:٢٥).

وفى عظم قدر هذه الشجرة وكبير نفعها؛ ذهب أهل التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن الشجرة الطيبة التي شبهت بكلمة التوحيد في قوله تعالى «أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (إبراهيم : ٢٤-٢٥) بأنها النخلة[٢].

كما ذكرت النخلة فى أكثر من موضع من القرآن الكريم بصفة من صفاتها، كالنقير واللينة والفتيل والقطمير.

قيل: إن قيصر كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، يقول: إن رسلي أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم، تفلق عن مثل آذان الحمر، ثم يصير مثل اللؤلؤ، ثم يعود كالزمرد الأخضر، ثم يصير كالياقوت الأحمر والأصفر، ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ، ثم يجف فيكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر، فإن كان رسلي صدقوني، فهى الشجرة التي نبتت على «مريم بنت عمران»، فكتب إليه عمر: إن رسلك صدقوك، وهى شجرة مريم فاتق الله، ولا تتخذ عيسي إلها من دون الله[٣].

وأُكُل النخلة من البلح والتمر، من الأطعمة التي حض الرسول صلي الله عليه وسلم، على أن يكون أول فطور الصائم بها. ويخلط كثير من الناس في حديثهم بينهما، لكن هذا غير ذاك، فالبلح يابس وبارد، والتمر رطب وحار.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية، في كتابه «زاد الميعاد في هدي خير العباد»: يمتاز البلح بالبرودة واليبوسة، وهو ينفع الفمَ واللِّثة والمَعِدَة، وهو رديء للصدر والرِّئة بالخشونة التي فيه، بطيء في المَعِدَة يسيرُ التغذية، وهو للنخلة كالحِصْرِم لشجرة العنب، وهما جميعًا يولِّدان رياحا، وقَرَاقِرَ، ونفخًا ولا سِيما إذا شُرب عليهما الماء، ودفعُ مضرتهما بالتمر، أو

بالعسـل والزُّبد. بينما طبْعُ الرُّطَبِ طبعُ المياه حار رَطب، يقوِّي المعدة الباردة ويوافقها، ويزيد في الباه، ويخصِبُ البدنَ، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة، ويغذُو غِذاء كثيرًا .

وفي (الصحيحـين) عـن عبـد الله بن جعفر، قـال : «رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يأكـل القِثَّـاءَ بالرُّطَـبِ». ويوضح العلـماء أن فى فِطر النبي صلى الله عليه وسـلم مـن الصـوم عليه، أو على الماء، تدبيرٌ لطيفٌ جدا، فإن الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا تَجِـدُ الكبدُ فيها ما تَجذِبُه وتُرسـله إلى القُوَى والأعضـاء، والحلوُ أسرع شيء وصولًا إلى الكبد، وأحبه إليها، ولا سِيما إن كان رطبًا، فيشتدُّ قبولها له، فتنتفع به هى والقُوَى، فإن لم يكن، فالتمرُ لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن، فحسواتُ الماء تطفيء لهيبَ المعدة، وحرارة الصوم، فتنتبهُ بعده للطعام، وتأخذه بشهوة.

ويطلق على التمر والماء لقب «الأسـوَدَان». قالت عائشـة رضي الله عنها: «لقد رأيتنا مـع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ومـا لنا طعام إلا الأسـودان: التمر والمـاء». وقال حجازي لرجل اسـتضافه: «ما عندنا إلا الأسودان» فقال له: «خير كثير»، قال: «لعلك تظنهما التمر والماء، والله ما هما إلا اللَّيل والحرَّة». وعن ابن الزبير قال: لما نزلت آية: «ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ يومَئِذٍ عَنِ النَعيم» (سورة التكاثر، آية ٨) قال أبي: يا رسول الله، وأي نعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسـودان التمر والماء. قال النبي ﷺ: «إن ذلك سـيكون»[٤]. والمقصود من ابن الزبير هنا أن غذاءه كان عبارة عن تمر وماء.

وقـد أثبتـت الأبحـاث العلمية أن التمر يحتوى على نسـبة عالية من البوتاسـيوم؛ مما يساعد على توازن كمية الماء داخل خلايا الجسم وخارجها، ولعمليات التمثيل الغذائي للعضـلات والمخ وتقوية الأعصـاب والذهن، على حين تعد الرطـب واحدة من المواد الملينة التي تنظف القولون، إلى جانب احتوائها على الجولوكوز مما يساعد فى تغذية الكبد وتعمل على رفع كفاءة الجسد وإمداده بالطاقة.

وقـد ورد عـن النبـى صـلى الله عليه وسـلم أنه كـان يحنك فـم المولود بالتمر، ففي «الصحيحـين» البخـاري في العقيقـة، بـاب تسـمية المولـود، ومسـلم في الآداب، باب اسـتحباب تحنيـك المولـود عند ولادتـه: «عن أبي موسـى الأشعري قـال: ولد لي غلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسـلم فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة. وزاد البخاري «ودعا له بالبركة ودفعه إلي»[٥].

التمر هندي

واحـد مـن المشروبات التى يفضل الصائمون تناولها، تسـكينًا للإحسـاس الشـديد بالعطـش الذى يعانيـه الصائمون، خصوصًا حين يتوافق حلـول شهر رمضان مع فترة الصيف.

والتمر هندي نبـات يتبع الفصيلة البقولية، وهو عبارة عن لب ثمار قرنية لنبات شجري دائم الخضرة سريع النمو، يصل ارتفاعه إلى قرابة ثلاثة أمتار وأوراقه مركبة الأزهار، عنقودية، صفراء اللون، وحين تجمع الثمار تزال قشورها الصلبة ثم تعجن فتتكون كتل سمراء اللون، وقد تخلط بالسكر ليساعد على حفظها وعدم فسادها.

يقـال إن موطنه الأصلي إفريقيا الاسـتوائية، وقيـل إن الفراعنة لهم الفضل الأول في إدخال زراعة التمر الهندي خلال العصور الوسطى إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط، وهنـاك مـا يفيـد بأن علماء الآثار عثـروا على بعـض أجزاء مـن التمر الهنـدي في مقابر الفراعنـة، كما ورد التمر الهندي في وصفة فرعونية في بردية «أيبرز» الطبية ضمن وصفة علاجيـة لطـرد وقتل الديـدان في البطن. ووصـف أطبـاء الفرس القدامـى منقوع التمر الهنـدي شرابًا لعلاج بعـض أمراض المعدة والحميـات الناشئة عنها، ويقـال إن أوروبا عرفـت هذه الفوائد العلاجية عن طريق العرب، الذين حملوا معهم التمر الهندي خلال الفتوحات الإسلامية.

قال أبو بكر الرازي عنه: عصارة التمر الهندي تقطع العطش، لأنها باردة طرية.

وقال ابن سينا: التمر الهندي ينفع مع القيء والعطش في الحميات.

وقال ابـن البيطار: التمر الهندي أجوده الطري الـذي يذبل وهو يكسر وهيج الدم، مسهل، وينفع مع القيء والعطش ويسيل الصفراء.

وقال داود الأنطاكي عنه: يسـكن اللهيب والمرارة الصفراوية وهيجان الدم والقيء والغثيان، وليس لنا حامض يسهل غيره وهو عظيم النفع في الأمراض الحارة، وحبه إذا طبخ سكن الأورام طلاء والأوجاع الحارة، وهو يحدث السعال.

وفي الهند يستعمل المواطنون صلصة التمر الهندي ضد الزكام والعلل الأخرى التي تنتج نزله مفرطة، ويعتبر في الطب الصيني عشبة مبردة ملائمة لعلاج حرارة الصيف، ويوصف لفقد الشهية والغثيان والقيء أثناء الحمل والإمساك.

ويحتوي التمر الهندي على العديد من الأحماض والأملاح المعدنية، مثل حمض الليمون وحمض الطرطير وحمض الماليك ومواد عفصية قابضة وسترات البوتاسيوم والفوسفور والمغنسيوم والحديد والمنجنيز والكالسيوم والصوديوم والكلور، كما يحتوي على فيتامين ب ٣ وكذلك زيوت طيارة، كما أثبتت الدراسات الحديثة احتواء التمر الهندي على المضادات الحيوية القادرة على إبادة الكثير من السلالات البكتيرية المختلفة، إلى جانب فوائده كملين ومضاد لحموضة المعدة؛ حيث يستخدم منقوع التمر الهندي لتخليص الدم من حموضته الزائدة وفي طرد ما يحتويه من سموم. كما يعمل على خفض حرارة الجسم، لذلك تضيف بعض شركات الأدوية الخلاصة المائية لثمار التمر الهندي إلى أدوية الأطفال الخافضة للحرارة.

يحضر التمر الهندي بنقعه في الماء البارد لمدة عدة ساعات أو في الماء المغلي لمدة بسيطة مع إضافة بضع من أوراق الكركديه وبذور الشمر ثم تركه حتى يستقر ثم يصفى ويضاف إليه قليل من السكر، كما يضاف إلى المأكولات لإضفاء حموضة طبيعية عليها[٦].

الخشاف

عبارة عن مجموعة من الفواكه سواء المجففة أو الطازجة، المنقوعة فى الماء المحلى بالسكر أو اللبن وقد يضاف إليه قمر الدين، وبعض المكسرات كاللوز وعين الجمل والبندق. ومن أشهر الفواكه المستخدمة فى تحضير الخشاف: المشمش والتين والخوخ والزبيب.

الزَلابية

الزلابية واحدة من الحلويات التي يقبل على تناولها الصائمون فى شهر رمضان، وإن كانت لا تحظى بنفس القدر من شهرة الكنافة والقطائف. ويختلف لونها بين الأصفر أو الأحمر، وتكون بأحجام مختلفة، ويطلق عليها «شبابيك الذهب».

قال الشاعر ابن الرومي واصفًا الطاهى الذي يُقلي الزلابية:

وَمُستَقَرٍ على كُرسِـــيِّهِ تَعِبٍ رُوحي الفِداءُ لَهُ من مُنصِـــبِ تَعَبِ

رأيتُــه سَحَراً يُقلِي زَلابِيـــةً في رقّةِ القِشْرِ، والتَجْوِيفِ كالقَصَبِ

يُلْقِي العَجِينَ لُجَيْناً مِنْ أنامِلِه فَيستَحِيـلُ شَـــبَابِيكاً مِنَ الذَهَبِ(٧)

ويستدل على أصلها العربى بورودها في إحدى الأراجيز الشعرية العربية القديمة. قال عنها ابن شهيد الأندلسي على لسان فقيهٍ شَرِهٍ في وصف الزلابية: «ورأى الزلابية، فقال: ويلٌ ..أبأحشائي نُسِجَت، أم من صفاقِ قلبي أُلِّفَت؟ فإنّني أجد مكانها من نفسي مكيناً. وحَبْلُ هواها على كَبِدِي متيناً. فمن أينَ وَصَلَت كَفٌّ طابخها إلى باطني، فأقتطعها من دواجِني، والعزيز الغفّار، لأصليها بالنار».

وهناك مثل عربى يعزز من قيمة الزلابية، يقول: هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل، وهو مثل يضرب فى الشىء حين يهون، فبنو وائل من البدو الذين كانوا يعيشون على أطراف الوادى وتتسم حياتهم بالبدائية، ولا عهد لهم بأكل الحضر.

الطرشى

من العادات الغذائية المصرية الراسخة فى شهر رمضان، تناول الطرشي أو (المخلل) الـذي يشـغل مكانًا مهما من مائدة الإفطار. وتلقى المحـلات التى تصنعه رواجًا شديدًا لمنتجاتهـا وإقبـالا عليهـا من الطبقـات كافة خلال شهر رمضـان، مما يعتبر موسماً لهذه المحال، حيث تتضاعف مبيعاتها خلال الشـهر عشرات المـرات عن نظيرتها فى بقية أيام السـنة. ويحرص العاملون فى هذه المهنة على إضافة بعض المواد الفاتحة للشـهية كالثوم والتوابل والعصفر والبنجر إلى الطرشى المعد للبيع فى شهر رمضان خصوصًا، لتزيد من لذته وتغرى الصائمين بالإقبال عليه.

ويبـدأ الإقبال عـلى شراء الطرشى خلال أيام الشـهر الكريم مـن بعد صلاة العصر حتى حلول المغرب.

وهناك العديد من البيوت المصرية التى تحرص على إعداد الطرشى قبل حلول شهر رمضـان بقرابة ثلاثة أشهر، حيث تحتاج بعض النباتـات لفترة طويلة حتى يتم تخليلها، كالليمون والزيتون والفلفل.

العرقسوس

العرقسوس[٨]: مشروب يقبل المصريون على تناوله فى شهر رمضان، لما له من قدرة كبيرة على إرواء الجسد، وتقليل إحساسه بالعطش. وهو نبات شجري معمر يزرع في كثير من بقاع العالم، مثل: سوريا ومصر وآسيا الصغرى وأواسط آسيا وأوروبا، ولا يستخدم من هذا النبات سوى جذوره الجافة، التي تحتوي على العديد من المواد الغذائية والعلاجية، من بينها مادة تعرف بخلاصة العرقسوس تتضاعف فيها نسبة السكر عن تلك الموجودة في سكر القصب. واشتهر العرقسوس بقدرات علاجية لدى المصريين منذ أمد بعيد، فقد جاء وصفه في كثير من المراجع القديمة، باعتباره مفيدًا في حالات القيء والتهيج المعدي وفي علاج حالات قرحة المعدة. كما عرفت جذور نبتة العرقسوس منذ أكثر من أربعة آلاف سنة عند البابليين كعنصر مقوي للجسم ومناعته، وكان الطبيب اليوناني ثيوكريتوس يعالج به السعال الجاف والربو والعطش الشديد.

وعرفه الأطباء العرب حيث كان يستخدم كطعام ودواء. يقول عنه ابن سينا في القانون:

«إن عصارته تنفع في الجروح، وهو يلين قصبة الرئة وينقيها، وينفع الرئة والحلق وينقي الصوت، ويسكن العطش، وينفع في التهاب المعدة والأمعاء وحرقة البول».

وقال عنه ابن البيطار: « أنفع ما في نبات العرقسوس عصارة أصله، وطعم هذه العصارة حلو كحلاوة الأصل مع قبض فيها يسير، ولذلك صارت تنفع الخشونة الحادثة في المريء والمثانة، وهى تصلح لخشونة قصبة الرئة إذا وضعت تحت اللسان وامتص ماؤها، وإذا شربت أوقفت التهاب المعدة والأمعاء وأوجاع الصدر وما فيه، والكبد والمثانة ووجع الكلى، وإذا امتصت قطعت العطش، وإذا مضغت وابتلع ماؤها تنفع المعدة والأمعاء كما ينفع كل أمراض الصدر والسعال، ويطري ويخرج البلغم، ويحلل الربو وأوجاع الكبد والطحال وحرقة البول، ويدر الطمث ويعالج البواسير، ويصلح الفضلات كلها».

كما أثبتت العديد من الدراسات أن جذور العرقسوس مضادة للتقلص وتساعد على تقليل إنتاج حامض المعدة وبالتالي تقلل من حرقة القلب.

وهـو شراب آمـن إذا ما اسـتخدم باعتدال أما الإفراط فى تناوله فقد يسـبب صداعًا وكسـلاً واحتباسًـا للماء والصوديوم وفقدانًا زائدًا للبوتاسيوم وارتفاعًا في ضغط الدم، لذلـك لا ينصح بشرابه لمريض الضغط المرتفع، لأنه يسـاعد على الاحتفاظ بالماء داخل الجسم أطول فترة ممكنة، مما يؤدي إلى التورم وزيادة الضغط.

الفول المدمس

يعد الفول المدمس من أكثر الأغذية الشعبية انتشارًا فى بعض البلاد العربية، خاصة مصر، ويرجع ذلك إلى كونه غذاء بروتينيًا رخيصًا. ويصفون الفول بأنه «مسمار البطن» فهو يبقى مدة طويلة فى المعدة. ويتم إنضاج الفول المدمس عن طريق ما يعرف بتدميس الفول؛ حيث يوضع الفول الناشف فى قدرة مع قدر مناسب من الماء، وذلك بعد أن ينقى من الحصى، ويترك على نار هادئة طوال الليل تقريبًا، وبعد نضجه يضاف إليه الزيت والليمون والملح، أو المسلى أو الزبدة، وأحيانًا القشدة والتوابل. والمترفون يقشرونه قبل أن يأكلوه، والبعض يقوم بتصفيته بالمصفاة، وذلك بغرض التخلص من قشور حبات الفول التى قد تسبب بعض التقلصات فى القولون.

وقد كان يتم تدميس الفول قديماً بإنضاجه فى قدر من الفجار تسمى «البوشة» وهى عبارة عن إناء يشبه الإبريق الفخارى، إلا أن رقبته قصيرة ومتسعة نوعًا ما، ولها مقبضان تحمل منهما أثناء الاستخدام، وتكون عادة سوداء اللون، وكان يدفن إلى رقبته بعد أن تسد فوهته. هذا وقد أدى انتشار الأدوات المنزلية الحديثة إلى اتجاه معظم الأسر إلى تدميس الفول منزليًا بواسطة «الدماسة» المصنوعة من الألومونيوم، والتى قد توضع على موقد كهربائى صغير مخصص لهذا الغرض أو فوق إحدى عيون البوتاجاز الصغيرة.

ورغم القول بعمومية انتشار الفول عبر كل الطبقات والمناطق، إلا أن الفقراء وفئات العمال والفلاحين يعتمدون عليه اعتمادًا كبيرًا فى وجبة الإفطار، وقد يتناولون شيئًا منه مرة أخرى فى وجبة الغداء أو العشاء. وفى رمضان يمثل طبق الفول طعامًا مفضلا وأساسيًا فى وجبة السحور، كما تقدمه بعض الأسر فى وجبة الإفطار أيضًا. ويمكن الحصول على الفول المدمس جاهزًا من المحلات المخصصة لبيعه، فى كل من الأحياء الراقية والشعبية، وكذلك فى القرى المتاخمة للمدن. كما يمكن الحصول عليه أيضًا معبأ فى عبوات بلاستيك أو داخل الأكياس النايلون من هذه المحلات. ومن تلك الأنواع الفول بالزيت الحار أو البارد أو بالزبدة، والفول بالطحينة، والفول بالبيض أو بالبصل أو بالحمص.. إلخ. ومن التغيرات الأخرى طرحه فى محلات السوبر ماركت معبأ داخل

علـب من الصفيح من خلال بعض الشركات، التى تخصصت فى إعداده فى تشـكيلات متنوعـة المكونـات والمذاق. ومن الفـول تعد أطعمة أخرى مهمـة كالطعمية «الفلافل» والبصارة.

وقـد تفننـت الأسر المصرية فى طريقـة إعداد الفـول فمنه تطبخ «الكسـبرية»، وهى عبـارة عـن فول مطبـوخ بالصلصة. إضافة إلى الفـول النابت، الذى يعـد بنقع الفول فى الماء حتى ينبت، ثم يؤخذ ويسـلق، وتوضع على مرقته قليلا من الملح، وبعضهم يقشره ويطبخه بالطماطم ويسمونه «فولية». وبعضهم يضع عليه السلق بعد أن يحمر فى السمن ويجفف ويدهك.

ومن هذا نلحظ كثرة اسـتعمال المصريين للفول.. ومن أمثالهم: كل فولة مسوسـة لها كيال أعور، دلالة على أن الشـىء وإن قبح له من يطلبه. وكل فولة ولها كيال، إشارة إلى أن لكـل إنسـان حظه من الدنيا حتى وإن ضعف شأنـه، وإذا أرادوا أن يعبروا عن حيلة انكشـفت قال الواحد منهم: فهمت الفولة، ويقولون «لا تفول عليه»، أى لاتكن نذير سوء. ويشار إلى أن كلمة «متمس» قبطية الأصل وتعنى الشيىء الناضج فى الفرن[٩].

القطائف

القطائف في لسان العرب: طعام يُسوى من الدقيق المرق بالماء؛ شبهت بخمل القطيفة التي تُفرَش. وعند الجوهري في الصحاح: القطيفة: دِثار مخمل، والجمع قطائف وقطف أيضاً مثل: صحيفة وصُحف، كأنها جمع قطيف وصحيف، ومنه القطائف التي تؤكل.

وتقف القطائف موقف المساواة مع الكنافة على المائدة الرمضانية، أما تاريخها فيعود إلى العصر العباسي وأواخر العصر الأموي، وفي روايات أخرى تعود للعصر الفاطمي حيث كان يتنافس صنّاع الحلوى لتقديم ما هو أطيب، وقد ابتكر أحدهم فطيرة محشوة بالمكسرات، وقدمها بشكل جميل مزينة في صحن كبير ليقطفها الضيوف. ومن هنا اشتق اسمها (القطايف).

وقد أفاض الشعراء في وصف القطائف التي يبدو أنها كانت مفضلة عن الكنافة، وكانت تشكل القاسم المشترك الأعظم في الولائم التي كان الفاطميون في مصر يولمونها في الإفطار والسحور، إضافة إلى اهتمام الناس بحشوها بأنواع النقل وغمرها بعد القلي في دهن الجوز. يقول سعد الدين بن عربي عن القطايف:

وقطايف مقرونة بكنافة ... من فوقهن السكر المذرور

هاتيك تطربني بنظم رائق ... ويروقني من هذه المنثور

وفي تفضيلها على الكنافة يقول:

قل القطائف للكنافة ما ... بالي أراك رقيقة الجسد

أنا بالقلوب حلاوتي حشيت ... فتقطعي من كثرة الحسد[١٠]

ومن الطرائف الشعرية المرتبطة بالقطائف، هذه الشكوى المنظومة التى رفعها المصريون للمحتسب فى القرن العاشر الهجرى، حين ارتفعت أسعار الكنافة والقطائف وغيرها من الحلواء التي تصنع في رمضان:

لقد جاء بالبركات فضل زماننا | بأنواع حلوى نشرها يتضوع
حكتها شفاه الغانيات حلاوة | ألم ترني من طعمها لست أشبع
فلا عيب فيها غير أن محبها | يبدد فيها ما له ويضيع
فكم ست حسن من أصابع زينب | بها كل ما تهوى النفوس مجمع
وكم كعكة تحكي أساور فضة | وكم عقدة حلت بها البسط أجمع
وكم قد حلا في مصر من قاهرية | كذاك المشبك وصله ليس يقطع
وفي ثوبه المنقوش جاء برونق | فيا حبذا أنوار حين تسطع
قد صرت في وصف القطايف هائماً | تراني لأبواب الكنافة أقرع
فيا قاضياً بالله محتسباً عسى | رخص لنا الحلوى نطيب ونرتع[11]

ويقول الشاعر المصري أبو الحسين الجزار عن القطايف:

تالله ما لثم المراشف | كلا ولا ضم المعاطف
بألذ وقعاً في حشا | ي من الكنافة والقطايف[12]

ولأبي هلال العسكري شعر في تفضيل القطايف على الكنافة، منه:

كثيفةُ الحشوِّ ولكنَّها | رَقيقةُ الجِلدِ هَوَائيَه
رُشّت بِمَاءِ الوَرْدِ أعْطَافُها | مَنشورةُ الطيِّ ومَطويّه
كأنّها مِنْ طِيبِ أنفاسِها | قد سُرِقَت من نشرِ «ماويّه»
جَاءَت مِن السُكَّرِ فُضيّةً | وهي من الأذهانِ تِبريّه[13]

وفي تفضيلها على الكنافة - كذلك - يقول الشاعر المملوكي السراج الوراق:

قطائفك التي رقت جسوماً | لماضيغها كما كثفت قلوباً
كغيم رق لكن فيه قطر | غدا القفر الجديب به خصيبًا

وفى الموضوع ذاته يقول سيف الدين بن قزل المنشد:

وقطايف مثل البــدو رأتت لنا من غـير وعـد

قد سقيت قطر النبــا ت وطيبت بالمــاء ورد

فحســـبتها لما بدت في صحنها أقراص شهد[١٤]

ويقول ابن المعلم المرصص:

وحقــك ما أوليتني من قطائف ألذ وأحلى من وصال القطائف[١٥]

وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة ألم تراها ملفوفة كالصــحائف

ويقول شاعر آخر:

قطائف قد حشـيت باللوز والعسل الماذي[١٦] والجـوز

تسبح في آذى[١٧] دهن الجوز سررت لما وقعت في حوزي[١٨]

ومن طرائف الشـعر في تعـود الأسرة المصريـة عـلى التهادى بالقطايف، يقول «ابن نباته» المصري:

أقول وقد جاء الغلام بصحنـــه عقيب طعـــــام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لي جاء صحن قطايف وبح باسم من أهوى ودعني من الكنا

ويقول:

رعى الله نعماك التي من اقلها قطائف من قطر النبات لها قطر

أمد لها كفي فاـــــهتز فرحة كما انتفض العصفور بلله القطر[١٩]

واستخدم الصفدي التضمين في قصيدته عن القطائف التي جاء فيها:

رَعَى اللهُ نُعْمَاكِ التي منْ أقلَها قطائفُ مِنْ قَطْرِ النبـــاتِ لها قَطْرُ

أمُدُّ لها كَفِي فأهتزّ فرحـــــةً كما انتفضَ العُصفُورُ بلَلَهُ القَطْرُ

ولبعض الشعراء في تفضيل القطائف على سائر الحُلْويات قوله عنها:

هـــاتِ القطائِفَ هـا هُنــــا   فالصَّـــــومُ حَبَّبَهــــا لَنَـا

قَــدْ كـــانَ يأكلُهــــا أبي   وأخـــي وأكرَهُهـــا أنــــا

لكـــنَّي مُــــذْ ذُقتهـــــا   ذُقتُ السَّــــعادة والهَنَـا

ويقول أبو القاسم عبدالرحمن بن هبة الله المصري:

وافى الصيام فوافتنــا قطائفه   كما تســـــنمت الكثبان من كثب

وقال زين القضاة السكندري:

لله در قطائف محشـــــوة   من فستق رعت النواظر واليدا

شبهتها لما بدت في صحنها   بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

الكنافة

الكنافة واحدة من المأكولات الحلوى المصرية، التى يقبل عليها المصريون طيلة العام، لكنهـا تحظى خلال شهر رمضان بوضع خاص يجعلهـا إحدى الارتباطات الرمضانية. وكان يطلق عليها «زينة موائد الملوك».

والباحـث فى معاجـم اللغة لا يجـد ذكرًا مبـاشرًا لكلمة «كنافة»، وربـما تكون كلمة غـير عربية الأصل، أو تكون من ألفاظ العامة المسـتمدة من لفظـة «كنف»، فهى أقرب الألفاظ إليها فى كلام العرب، مبنى ومعنى. ففى «لسان العرب»:

الكَنَفُ والكَنَفةُ: ناحية الشيء، والجمع أكناف.

وبنو فلان يَكْنُفون بني فلان أي هم نُزول في ناحيتهم.

وكنَفُ الرَّجل: حِضْنه يعني العَضُدين والصدْرَ.

وأكناف الجبل والوادي: نواحِيه حيث تنضم إليه، الواحد كنَفٌ.

والكَنَفُ الجانب والناحية، بالتحريك.

وكنَفا الإنسان: جانِباه، وكنَفاه ناحِيتاه عن يمينه وشماله، وهما حِضْناه.

وكنَفُ اللهّ: رحمته.

وكنَفَه عن الشيء: حَجَزه عنه.

وكنَف الرجلَ يكْنُفه وتَكَنَّفه واكْتَنَفه: جعله في كنَفِه.

وتكَنَّفوه واكْتَنفُوه: أَحاطوا به

وفلان يَعِيش في كنف فلان أي في ظِلِّه.

وأكنَفْت الرجل إذا أعَنْتَه، فهو مُكْنَف.

والمُكانفة المعاونة.

وكَنَفا الطائر: جناحاه.

وتكنَّف الشيء واكْتَنَفه: صار حواليه.

وتكنَّفُوه من كل جاني أي احْتَوَشُوه.

وناقة كنوف: وهى التي إذا أصابها البرد اكتنفت في أكناف الإبل تستتر بها من البرد.

والكَنَفانِ: الجَناحانِ.

ومن ثم ربما يكون سبب تسمية هذا الطعام بالكنافة نظرًا لكونها عبارة عن خيوط رفيعة من العجين تكتنف ببعضها البعض أى تحيط ببعضها وتتحصن.

أما عن مناسبة ارتباط الكنافة بشهر رمضان تحديدًا، فقد قال بعض المؤرخين إن «معاوية بن أبي سفيان» هو أول من قدمت له الكنافة من العرب كطعام للسحور، لتدرأ عنه الجوع الذي كان يحس به، وكان ذلك في زمن ولايته للشام.

قال «ابن فضل الله» في المسالك: كان معاوية يجوع في رمضان جوعًا شديدًا، فشكا ذلك إلى محمد بن أثال الطبيب، فأشار عليه باتخاذ الكنافة فكان يأكلها في السحور، وقيل إنها صنعت لسليمان بن عبد الملك. وهذا الكلام ربما يعنى أنها كانت إحدى الحلويات المعروفة عند غير العرب ثم انتقلت إليهم.

وقيل إن تاريخها يعود إلى زمن المماليك، كما قيل إنه يرجع إلى العصر الفاطمي، وأن المصريين عرفوها قبل أهل بلاد الشام، وذلك عند دخول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي القاهرة، حيث كان ذلك في شهر رمضان. ففي ذلك الوقت خرج الأهالي لاستقباله بعد الإفطار، وسارعوا إلى تقديم الهدايا له، وكان من بين ما قدموه الكنافة على أنها مظهر من مظاهر التكريم. وهناك رواية تقول: إن «أسماء» بنت «خمارويه» الذي حكم مصر بعد «أحمد بن طولون» المعروفة «بقطر الندي» كانت قد جلبتها معها من بلاد الشام في إحدي رحلاتها المستمرة ومعها حلويات شامية أخرى.

غير أن أقدم المصادر الأدبية التى يمكن أن يستدل منها على شهرة «الكنافة» وحضورها فى المشهد الاجتماعى العربى، هو ما كتبه شعراء الدولة الأيوبية والمملوكية عنها، وخصوصًا الشاعر «أبو الحسين الجزار».

ومهما يكن من أمر الروايات التاريخية فإن الكنافة قد لاقت رواجاً ملحوظاً في كل من مصر والشام ثم في بقية الأقطار العربية والإسلامية بدرجات متفاوتة، وبلغ من اهتمام أهل مصر بها حداً أثار انتباه الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مصر في القرنين ١٨ و ١٩ فأسهبوا في وصف طرق عملها، وأطلقوا عليها إسم «المكرونة المصرية».

وقد بلغت الكنافة والقطائف من الشهرة والذيوع، لدرجة أن العلامة «جلال الدين السيوطي» الفقيه والمؤرخ المصري الذي عاش في العصر المملوكي جمع ما قيل فيهما نثرًا وشعرًا في كتاب لطيف أسماه «منهل اللطائف في الكنافة والقطائف»، حيث احتلتا مكانًا ملحوظًا وبارزًا في ديوان الشعر العربي (انظر: القطائف).

يقول وهب بن منبه: «ولا يرد اسم رمضان أمام المصريين مثلاً إلا وتمثلت في مخيلاتهم الكنافة والقطايف».

ولم يقف حديث الأدباء وقصائد الشعراء عن الكنافة عند حد وصف موائدها بل تعدى ذلك إلى الهيام بها والتغزل فيها حتى صار لها من العاشقين من خلد ذكرها وخلدته هي!.

من هؤلاء الشاعر أبو الحسين يحيى الجزار، الذى أحب الكنافة حباً مَلَكَ عليه بطنه وكل مشاعره، ولما لم يكن قادرًا على شرائها، فقد أخذ يرسل الصيحات إلى أحد الأمراء ليدنيه منها أو يدنيها منه، يقول:

أيهذا الأمير قد أشكل المعنى	وما زلت عارفا بالمعانى
ظاهر البستندود لم أدر ماذا	فيه حملا وباطن الخشكنان
أترانى فى العيد أجهل ذا المعنى	كجهل الحلواء فى رمضان
ما رأت عينى الكنافة إلا	عند بياعها على الدكان[٢٠]

ويظل «الجزار» يطلب الكنافة، فإذا استطاع أن يشتريها أو يحصل عليها، أعوزه «القطر» ليسقيها به، ولما كان هذا فوق قدرته فإنه يستنجد بأحد الأعيان ليوفر له ما يبتغيه، يقول:

أيا شرف الدين الذى فيض جوده ... براحته قد أخجل الغيث والبحر

لئن أمحلت أرض الكنافة إننى ... لأرجو لها من سحب راحتك القطر

فعجل به سجودا فما لى حاجة ... سواه نباتا يثمر الحمد والشكر

شبه الجزار الكنافة الناشفة بالأرض الجدباء التى انقطع عنها الماء، وكنافة الجزار أمحلت أو أجدبت، وصارت يابسة، لذلك هو يرجو لها كوزا من القطر، من سحب شرف الدين لتكون طرية لينة لذيذة الطعم[٢١].

ولما لم يجدْ الجزار بُغيته في الكنافة فقد راح يبكي لياليها الحِسان ويطلب القطائف، فقال:

سَقَى اللهُ أكْنَافَ الكُنافةِ بالقَطْرِ ... وَجَادَ عليها سُكَراً دائمَ الدّرّ

وتبّاً لأيامِ المُخَلَلِ[٢٢] إنّها ... تمُرُّ بلا نَفْعٍ وتُحْسَبُ من عُمْرِي

أهيم غراما كلما ذكر الحمى ... وليس الحمى إلا القطارة بالسعر

وأشتاق إن هبت نسيم قطائف الـ ... حور سحير وهى عاطرة النشر

وقد اشتد التنافس بين الكنافة والقطايف فى قصائد أبى الحسين الجزار، الذي راح يسترضى الكنافة ويعرب لها عن ولعه بها، وإن لم يخف هذا حبه للقطائف كذلك، يقول:

ومالي أرى وجه الكنافة مُغضباً ... ولولا رضاها لم أرد رمضانها

عجبت لها فى هجرها كيف أظهرت ... على جفاء صد عنى جفانها

تُرى اتهمتني بالقطايف فاغتدت ... تصُدُّ اعتقاداً أن قلبي خانها

ومُذ قاطعتني ما سمعت كلامها ... لأن لساني لم يُخالط لسانها

ولم يكن الشاعر «جمال الدين بن نباتة المصرى» أقل شغفًا بالكنافة والقطائف من سلفه، والظاهر أن ولعه بالكنافة كان أكثر من ولعه بالقطائف؛ لأن الأخيرة لم تأت فى ديوانه إلا مرة واحدة، أما الكنافة بالنسبة إليه فهى حلوى مطلوبة ووجبة محبوبة، يناجى

بها نفسه ويحدث عنها صحبه، ويستعطف أهل الفضل ويخطب ودهم بالتحايا ليعطوها له، فتراه يتقاضى كنافة من القاضي نور الدين بن حجر، ويقول له:

تركت الغــــزل مـن أول — وصيرته بعد مــدح مرادى
وقالت لى العين ذاك الطعام — ما كان أبهجه فى ســـوادى
أذكر مـــولاى ما قـلت فى — مقاطيع شعر تجوب الوادى
عهـــدت فؤادى ملآن من — شجون ولا موضع ازدياد
إلى أن تعشقت حلو الكنافا — ت للحلو زاوية فى فؤادى

فالشـاعر يبـين لنا أن الغـزل لم يعد فنه الأول، وإنما الكنافة هـى مراده الأول فى هذه الدنيا، ويخبر القاضى نور الدين بما عاناه فى حياته، ولم يكن يعرف كيف يفرج عن نفسه الأسـيانة، فلما عشق الكنافة حصل الفرج، وأخلى قلبه ركنًا فيه لهذه الحلوى، لذلك هو يطلبها منه لأنها نهاية الأرب[٢٣].

كذلك طلب الإمام البوصيري (٦٠٨- ٦٩٨ هـ) صاحب البردة؛ كنافة من القاضي عماد الدين بن أُبَي، فكتب إليه رقعة فيها قوله:

ما أكَلنا في ذا الصيام كنـافة — آهِ وأبعدها عَليناً مسافة
قَالَ قَومٌ إنّ العِمـادَ كريـــمٌ — قُلتُ هذا عِندي حَديثُ خُـرَافَه
أَنَا ضَيفٌ لهُ وقد مُتُّ جُوعاً — ليتَ شعري لِمْ لا تُعَدُّ الضّـيَافَه
وَهُو أنْ يُطعِمَ الطَّعـامَ فَمَـا — يُطعمُ إلاّ لَسَمهـةٍ أو مَخـــافَه
وَهُو في الحَرّ والخَـريفِ وفي — البيتِ بِجَـمعِ الحُطامِ كالجَرافَـه
فاعلِمُوه عنّي ولا تعـتِبُوني — أنّ عندي في الصَّوم بَعدَ الخَرَافَه
فَهُو إنْ لضمْ يخرُج قَليلاً إلى الحَا — ئِطِ في لَيْـــلَتِي طَلَعْتُ القُرافَه[٢٤]

وللشاعر شهاب الدين الهائم في الكنافة:

إليك اشتياقي يا كنافة زائد — ومالي غنــــاء عنـــك ولا صبر

فلا زلت أكل كل يوم وليلة ولا زال منهلاً بجرعاتك القطر[٢٥]

ومـن المأثورات العربية الشـهيرة مقولة: مـن أكل الكنافة خف ظلـه وعذب منطقه وكثر بهاؤه، وربا لحمه وصفا شحمه وزال سقمه.

وفى إحـدى المقامـات القصصيـة للكاتـب «عبـاس الأسـوانى» بعنـوان «عائد من الآخـرة» يصـور لنا صراع زوج من أجل الحصول على الكنافـة، التى تزاحم على بائعها المشترون مما جعلها حلمًا بعيد المنال.

✽✽

وحتـى اليوم تنتشر صناعة الكنافة والقطائف في أرجاء مصر ريفًا وحضرًا وحتى في المناطق شبه الصحراوية مثل البحر الأحمر، ولعل ذلك الانتشـار الواسـع هو الذي حدا بأحد المحتسبين الأتراك في عصر محمد على أن يتخذ من الآنية النحاسية المستديرة، التي تنضج الكنافـة عليها، أداة لتعذيب الكنفانية الذين يرفعون أسـعارها بدلاً من الذهاب بهم إلى ساحة القاضي.

وينتـشر في الأسـواق المصرية حاليًـا نوعان من الكنافـة، هما: الكنافـة البلدي، التي تصنـع يدويًـا، والكنافة التي تصنع آليًا. أما الكنافة البلدي فتسـتخدم في صناعتها أفران مسـتديرة مبنية من الطوب الأحمر بقطر متر وارتفاع متر وربع تقريبًا، وفي جانب الفرن توجد فتحة تسـع وابور الغاز. وتعلو سـطح الفرن صينية نحاس، يرش عليها العجين المراق للتسوية، ويطلق على إناء رش العجين «الكوزة»، وهو عبارة عن دورق نحاسي، في أسفله صف من أنابيب رفيعة متصلة رأسيا بثقوب إلى جوف الدورق لتسمح بمرور العجين السائل. وهناك نوعان من الكوزة: «الكوزة الصايمة» وتستخدم لعمل الكنافة الرفيعة، و«الكوزة السـاقطة» لعمل الخيوط السـميكة. أما الكوزة الصايمة فهى عبارة عـن دورق ذي رقبـة رفيعـة وبطن ممتلئـة قليلا وثقوب ضيقة وهى تشـبه قلـة الماء، أما السـاقطة فهـى بدون رقبـة تقريبًـا وذات حافة متسـعة وبطن منتفخة وثقوب واسـعة. ويفضـل صنـاع الحلوى وربـات البيوت اسـتخدام الكنافـة الرفيعة عن السـميكة، أما الكنافة الآلية فتمتاز بقوامها السميك دائمًا .

النقل

هي ما يتسلى بتناوله مع الشراب وفي مجالس السمر من فاكهة ومسليات مثل: الفستق والبندق واللوز[٢٦]. (انظر: الياميش).

الياميش

الياميش: يقصد بها المكسرات والنقل، وهى الجوز واللوز والبندق والفستق والفول السوداني التى يتسلى بها الناس فى ليالي رمضان خلال الفترة التي بين وجبتي الإفطار والسحور[٢٧]. وتؤكل نيئة في معظم الأحيان، ولا تفقد شيئًا من عناصرها الغذائية إذا طُبخت. وهى مزيج مركب من البذور والفواكه، ومن المعروف أن معظم البذور تأتي من الفواكه، وبعض المكسرات يأتي من نويات البرقوق والخوخ والمشمش على سبيل المثال.

ومن أنواع المكسرات التي ارتبطت بشهر رمضان الكريم في بلاد كثيرة عربية وإسلامية: البندق واللوز والجوز وعين الجمل والفستق والفول السوداني والصنوبر والكاجو (أو الكاشو) وفصفص دوار الشمس (بذر دوار الشمس) وغيرها.

ومثل هذه المكسرات تُضاف إلى أنواع كثيرة من الحلويات الرمضانية التي عرفت في بلاد كثيرة من العالم العربي والإسلامي، مثل الكنافة والقطايف والأرز باللبن والسحلب، وبعضها يضاف على أنواع أخرى من أطباق الأرز واللحوم والمعجنات والأسماك والسلطات، كما هى دون طحنها، أو بعد طحنها ثم مزجها مع الأطعمة.

وتعد المكسرات مصدرًا مهمًا من المواد الغذائية، وهى غنية جدًا بالفيتامينات والزيوت والدهون المفيدة لصحة الإنسان، أو الدهون غير الضارة، وهذه الدهون تسمى بالأحماض الدهنية، وهى تحمي القلب من الاضطرابات أو الأزمات القلبية، وتقلل من نسبة الكوليسترول (أي نسبة الدهون في الدم) فهى تساعد على تفتيت الدهون، فضلا عن أنها تحتوي على ألياف غذائية تساعد على علاج بعض الأمراض مثل: القولون وتصلب الشرايين وأمراض القلب، وبعضها يحتوي على نسبة عالية من عناصر (أو معادن) الكالسيوم والبروتين والحديد والبوتاسيوم، وبصفة عامة فإن المكسرات تحتوي على نسب عالية من فيتامين س (سي)، وغنية أيضًا بفيتامين ب (بي).

والمكسرات تسهم فى الحد من الشعور بالجوع والعطش، كما أن زيوتها تساعد على الهضم وليونة المعدة وانتظام عملها، غير أن زيادة استهلاك أي شيء عن الحد المعقول يجلب الكثير من المتاعب والمصاعب، فزيادة استهلاك المكسرات، يؤدي إلى زيادة السعرات الحرارية، مما يؤدي إلى اضطراب في بعض وظائف الجسم(٢٨).

أم على

واحدة من أصناف الحلوى الشـهيرة التى تلقى رواجًا بالمجتمع المصرى خلال شهر رمضان، وهى تتكون من مزيج من رقائق العجين الرفيعة، مضافًا إليها الحليب الساخن والسمن والمكسرات، وقد تصب فى آنية فخارية وتسوى بالفرن.

أما عن سـبب تسـميتها بهذا الاسـم فتشـير بعض المصادر الفلكلورية؛ أنها منسوبة إلى السـيدة أم على، زوجة عز الدين أيبك، الذى تـزوج من شجرة الدر، أرملة الصالح أيـوب، آخر السـلاطين الأيوبيين الكبـار، الذى توفى فى وقت تجهيـزه لملاقاة الصليبيين فى معركة حاسـمة بالمنصورة، وقامـت شجرة الدر بإدارة شئـون البلاد فى ذلك الوقت العصيـب وبعـد إعـلان وفاة زوجهـا طالب المماليـك بتنصيبها ملكة عـلى مصر غير أن الخليفة العباسـى المسـتعصم رفـض أن تتولى شئون مصر امرأة ممـا اضطرها للزواج من أحد مماليك زوجها وهو «عز الدين أيبك» لتحوز موافقة الخليفة، وبعد أن استتب الأمر لأيبـك انقلـب عليها بل وفكر فى الزواج بامرأة أخـرى، وكانت شجرة الدر قد أرغمته على تطليق زوجته الأولى «أم على» كشرط للزواج بها، مما دفع شجرة الدر للتدبير لقتله، عـام ٦٥٥ هــ/ ١٢٥٧ م، وبـذا انقلب عليها مماليـك أيبك وزجوا بها فى السـجن، ثم سلموها لزوجته السابقة وللحريم للفتك بها.

وبهـذه المناسـبة أمـرت «أم على» بإعـداد حلـوى لتوزيعها بمناسـبة هـذا الانتصار الساحق على ضرتها، وكانت مكونات تلك الحلوى هى ذاتها مكونات حلوى «أم على» المعروفة الآن، التى انتقلت من مصر إلى معظم بلدان الشرق.

قمر الدين

يقال إن أصل اسمه «أمر الدين» نسبة إلى أول بلدة شامية أنتجته، وقد اشتهرت بتحضيره من ثمار المشمش بعد تجفيفها وعصرها، ثم تحور الاسم بعد ذلك على ألسنة الناس حتى صار كما ينطق اليوم «قمر الدين».

ويرجع بعض الباحثين تسميته بهذا الاسم، إلى أن أول من صنعه بهذه الطريقة رجل كان يسمى قمر الدين، والبعض الآخر يرجعها إلى أنه كان يطرح في الأسواق قبيل رمضان بيوم أي ليلة الرؤية فارتبط اسمه باسم رؤية قمر رمضان أو هلال رمضان.

وهو واحد من الحلوى المفضلة في رمضان، ويقدم مطبوخًا على النار بعد إضافة الماء والسكر والليمون والنشا إليه حتى يصبح غليظ القوام، وقد يضاف إليه بعض الجزر لإكسابه لونًا زاهيًا وقيمة غذائية أعلى، وبعد صبه فى الأطباق يرش عليه جوز الهند والزبيب ويترك حتى يتماسك، ويطلق عليه «مهلبية قمر الدين»، كما يشرب منقوعًا فى الماء المحلى بالسكر. ويحتوي «قمر الدين» على الحديد والأحماض العضوية والأملاح المعدنية ونسب كبيرة من فيتامينات أ، ب، ج وقدر من البروتينات والكربوهيدرات. وإضافة السكر إليه يضاعف من قيمته الغذائية مما يفيد الجسم ويمده بالطاقة خلال فترة الصيام. وتشتهر سوريا بصناعته بصورة كبيرة، وتعتمد معظم الدول الإسلامية على استيراده منها لسد احتياجات أسواقها خلال شهر رمضان.

وكانت الطريقة التقليدية لصناعته تقوم على عصر ثمار المشمش وإضافة السكر إليها ثم غليها على النار، ثم تصب بعد ذلك على ألواح خشبية مدهونة بزيت الزيتون، وتعرض للشمس إلى أن تجف تمامًا وتصبح رقائق، ثم تقطع وتغلف على شكل طبقات، أما فى الوقت الحالى فقد دخلت الميكنة فى صناعة قمر الدين، وينتج الآن بأحدث المعدات والآلات.

الهوامش

(١) موسوعة التراث الشعبي العربي، صص ٥٥-٥٦، بتصرف يسير.

(٢) د. رمضان مصري هلال: التمر: غذاء.. ودواء.. وإعجاز، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مرجع إلكتروني: ٥٥a.net.www.

(٣) مصطفي عبد الرحمن: رمضانيات، مرجع سابق ص٦٣ : ٤٦.

(٤) ابن أبي الدنيا: الإشراف في منازل الأشراف.

(٥) راجع: د. رمضان مصري هلال: التمر: غذاء.. ودواء.. وإعجاز، مرجع سابق.

(٦) انظر: ويكيبيديا.. الموسوعة الحرة.

(٧) محمد رجب السامرائي، رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، و د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ٢٤.

(٨) عن: موسوعة الأعشاب الطبية: أحمد محمد عوف، مرجع ألكتروني، و«جريدة الرياض»: الإثنين ١٤ رمضان ١٤٢٦هـ- ١٧ أكتوبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٦٢٩، و«ويكيبيديا»، الموسوعة الحرة- الشبكة الدولية للمعلومات.

(٩) موسوعة التراث الشعبي العربي، مرجع سابق.

(١٠) د. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١١٠.

(١١) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، ص ٢٤.

(١٢) د. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ١٠٩- ١١٠.

(١٣) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٢٢.

(١٤) المرجع السابق، ص ٢٣.

(١٥) وهو يريد بـ "القطائف" في آخر البيت الأول: اللاتي يمشين هوناً.

(١٦) الماذي هو العسل الأبيض.

(١٧) الآذي: الموج

(١٨) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، مرجع سابق، ص ٢٤.

(١٩) د. نعمات أحمد فؤاد، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٢٠) أحمد حسين الطماوي: القطائف والكنافة عند الشاعرين الجزار وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٢٨، سبتمبر ٢٠٠٩.

(٢١) المرجع السابق.

(٢٢) أيام المخلل يشير بها إلى أيام الضنك والشح والفاقة.

(٢٣) أحمد حسين الطماوي، القطائف والكنافة عند الشاعرين الجزار وابن نباتة، مرجع سابق.

(٢٤) محمد رجب السامرّائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية ٢٠٠٢م.

(٢٥) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢٦) أحمد بن علي الدلجي: الفلاكة والمفلوكون، سلسلة الذخائر، ع (١٠٥) ٢٠٠٣.

(٢٧) محمود الشرقاوي: شهر رمضان عادات ونوادر، مجلة العربي، العدد ٤١٢ - مارس ١٩٩٣.

(٢٨) أحمد فضل شبلول: مكسّرات رمضان، مجلة العربي، العدد ٦٢١ - أغسطس ٢٠١٠.

الاستعداد لعيد الفطر المبارك

- كسوة العيد
- كعك العيد

الاستعداد لعيد الفطر المبارك

فى الثلث الأخير من شهر رمضان تبدأ الأسر المصرية فى الإعداد لاستقبال عيد الفطر المبارك بصناعة الكعك وحياكة الملابس الجديدة وتفصيل الأحذية أو شرائها جاهزة من المحلات.. إلخ، وهى كلها أمور تحقق البهجة للأطفال وتشكل دوائر أحلامهم فى اليقظة والنوم.

يشير «عبد الحميد حواس» أن الأطفال فى هذه الأوقات يبدءون فى تحويل أغانيهم أثناء جولاتهم، من وداع رمضان، إلى أغاني فرحة بقدوم العيد، من مثل: يا برتقان أحمر وجديد/ بكره الوقفة وبعده العيد، ثم يتعالي مع تسيير موكب يزف «العيدية»، المكونة من الكسوة والكعك والسكر والشربات ونحوها، وهى الهدية المقدمة من أهل الخاطب حديثًا إلى أهل خطيبته. وتحمل البنات والنساء مكونات هذه الهدية في سلال على رءوسهن يستعرضنها سائرات في طابور يغنين ويزغردن. وهذه المواكب الصغرى تمهد للاحتفال الأكبر عند حلول يوم العيد نفسه.

والاحتفال بالعيد في هذا السياق ـ هو تكبير للمواكبية والشعائرية التي سادت خلال الشهر الكريم، وحولت ممارساته الفردية إلى طقوس جمعية. وبها تبقي أيام رمضان في الوجدان والضمير التئامًا مع «نحن» الجماعة واستعادة للحياة المشتركة المتآلفة، حيث يتكامل فيها المقدس مع الدنيوي والروحي مع الاجتماعي؛ لذا ليس غريبًا أن نجد الفرد يبادر زميله، في «أبورماد» بأقصي الجنوب، عندما يلتقيان بعد دخول شهر السماح، أن يسأله أن يمنحه «العفو لله»[1].

كسوة العيد

تعد كسـوة العيد أو ملابس العيد، واحدة من أهم المظاهر الاحتفالية التى تسـتغرق اهتمامـات المصريين فى الثلث الأخير من شهر رمضان، حيث كان يطلق على عيد الفطر «عيـد الحلـل»، وهذه الاهتمامات ليسـت وليدة هذا العصر وإنما تـضرب بجذورها إلى حيث دولة الخلافة الإسـلامية في عصور بني أمية والعباس والتي كانت رسومها تقضي بتفريـق الخلع على أرباب الوظائـف في الدولة خلال شهر رمضان ليبدو موكب الخليفة وهو في طريقه لأداء صلاة العيد قشيباً ومزداناً بألوان الملابس الرائقة والجديدة.

وكما هو شأنهم دائماً فقد وجه الفاطميون عناية خاصة لكسوات العيد بعدما أسسوا دولتهـم الكـبرى في مصر والشـام وشمال إفريقيـا وشبه الجزيرة العربيـة وذلك في إطار عنايتهم برسوم البلاط والدولة.

وقد احتلت «كسوة العيد» المكانة الأولى بين إجراءات احتفال الفاطميين بعيد الفطر حتـى أن هـذا العيد كان يعرف في عصرهم بعيد الحلل، لكثرة ما يوزع فيه من كسـوات جديدة على الخاصة والعامة.

وكانـت «دار الكسـوة» هى الجهة المنوط بها توزيع كسـوات العيد عـلى أربابها بدءًا مـن الوزيـر ومـروراً بالأمـراء وكبـار وصغـار موظفـي الدواويـن وانتهـاء بالفراشين والمستخدمين في الدولة.

ويقـوم صاحـب ديـوان الإنشـاء بكتابـة «رقـاع» مـن الـورق توضع في كل كسـوة خاصـة بأحد وجـوه الدولة. ومن هذه الرقـاع واحدة كتبها «ابـن الصيرفي» لتوضع في كسـوات عيد الفطر عـام ٥٣٥هـ وقد جاء بها «ولم يـزل أمير المؤمنين منعـماً بالرغائب

مولياً إحسانه كل حاضر وغائب مجزلاً حظهم من منائحه ومواهبه.. وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه وأحراهم باستنشاق نسيمه وأخلقهم بالجزء الأوفى منه عند نصبه وتقسيمه ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيئاتهم ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخدمه فيه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال، ولا يبقى بعدها مطمع للآمال...».

أما المسئول عن «دار الكسوة» فكان يعرف «بصاحب المقص» وهو مقدم الخياطين، ولرجاله مكان يقومون فيه بالخياطة والتفصيل، وهو يعمل وفق الأوامر الصادرة إليه من الخليفة وحسب ما تدعو إليه الحاجة. ويحمل إلى دار الكسوة ما يعمل من نسيج وملابس من دور الطراز بمدن تنيس ودمياط والإسكندرية.

ودور الطراز هي مصانع النسيج الحكومية التي تشرف الدولة على منتجاتها وكلمة «طراز» معربة من الفعل «ترازيدن» ومعناها يوشي أو يطرز، وإن استخدمت في مصطلح العصور الوسطى لتدل على العبارة الرسمية التي تتخذها الدولة شعاراً لها وتقوم بتسجيلها على النسيج والعملة أو غير ذلك من الأشياء ذات الطابع الرسمي.

فمصر مثلاً كان طرازها الذي يوضع على روق البردي يشير إلى عقيدة النصرانية في الأب والابن والروح القدس ثم صار بدءاً من عهد عبد الملك بن مروان يحمل الإشارة إلى دين التوحيد « لا إله إلا الله وحده. محمد رسول الله».

ودور الطراز على نوعين، «دار طراز العامة» وهي تصنع منسوجات تباع في الأسواق أو تهدى لموظفي الدولة في المواسم والمناسبات، «ودار طراز الخاصة» وإنتاجها موقوف على الخليفة وآل بيته فقط. وهذه الدور هي التي تسلم كسوات العيد إلى دار الكسوة.

وكان بدار الكسوة قسم خاص بملابس الخليفة تتولى الإشراف عليه امرأة تنعت «بزين الخزان» وتحت إمرتها ثلاثين جارية «فلا يغير الخليفة أبداً ثيابه إلا عندها».

ومهما يكن من أمر هذه الدار ومشرفيها، فإن الدولة كانت تخصص ميزانية ضخمة للإنفاق على كسوة العيد. وقد بلغت النفقة عليها، في عام ٥١٥هـ على سبيل المثال

قرابة عشرين ألف دينار ذهبي، صنعت بها ملابس من الحرير الموشى بالذهب والديباج الملـون (القطيفـة) والقطـن والكتان المطرز وأقمشـة أخـرى لا نعـرف الآن مدلولات أسمائها مثل «السقلاطون» و «البوقلمون».

ولا شك في أن الذين كانوا ينعمون بمثل هذه الكسـوات الخليفية كانوا يتباهون بها على العامة، لأن تلك الملابس التي تحمل في طرازها اسـم الخليفة وسـنة الإهداء هى في حقيقة الأمر بمثابة الأوسمة والنياشين والأنواط في العصر الحديث.

وتقـضي الأوامر التـي كانت تصدر لدار الكسـوة بـضرورة توصيل الكسـوات إلى أصحابهـا قبيل ليلة العيد، حتى إذا ما خرج الخليفة لصلاة العيد خارج باب النصر ماراً بـبـاب قصره يعرف بباب العيـد، كانت القاهرة أشبه بكرنفال للملابس الجديدة الزاهية الألـوان والتي يرتديها الأمراء وموظفو الدواويـن والجنود وكافة أصحاب الرواتب في الدولة.

وقد تقلصت عادة إهداء الدولة لكسـوة العيد بعد سـقوط الخلافة الفاطمية ورويداً رويداً اقتصرت ظاهرة إهداء «الخلع» على الأمراء وكبار الموظفين عند توليهم لمناصبهم فقط.

ولم يمنـع ذلـك أصحـاب الخـير من السـير عـلى سـنة الفاطميـين بإهداء كسـوات في عيد الفطر، فقد حرص مؤسسـو المدارس والمسـاجد والكتاتيب في العصر المملوكي عـلى النـص في وثائـق أوقافهـم المعينة للإنفاق على أنشـطة هذه المنشـآت عـلى أن يقوم المشرف عـلى الوقف «ناظـر الوقـف» بصرف كسـوات للموظفـين والتلاميـذ الأيتام بمناسـبة عيد الفطر، أو صرف بـدل نقـدي بلـغ في وثيقة وقف السـلطان قايتباي ألفي درهم.

وقـد ذاعت شهرة دور الطراز المصرية بما أنتجته من المنسـوجات الكتانية والحريرية والتـي كانـت تصـدر في العصـور الوسـطى عـلى العديـد مـن الـدول الإسـلامية بـل والأوروبية. وكان الأسـلوب الصناعي السـائد هو اتخاذ لحمات الأقمشـة من الحرير أو الصوف وسداتها من الكتان، على أنه وجدت بعض الأقمشة المصنوعة كلها من الحرير «سدى ولحمة» وغالباً ما كانت توشى بخيوط من الذهب.

وقد تعددت طرق زخرفة المنسوجات التي كانت تصنع منها كسوات العيد، فشملت الصباغة والتلوين والتذهيب والتطريز والطبع والتطبيق (البرودرية) والزخرفة المنسوجة.

أما الأزياء التي كان يرتديها المسلمون، فقد تنوعت بحسب الشريحة الإجتماعية التي ينتمي إليها أصحابها، أو الوظائف التي يعملون بها وإن اتفقت جميعها في توخي الاتساع والاحتشام، ولا فرق في ذلك بين أزياء الرجال وأزياء النساء.

وحتى العصر العثماني لم يتغير زي أرباب الوظائف الديوانية والقضاة وكذلك كبار التجار، والذي كان قوامه «الطيلسان» والعمامة الكبيرة، وكذلك الحال بالنسبة لملابس النساء، وإن تبدلت ملابس العسكريين منذ بداية العصر المملوكي.

وما أن أهلّ العصر العثماني في مصر حتى كانت الأزياء قد تبدلت لتحاكي ما كان يلبسه أتراك القسطنطينية، وصار زي كبار التجار والأثرياء في المجتمع المصري مكوناً من : «اللباس» وهو سروال الصيف (عادة من التيل) ويستبدل في الشتاء «بالشرشير» وهو من الجوخ. وتميزت سراويل المماليك وقتها بلونها الأحمر وقماشها الحريري المستورد من البندقية. وبعد ذلك نجد «القميص» وهو يتدلى حتى العقبين، ويلبس فوق السراويل وأكمامه واسعة وبالغة الطول. واختص المماليك بارتداء «اليلك» وهو صدارى واسع قصير، وأكمامه طويلة جداً وبالغة الاتساع.

وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك ثلاثة أنواع من الأثواب المتسعة المفتوحة من الأمام وهي «القفطان»، و «الجبة» وكانت تلبس فوق القفطان ثم « البنيش».

وجرت العادة بأن يرتدي الموسرون أحزمة من الموسلين أو الصوف أو الحرير فوق القفطان ويعتمرون العمامة المكونة من الطربوش الأحمر والشال الذي يلف حوله.

ولم يكن لفقراء المدن والريف نصيب في هذه النوعيات من الملابس إذ اقتصرت ملابسهم على قطعتين من الملابس الداخلية وقميص من التيل الأزرق له كمان طويلان وهو يعتبر الرداء الوحيد لهم في فصل الصيف. ولا يستغني الفقراء عن خدمات هذا

القميـص إلا بعد أن يكون العرق قد نال منـه النصيب الأوفى؛ لأن الصابون وقتها كان ترفاً لا يقدر عليه إلا الأثرياء.

أمـا ملابس النسـاء في العصر العثماني فقد اشتملت عـلى: «اللباس» الذي كان يتخذ من الكتان أو القطن صيفاً. ومن نسيج أكثر سمكاً في الشتاء ويعرف عندئذ «بالشنتيان»، ثم القميص واليلك الذي يختلف عن يلك الرجال في ضيق أكمامه، وقد يسـتبدل اليلك « بالفستان» المغلق من الصدر، وترتدي النساء «الجبة» فوق الفستان، ويعقدن الأحزمة من الخلف بحيث تتدلى على هيئة المثلث.

أما غطاء الرأس ويعرف باسـم «الربطة» فكان مكونـاً من الطاقية والطربوش مـن فوقهـا ثم «القمطـة» التي تلـف حول الطربـوش وتزين باللآلـئ والأحجار الكريمة.

واعتادت النسـاء عنـد خروجهن للطريق العـام ارتداء «التذييـزة» وهى مكونة من ثلاث قطع:

١ - السـبلة : وهـو قميص واسـع مـن التفتاز يغطي كـل الملابس ويتـدلى حتى يلامس الأرض.

٢ - البرقـع : قنـاع الوجـه ابتداء من أسـفل الأنف ويتصل بالربطة مـن فوق الجبهة من الجانبين ويتدلى حتى الركبتين.

٣ - الحـبرة : قطعـة كبـيرة مـن قـماش التفتاز الأسـود، توضع فـوق الـرأس وتغطى به «الربطة» والملابس واليدين وتخلعه المرأة عند دخولها لأحد البيوت.

وقد اكتفت نساء الطبقات الشعبية بارتداء السراويل ومن فوقه قميص أزرق اللون واسـع جداً وأكمامه طويلة وواسـعة تنزل حتى الردفين. ولم يعدم الأمر نسـاء في الريف والمدن من كن يخرجن إلى العمل والأسواق وهن يرتدين «اليلك» بدون قميص وهو ما يعني عملياً الكشف عن جزء من صدورهن، ونجد أمثلة كثيرة لهذه الحالات في رسوم علماء الحملة الفرنسية والرحالة الأوروبيين أيضًا.

ورغم تغير أنواع الأقمشة وتنوع الأزياء التقليدية والأوروبية التي نرتديها الآن فإن أبنـاء الطبقـات المختلفة ما زالوا يبدون حرصًا شديدًا على شراء «كسـوة العيد» رغم ما يسـببه ذلك من عنت للعائلات التي تتمتع بوفرة في عدد الأبناء، ولكن الذي يهوّن من الأمر بعض الشيء أنها لا تشتري غالبًا ثيابًا جديدة في عيد الأضحى الذي لا يبعد كثيرًا عن عيد الفطر[٢].

كعك العيد

تعـد صناعـة الكعك من أقدم العـادات التي عرفها المصريون القدماء، التي نشـأت مع الأعياد ولازمت الاحتفال بأفراحهم، ولا تختلف صناعة الكعك اليوم في مصر عن المـاضي، ممـا يؤكد أن صناعته اليوم امتداد للتقاليد الموروثة. فقد وردت صور كثيرة عن صناعـة كعك العيد في مقابر طيبـة، ومنف، ومن بينها ما عُثِرَ على جدران مقبرة رخمي- رع من الأسرة الثامنة عشرة، إذ تبين كيف كان عسـل النحل يخلط بالسـمن ويقلب على النار، ثم يُصب على الدقيق ويُقلّب حتى يتحول إلى عجينة يسـهل تشـكيلها بالأشكال المطلوبة، ثمّ يُرصُّ على ألواح من الإردواز، ويوضع في الأفران كما كانت بعض الأنواع تُقـلّى في السـمن والزيت. وكان المصريون القدامى يُشـكلون الكعـك على هيئة أقراص بمختلـف الأشكـال الهندسـية ذات الزخـارف، كـما كان بعضهـم يصنـع الكعك على شكل حيوانات أو أوراق الشـجر وبعض الزهور، وغالباً ما كان الكعك يحشـى بالتمر المجفف- العجوة- أو التين ثم يقومون بزخرفته بالفواكه المُجففة مثل النبق أو الزبيب. وكانـوا يصنعون الكعك أو الفطير عند زيارتهم المقابر في الأعياد، لاسـتخدامه كتميمة سـحرية ذات مغـزى ارتبط بأسـطورة إيزيـس وأوزيريـس[٣]. ويطلـق المصريون الآن عـلى هذا النـوع من الكعك الذى يـوزع فى المقابر كصدقة عـلى أرواح الموتى فى الأعياد «الشريك».

ويؤثـر عن أبي بكر محمـد بن على المادرائي وزير الدولة الإخشـيدية، أنه عمل كعكًا حشـاه بالدنانير الذهبية، أطلقوا عليه وقتئذ اسـم (أفطن له)[٤]، وكذلك كان يفعل من قبله الإمام الليث بن سعد الذي يقال إنه أهدى إلى الإمام مالك بن أنس بالمدينة، صينية

وضع فيها الكعك المصري وكان حشوها من الذهب، كما كان يهدي إلى أصدقائه أمثال هديته إلى الإمام مالك.

وفي العصر الفاطمي خصصت الدولة داراً عرفت بدار «الفطرة» أنشأها المعز لدين الله لعمل ما يحمل إلى الناس في العيد، ومكانها الآن بجوار الباب الأخضر بالمشهد الحسيني. وكان العمل في دار الفطرة يبدأ في النصف الثاني من رجب ليلاً ونهاراً، حيث كان يصنع فيها ألوان مختلفة من الكعك، نذكر من هذه الألوان: «الخشكنانج»، وهو الذي لا يزال بعض عامة الشعب يطلقون عليه الآن اسم «خشنينة»، وصنف آخر يقال له «كعب الغزال» وصنف ثالث يعرف «بالبرما ورد» وصنف رابع يقال له «البسندور»، وكان يقوم بصنع هذه الألوان مائة عامل ويعدون ما يصنعونه ليفرق على الخاصة والعامة قبل العيد بيوم واحد، على قدر منازلهم في أوان لا تستعاد.

وفي آخر العصر الفاطمي قدر ما يستخدم في صنع الكعك والحلوى في دار الفطرة بألف أردب دقيق و ٧٠٠ قنطار سكر و ٦ قناطير قلب فستق و ٨ قناطير قلب لوز و ٤ قناطير قلب بندق و ٢٠٠ إردب زبيب و ٢٠٠ قنطار زيت و ٣ قناطير عسل نحل و ٢٠٠ إردب سمسم و ٢٠ قنطار ماورد وإردبين أينسون و ٥٠ رطل مسك وعشرة مثاقيل زعفران مطحون بخلاف بيض الدجاج. وكانت توضع أصناف الكعك المختلفة على صوان أو أطباق من الذهب الخالص للخاصة أو من الفضة للعامة مع ما كان يحمل إليهم من ثياب وحلي.

ويبدو أن المصريين كانوا يختارون دقيقاً خاصاً يصنعون به الكعك حتى أنهم أطلقوا على القاضي «القشيري» عندما رأوه يلبس طيلساناً أبيض لقب «دقيق العيد» وعرفت أسرته بأسرة «ابن دقيق العيد» نسبة لذلك.

وكما كان الفاطميون يفتنون في صنع الكعك والحلوى ابتهاجاً بعيد الفطر كانوا يمدون الولائم في ليالي العيد به. يصف لنا أحد المؤرخين أن المائدة كانت ٢٠٠ ذراع طولاً في عرض سبعة أذرع، كان يوضع عليها أنواع الكعك التي صنعت في دار الفطرة، فإذا صلى الخليفة الفاطمي الفجر وقف في شباك القصر وأمر بدخول العامة فيدخل الناس ويتخاطفون الكعك ويحملونه إلى دورهم، فإذا خرج الخليفة لصلاة العيد؛ ركب في موكبه ثم يذهب بعد الصلاة إلى قاعة الذهب؛ حيث أعدت له مائدة من الفضة يقال

لها – المدورة– وعليها أواني الفضة والذهب التي تحمل الأطعمة المختلفة، وفي الوقت نفسه كان يمد السماط الكبير، وهو من خشب مدهون مزين بالأزهار والورود ليتناول خاصة الخليفة الطعام، وعلى هذه المائدة ترص الأطعمة بطريقة خاصة في صحون يبلغ عددها ٥٠٠ صحن[٥].

ويلاحظ أنه خلال الاحتفال بالعيدين فى العصر الفاطمى كانت الحلوى تصنع على هيئة الإنسان ومختلف الحيوانات، وقد ورثت مصر الحديثة ذلك من الفاطميين فعادة صنع الحلوى والكعك على هيئة الإنسان والحيوانات المختلفة مازلنا نشاهدها في القرى المصرية بصفة خاصة.

وفي العصر المملوكي كانت البيوت تتبادل التهنئة بالعيد كما يتبادلون أطباق الكعك الذي كان يتم تجهيزه خلال الأيام الأخيرة من شهر رمضان، ويبدو أن البعض كان يفضل شراء الكعك جاهزًا؛ إذ إن الرحالة «ابن الحاج» ضمن مشاهداته فى مصر عاب معاصريه أنهم يشترون الكعك الذي يصنعه اليهود بمناسبة عيد الفطر[٦].

وفى العصر الحالى تنشغل البيوت المصرية خلال الثلث الأخير من شهر رمضان بالإعداد لصناعة الكعك بشراء مستلزماته من دقيق وخميرة وسمن وتجهيز المناقيش والقوالب، وحجز الصيجان من الأفران، وفى الأيام الأخيرة تلتف نساء العائلات وبناتها حول صناعته، حيث يتم تخمير العجين أولا، وبعدها تبدأ عملية تقطيعه والنقش عليه بالمناقيش، ثم رصه فى الصاجات، والذهاب به إلى الفرن لتسويته.

وتحرص العديد من الأسر على إضافة اللبن والفانيليا وماء الورد للعجين لإضفاء رائحة طيبة عليه ومذاق حلو، أو حشوه بالملبن والمكسرات أو العجوة.

ومن أهم ما يصاحب صنع كعك العيد، فرحة الأطفال ولهوهم بالعجين الذين يروحون يصنعون منه أشكالاً محببة لديهم كالعرائس والأحصنة، حيث يحرص كل طفل على أكل العروسة التي صنعها بيديه بعد تسويتها في الفرن.

ويلاحظ أنه فى السنوات الأخيرة باتت العديد من الأسر تقوم بتجهيز الكعك فى الأفران، أو شرائه جاهزًا.

وتعود المصريون على التهادى بالكعك فى أيام العيد أو تخصيص نصيب منه لتوزيعه على المقابر كما تقدم أعلاه.

وهنـاك بعض المعتقدات المرتبطة بصناعة كعك العيد، حيث يعتقد البعض أن العام الذى لا يصنع فيه كعك العيد سيشهد موت أحد أفراد الأسرة، كما أنه فى حالة فقد أحد أفراد الأسرة فلا يصح أن يصنع الكعك في العام الأول على الوفاة؛ كما أن جيران المتوفى لا يقبل منهم أن يصنعوا الكعك إلا بعد استئذان أسرة المتوفى.

الهوامش

(١) عبد الحميد حواس: وداعًا رمضان.. أهلا بالعيد، جريدة القاهرة ، السنة الخامسة ، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤ .

(٢) د. أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧، صص ٣٣-٣٦.

(٣) محمد رجب السامرائى: رمضان والعيد.

(٤) راجع: حسن عبد الوهاب، رمضان، مرجع سابق.

(٥) محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفلكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، ص ٧٨- ٨٠.

(٦) د. سمية حسن محمد إبراهيم، العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ٣٢- ٣٣.

أعلام الكتاب

ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ/ ١١٦٠ - ١٢٣٣ م)

أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير.

ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها.

من تصانيفه «الكامل» اثنا عشر مجلدًا، مرتب على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩ هـ، و «أسد الغابة في معرفة الصحابة» خمسة مجلدات كبيرة، مرتب على الحروف، و «اللباب» اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، و «تاريخ الدولة الأتابكية » و «الجامع الكبير» في البلاغة، و «تاريخ الموصل» لم يتمه. (الأعلام للزركلي).

ابن الجوزي، أبو الفرج (٥٠٨هـ - ٥٩٧/ ١١١٦ - ١٢٠١م).

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي. الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسِّر، المحدث، المؤرخ ، شيخ الإسلام عالم العراق.

كتب بخطه كثيرًا من كتبه إلى أن مات. كان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، وقيل إنه حضر في بعض مجالسه مائة ألف. وقال : «كتبت بأصبعي ألفي مجلد، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفًا». ومن تصانيفه المهمة: زاد المسير في التفسير؛ جامع المسانيد؛ المغني في علوم القرآن؛ وتذكرة الأريب في اللغة؛ الموضوعات؛ الواهيات؛

الضعفاء؛ المنتظم في التاريخ؛ الناسخ والمنسوخ؛ غريب الحديث؛ الوفا في فضائل المصطفى. (الموسوعة العربية العالمية http: //www.mawsoah.net)

ابن الحاج

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، ويشار إليه أحيانًا بالعبدرى. تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج، وكف بصره في آخر عمره وأقعد.

له (شموس الأنوار وكنوز الأسرار) و (بلوغ القصد والمنى في خواص أسماء الله الحسنى) وقد زار مصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن هجري، ودون مشاهداته عنها في كتابه: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد. توفي بالقاهرة عن نحو ٨٠ عاما.

ابن إياس (١٤٤٨-١٥٢٣م)

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى

مؤرخ عربي ولد بالقاهرة، ألف في التاريخ ونظم الشعر. شاهد الأحداث الأخيرة من حكم المماليك الجراكسة بمصر والسنوات الأولى من الفتح العثماني. ذكر في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» شتى ما مر بالقاهرة من الحوادث، وتحدث عن أخطاطها ورجالاتها، ويعتبر هذا الكتاب حلقة الاتصال بين المقريزي والجبرتي. (عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، بتصرف يسير).

ابن بطوطة (٧٠٣- ٧٧٩ هـ/ ١٣٠٤- ١٣٧٧ م)

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، المعروف بابن بطوطة، ولد ولد في ٢٥ فبراير ١٣٠٤م الموافق ١٧ من رجب ٧٠٣هـ، ونشأ في مدينة

طنجة بالمغرب، وخرج منها سنة ٧٢٥، فطاف بلاد المغرب ومصر؛ حيث وصل إلى ميناء الإسكندرية زائرًا لمصر في أول جمادي الأولى سنة ٧٢٥ هـ، زمن الولاية الثالثة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ هـ/ ١٣١٠م- ٧٤١هـ/ ١٣٤١م). وزار الشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية.

واتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم - وكان ينظم الشعر - واستعان بهباتهم على أسفاره. وعاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده. وأملى أخبار رحلته على (محمد بن جزي) الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦ وسماها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنكليزية، ونشرت بها، وترجمت فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا.

وكان يحسن التركية والفارسية. واستغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥ - ١٣٥٢) ومات في مراكش. وتلقبه جمعية كمبردج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين. لقبه المستشرق دوزي يلقبه بالرحالة الأمين. (الأعلام للزركلي، و محمّد رجب السامرّائي: فطور وسحور واحتفالات في كتابات الرحالة، جريدة الاتحاد، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٩).

ابن تغري بردي (٨١٣ - ٨٧٤ هـ = ١٤١٠ - ١٤٧٠ م)

يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين: مؤرخ بحاثة. من أهل القاهرة، مولدًا ووفاة. كان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ومن أمراء جيشه المقدمين، ومات بدمشق سنة ٨١٥ هـ.

ونشأ يوسف في حجر قاضي القضاة جلال الدين البلقيني (المتوفي سنة ٨٢٤) وتأدب وتفقه وقرأ الحديث وأولع بالتاريخ وبرع في فنون الفروسية وامتاز في علم النغم والإيقاع.

وصنف كتبًا نفيسة، منها، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» و «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي - ط» الجزء الأول منه، في التراجم، كبير، ومختصره «الدليل الشافي

علـى المنهـل الصافي» أكمـل بهما الوافي للصفـدي، و «مورد اللطافة في من ولي السـلطنة والخلافـة » و «نزهة الرائي» في التاريخ، منه الجزء التاسـع مخطوط، و «حوادث الدهور في مـدى الأيام والشـهور » أربعة أجـزاء منه، جعله ذيـلا لكتاب السـلوك للمقريزي، و «البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر» مطول في التاريخ، منه جزء صغير مخطوط، و «حلية الصفات في الأسماء والصناعات» أدب.

ابن جبير (٥٣٩ - ٦١٤ هـ/ ١١٤٥ - ١٢١٧ م)

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين: رحالة، أديب.

رحالة أندلسي ولد عام ٥٣٩ هـ/ ١١٤٥ م في مدينة بلنسـية من أسرة عربية عريقة، تلقـى علـوم الديـن والشريعـة في شاطبـة، وبرز كشـاعر وكاتـب لدى حاكـم غرناطة بالأندلـس وعندما بلغ الأربعين قرر الترحال إلى الأراضي الحجازية بحرًا من الأندلس إلى شـمال إفريقيـا ومنها إلى الإسـكندرية، ثم تحرك ركبـه إلى القاهرة، ومنهـا انتقل عبر نهـر النيـل حتى مدينة قـوص في صعيد مصر، ثم برًا إلى ميناء عيـذاب على البحر الأحمر ليستقل سفينته حتى ميناء جدة.

وقـام ابـن جبـير بالرحلـة الثانية التـي اسـتمرت عامين عند سـماعه نبـأ تحرير بيت المقدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ - ١١٨٧م، وأما رحلته الثالثة والأخيرة فبدأها وعمره في الثالثة والسـبعين، ولم يعد إلى مسـقط رأسه حتى توفاه تعالى في الإسـكندرية عام ٦١٤هـ - ١٢١٧م. (الأعلام للزركلى، و محمد رجب السامرائى: رمضان فى الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية ٢٠٠٢م).

ابن سعد (١٦٨-٢٣٠ هـ/ ٧٨٤-٨٤٥ م)

أبو عبد الله محمد بن سـعد بن منيع البغدادى. كان يطلق عليه كاتب الواقدي حيث تتلمذ على يديه.

عـاش معظم عمره في بغداد. اشتهر بكتابة السـير الذاتية وكان مصدر ثقة لكثير من العلماء والكُتّاب في العصور التي تلته. من أهم مؤلفاته "الطبقات الكبرى".

ابن كثير، القرشي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ).

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، صاحب التفسير المشـهور والمعروف بتفسـير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشـق مع أخيه سـنة ٧٠٦هـ بعد وفاة أبيه. سـمع من علماء دمشـق وأخـذ عنهم مثل: الآمـدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها.

كـان ابن كثير مـن بيت علم وأدب، وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشـأ عالمًا محققًا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسـع الاطلاع إمامًا في التفسـير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفـات كثيرة قيمـة أبرزها البداية والنهايـة في التاريخ وكتاب تفسـير القرآن العظيم، وهـو مـن أفضل كتب التفسـير لمـا امتاز به مـن عناية بالمأثـور وتجنب للأقـوال الباطلة والروايات المنكرة.

تـوفي ابـن كثير بعـد أن كُفَّ بـصره، ودفن في دمشـق. (نقلا عن: الموسـوعة العربية العالمية http: //www.mawsoah.net)

ابن نباتة (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ)

هـو الإمـام «جمـال الديـن أبو بكر محمـد بن نباتـة المـصرى»، ولد بالقاهـرة وعاش بدمشق فترة طويلة، ويقول فيه «ابن تغرى بردى» فى النجوم الزاهرة: برع فى عدة علوم وفـاق أهل زمانه في نظم القريض، وله الشـعر الرائق والنثـر الفائق، وهو أحد من حذا حذو القاضى الفاضل وسـلك طريقه. (أحمد حسـين الطماوى: القطائف والكنافة عند الشاعرين الجزار وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة).

أبو الحسين الجزار ٦٠١-٦٧٩ هـ

أبو الحسـين يحيـى بن عبد العظيـم: من كبار شعـراء الدولتين الأيوبيـة والمملوكية، وكـان جزارًا، ثم احـترف الأدب، ونظم الأشعار، ومدح بعضًا من كبار الشـخصيات

فى عصره، وكان قد ترك الجزارة فترة، ثم عاد إليها؛ لأن الأدب لم يجد عليه، وقد جمع د. محمد زغلول سلام طائفة من أشعاره وحققها وقدم لها بدراسة شائقة، وترجم له فى كتابه «الأدب فى العصر المملوكى». وقال عنه ابن تغرى بردى الأتابكى فى الجزء السابع من النجوم الزاهرة» أحد فحول الشعراء فى زمانه، مولده سنة ٦٠١ هـ ومات يوم الثلاثاء ثانى عشر شوال سنة ٦٧٩ هـ ودفن بالقرافة. قال الشيخ صلاح الدين الصفدى عنه: لم يكن فى عصره من يقاربه فى جودة النظم غير السراج الوراق. (أحمد حسين الطماوى: القطائف والكنافة عند الشاعرين الجزار وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة).

إدم فرنسوا جومار ١٧٧٧ - ١٨٦٢ م

مهندس وجغرافي وأثري فرنسي. ولد في فرساى سنة ١٧٧٧ وتوفى في باريس سنة ١٨٦٢. كان جومار أحد أعضاء البعثة العلمية التي رافقت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، وعضواً بالمعهد العلمي المصري الذي أسسه نابليون في القاهرة سنة ١٧٩٩. كتب جومار القسم الخاص بوصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل في موسوعة وصف مصر ويقع في الجزء الثامن عشر من القسم الخاص بالدولة الحديثة بين صفحات ١١٣-١ ٥٣٥. يتميز وصف جومار لمدينة القاهرة أنه تسجيل ووصف لحالة المدينة والقلعة في سنوات الحملة الفرنسية الثلاث وبالتحديد خلال شهرين يبدءان من يوم ١٠ ديسمبر ١٧٩٩ وينتهيان في منتصف فبراير ١٨٠٠، وهي الفترة التي قام فيها جومار بجولته الميدانية في القاهرة لتسجيل معالمها وتوقيعها على الخريطة التي وضعها المهندسون الجغرافيون المرافقون للحملة الفرنسية.

تناول جومار وصف الخليج المصري، والحارات، والساحات العامة، الأبواب، القناطر، المساجد، التكايا، البيمارستانات، الخانقاوات، الكنائس، القصور ودور البكوات، الكتاتيب، الأسبلة، الحمامات العامة، المقابر والمدافن، قلعة القاهرة. كما تكلم عن سكان القاهرة والصحة العامة، والصناعات والحرف اليدوية والميكانيكية، وعن الصناعات الغذائية وصناعة النسيج والأزياء، وصناعة الأثاث وفن البناء والبنائين، والتجارة والتجار وتبادل البضائع، والأسواق، والعادات والتقاليد القاهرية. كما تناول ضواحي القاهرة مثل البحيرة وبولاق ومصر القديمة وجزيرة

الروضـة. كتب جومار خططـه بعـين الأجنبي الذي يراها لأول مرة عـلى الرغم من أنه نقل الكثير من مادته عن خطط المقريزى الذي كان ما زال مخطوطًا وترجمت له نصوصه إلى الفرنسية. كما اعتمد أيضا بشكل أساسي على وصف الرحالة عبد اللطيف البغدادي لمدينة القاهرة الذي كان قد ترجمه سلفستر دي ساسى.

وقـد ترجم كتابات جومار فى هذا الصدد من الفرنسـية الى العربية الباحث المصري الدكتور أيمن فؤاد سـيد وقدّم له وعلق عليه، وصدر في كتاب بعنوان « «وصف مدينة القاهـرة وقلعة الجبل» مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة حتى سـنة ١٨٠٠. ونشرتـه مكتبـة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨. (فاروق عسـكر، دليل مدينـة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: سبتمبر ٢٠٠٢).

إدوارد وليم لين

جـاء «لـين» إلى مصر لأول مرة عـام ١٨٢٥م، وأقام بها حتـى ١٨٢٨م، ثم غادرها وعاد إليها مرة ثانية عام ١٨٣٣م وبقي بها حتى ١٨٣٥م، ثم زارها مرة ثالثة، وأقام بها خـلال الفترة من ١٨٤٢م حتى ١٨٤٩م. وقد طبع كتابـه «المصريون المحدثون» لأول مـرة عـام ١٨٣٦م، وظهرت منه خمـس طبعات خلال حياة «لين» وترجـم إلى الألمانية. كذلك قام «لين» بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة إلى الإنجليزية خلال الفترة من (١٨٣٨ - ١٨٤٠م) وزوده بتعليقات تتناول حياة وصفات الشخصيات الواردة في القصة، كما قام بجمع مواد لتصنيف معجم عربي إنجليزي وانشـغل به حتى آخر حياته، وظهرت منه خمسة أجزاء في حياته، ثم أكمله ابن أخته المستشرق «إستانلي لين بول».

عبد اللطيف البغدادى

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي بن يوسف:

طبيـب عـالم ورحالـة موصلي الأصـل، بغـدادي المولد ولـد في بغداد سـنة ٥٥٧هـ (١١٦٢م). جاء عبد اللطيف إلى القاهرة وعاش فيها من سـنة ١١٩٤ إلى سنة ١٢٠٤م

في القـصر الأيـوبي. وفي أثنـاء إقامته ألف كتابه «الإفـادة والاعتبار في الأمور المشـاهدة والحـوادث المعاينـة بأرض مصر» وذكـر أنه انتهى مـن تأليفه في رمضان سـنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م). وقد نشر الكتاب في القاهرة سـنة ١٩٣١ وأصدرته مطبعة المجلة الجديدة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية سنة ١٨١٠ في باريس. (فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشـبكة الذهبية، أبوظبي: سـبتمبر ٢٠٠٢، ود. أحمـد السـيد الصاوي، رمضـان زمـان، القاهـرة: مركز الحضـارة العربية، ١٩٩٧، ص ٩٥- ٩٦).

عبد الرحمن الجبرتى ١٣٦٨- ١٢٣٧ هـ/ ١٧٥٦ -١٨٢٢م

عبـد الرحمـن بن حسـن بن برهـان الديـن الجـبرتي، ولـد بالقاهرة سـنة ١٣٦٨هـ (١٧٥٦م) وتـوفى بهـا سـنة ١٢٣٧هـــ (١٨٢٢م). درس في الأزهـر وبـرع في الأدب والتاريخ. عين عضوا في الديوان العام الذي أنشأه الفرنسيون في القاهرة بعد احتلالهم مصر سنة ١٧٩٨. ألف الجبرتي كتابه الشهير: «عجائب الآثار في التراجم الأخبار» وهو تاريخ عام لمصر وخططها منذ سنة ١١٠٦هـ (١٦٩٥م) إلى سنة ١٢٣٦هـ (١٨٢١م). وصدر في أربعة أجزاء عن المطابع الأميرية في بولاق بالقاهرة سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م). يتناول الجبرتى في كتابه تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية، وفي أثنائها وبعد رحيلها عن مصر، ويصل في حوادثه إلى سـنة ١٨٢١ متبعًا أسلوب الحوليات واليوميات في إفاضة وتفصيـل. يجعل الجبرتى تعيـين المواقع والأماكن ظاهرة واضحـة في سرده للأحداث فـلا يـورد حادثًا من حوادث الحرب أو الثورة، أو المواكب والحفلات العامة ولا سـيما في القاهـرة إلا قرنـه بتحديـد الأماكن والمواقع مـن شوارع وميادين ودروب ومنازل بحيـث نسـتطيع أن نصور معالم القاهرة في عصره جلية واضحـة، وأن نتعرف بالمقارنة في خططهـا وإحيائهـا المعاصرة على كثير من خططها وإحيائهـا منذ أكثر من قرنين وأن نصل المعالم والمواقع، والأسـماء الحالية سـنة ٢٠٠٢ بما كانت عليه في عصر الجبرتى في القرنين ١٨، ١٩.

وقـد ذكـر الجبرتي مـا أقيـم في القاهرة في عـصره من معاهـد، ومسـاجد، وقصور، ولسـانين وأحيـاء، وشـوارع وحارات، وما اندثر منها وما استجد، ومـا تغيرت معالمه

وذلك من خلال الحوادث العامة التي يسودها، أو من خلال تراجم الأمراء المماليك أو الترك، أو كبراء القاهريين. وقد وصف الجبرتي ما أحدثه الفرنسيون خلال الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١ في بعض خطط القاهرة وأحيائها من هدم وتغيير، وإنشاء ما اقتضته الإغراض العسكرية للحملة، كما وصف ما دمر أو أزيل أو شُوِّه من أحيائها ودُروبها ومبانيها.

قدم الجبرتي صورة واضحة مفصلة عن خطط مصر القاهرة ومواقعها ومعالمها خلال القرن الثامن عشر والثلث الأول من القرن التاسع عشر.. ومنه تستمد آخر الصور وأصدقها عن خطط مصر القاهرة القديمة وهي الصورة الفاصلة بين قاهرة العصور الوسطى وقاهرة القرن التاسع عشر قبل عصر الخديو إسماعيل.

وقد ترجم كتاب عجائب الآثار للجبرتي الى الفرنسية مرتين الأولى بقلم المسيو cardin مترجم القنصلية الفرنسية بالقاهرة المتوفى سنة ١٨٣٨، وهذه الترجمة قاصرة على الجزء الخاص بأحداث الحملة الفرنسية على مصر. والترجمة الثانية أتمها نخبة من الأدباء المصريين برئاسة شفيق منصور يكن، وظهرت في تسعة أجزاء بين أعوام ١٨٨٨ - ١٨٩٦. (عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم/ طه.. القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٨. وفاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: سبتمبر أيلول ٢٠٠٢).

الخوارزمي، أبو عبد الله (٠٠٠ - ٣٨٧ هـ = ٠٠٠ - ٩٩٧ م)

محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي: باحث. من أهل خراسان.

له كتاب «مفاتيح العلوم» ألفه وأهداه للوزير العتبي (عبيد الله بن أحمد). ويعد كتابه من أقدم ما صنفه العرب، على الطريقة الموسوعية قال المقريزي: وهو كتاب جليل القدر. (الأعلام - للزركلي).

السُّيوطي، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١ هـ ١٤٤٥ - ١٥٠٥م).

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. والسيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر. عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم. وُلد في القاهرة ونشأ فيها. رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها. تولى مناصب عدة. ولما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف. ذُكر له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف. منها المجلدات الكبيرة ومنها الرسالة القصيرة ذات الورقة أو الوريقات. وذكر الأستاذ أحمد الشرقاوي في كتابه «مكتبة الجلال السيوطي» أن عدد مؤلفاته بلغ ٧٢٥ مصنفًا. من أشهر كتبه: الجامع الكبير؛ الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير؛ الإتقان في علوم القرآن؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك؛ الخصائص والمعجزات النبوية؛ طبقات الحفاظ؛ طبقات المفسرين؛ الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد أحدهما في اللغة، والثاني في فروع الشافعية؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ الفريدة، وهي ألفية في النحو، وله ألفية أخرى في مصطلح الحديث؛ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة؛ همع الهوامع. وله مشاركات أدبية: شعر ومقامات. توفي بالقاهرة. (عن الموسوعة العربية العالمية).

الليث بن سعد (٩٣ : ١٧٥ هـ ـ ٧١٢ : ٧٩١ م)

الليث بن سعد عبد الرحمن وكنيته أبو الحارث.

واحد من أئمة الفقه الإسلامى ورواة الحديث النبوى الشريف. ولد بقرية قلقشندة، مركز طوخ سنة ٩٣ هـ/ ٧١٢م. حفظ القرآن بقريته، ونهل من العوم قدرًا كبيرًا ثم توجه إلى الفسطاط ليستزيد من العلم، وتعلم اللغات القبطية واليونانية واللاتينية فأتاحت له الاطلاع على علوم الآخرين ومعارفهم، وتلقى علوم الفقه والحديث بحلقات الدرس بجامع عمرو بن العاص ثم تصدى للتدريس بها.

قابـل الإمـام مالـك بن أنـس فى إحـدى حجاتـه إلى البيت الحـرام فتـوادا وتصادقا وتبودلـت بينهما رسـائل حوت مناقشـاتهما فى الأمـور الفقهية وقابل الإمـام أبى حنيفة وتناظرا فى بعض المسائل.

جمـع بعض الأحاديث النبويـة ورواها ولم يهتم بتأليف الكتب أو إملاء فتاويه وآرائه على أحد مما جعل الإمام الشـافعي يقول - حين جاء مصر ملتمسًـا علم وفقه السـابقين «ما فاتنى أحد أسفت عليه كالليث بن سعد» وقال فيه ابن وهب: ما رأينا قط أحد أفقه من الليث •

عـاصر أواخـر الحكـم الأمـوى (٤١ - ١٣٢ هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) وبدايـة الحكـم العباسـى، وعـرض عليه الخليفـة العباسـى «المنصور» ولايـة مصر، لكنه اعتـذر مخافة الانشـغال عن العلم فأمر المنصور والى مصر وقاضيها أن يستشار الليث فى كل الأمور، وأمر هارون الرشيد كذلك بألا يتصرف أحد فى مصر ألا بأمر الليث

توفى عام ١٧٥ هـ/ ٧٩١م ودفن بالقرافة الصغرى وله مسـجد معروف باسـمه إلى الآن بالقاهرة .

المقريزى ٧٦٦- ٨٤٥ هـ/ ١٣٦٤- ١٤٤١ م

تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزي، ولد بالقاهرة وتوفى بها. وقد ذكر السخاوى في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» إن اسم المقريزى جاء من أن أصل عائلته. ينسب إلى حارة المبارزة في مدينة بعلبك بالشام. وكان جده من كبار المحدثين في بعلبـك، ثم انتقل والـده للعيش في القاهرة؛ حيث ولـد المقريزى. درس المقريزى في الأزهر، وتقلب في وظائف الوعظ والخطابة والتدريس. وتقلد وظيفة الحسبة وهى من مناصب القضاء المهمة. كان المقريزى مقربًا من السـلطان برقوق مؤسـس دولة المماليك البرجية سـنة ١٣٨٢م، ثـم عند ولده الملك الناصر فرج من بعـده. وقد هجر الوظائف العامة وتفرغ لكتابة التواريخ والسير، وخص مصر وأخبارها وآثارها بأعظم قسط من جهوده وكتب في ذلك مؤلفات جليلة. وقد وصلت إلينا معظم مؤلفات المقريزى ومن أهمهـا على الإطلاق كتابه «المواعظ والاعتبار بذكـر الخطط والآثار» وتجمع المصادر إلى

أن المقريزى بدأ في تأليف هذا الكتاب قرابة سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م)، واستمر في كتابته والتعديل فيه وزيادته حتى سنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩م). وطبع كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطاط والآثار» لأول مرة في المطابع الأميرية في بولاق في القاهرة سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م). يُلقي الكتاب الضوء على مصر القاهرة: خططها القديمة وحاراتها ودروبها وأزقتها وأحيائها وتطوراتها العمرانية والجغرافية. ويصف آثارها من مساجد ومدارس وخانقاوات وقباب وأضرحة وغيرها من الخانات والحمامات والبيمارستانات والأبواب. كما يصف الدور الخاصة والعامة والقصور والحدائق وما تحتويه من فنون وزخارف وثراء. كما يصف الشوارع والأسواق والمتاجر والتجار، والأسبلة والآبار، والوكالات. وتناول الكتاب سير الملوك والسلاطين والأمراء الذين ارتبطت أسماؤهم بالقاهرة. واعتنى المقريزى بعرض صور هامة من تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكرى. ويقدم المجتمع القاهري في أثوابه المختلفة الزاهية والقاتمة.. ويشرح النظم السياسية والإدارية والاقتصادية، التي توالت على مصر. ورسوم ونظم البلاط القاهري في عصوره المختلفة، وأحوال الخلفاء والسلاطين والأحداث المهمة في حياتهم، ومآدبهم ومواكبهم، وأخلاقهم وأطوارهم. يلقى المقريزى الضوء أيضًا على حياة الشعب القاهري وعادات الأفراد والجماعات والطوائف وتقاليدهم وأحوالهم في المعاملات، والملبس، والمأكل، والأفراح، والأتراح والموالد. تميز المقريزى في جمع مادة كتابه بالدقة والتدقيق والاستقصاء والإسناد. (محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية. ص٦٥، وفاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الأول، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: سبتمبر أيلول ٢٠٠٢).

أوليا جلبي (١٠٢٠ ـ ١٠٩٥هـ/ ١٦١١ ـ ١٦٨٤م)

أوليا جلبى أو كما يسمي نفسه أوليا محمد ظلي بن درويش. كاتب ومؤرخ عثماني ولد في استانبول، يحيط الغموض بالكثير من جوانب حياته، ومعظم المعلومات المتوافرة عنه مأخوذة من كتاباته، بل إن اسمه لا يعرف بدقة ولقبه «أوليا» مقتبس من اسم معلمه الإمام في السرايا السلطانية أوليا محمد أفندي. (الموسوعة العربية).

ولـد في ١٠٢٥ هـ الموافق ١٦١٦ ميلادية تقريبًا في حي اونكابان أحد أحياء استانبول، ويبدو أنه مات خلال الثلث الأخير من سنة ١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٤م، قدم وصفًا لسلسلة الرحلات التى قام بها فى الإمبراطورية العثمانية وفي الأراضي المجاورة، في مؤلّفه المكون من عشرة أجزاء، الذي يعرف باسم (سياحتنامة).

محمد أسد

(ليوبولد فايس سابقاً) كاتب وصحفي ومفكر ولغوي وناقد اجتماعي ومصلح ومترجم ودبلوماسي ورحالة. ولد في بولندا عام ١٩٠٠، وتوفي في إسبانيا عام ١٩٩٢م.

درس الفلسفة في جامعة فيينا؛ وعمل مراسلاً صحفيًا، وطاف العالم، ثم استقر في إسبانيا وتوفي فيها ودفن في غرناطة. ويعتبر محمد أسد أحد أكثر مسلمي أوروبا في القرن العشرين تأثيرًا.

زار القاهرة والتقى بالإمام مصطفى المراغي، ودخل معه فى حوار حول الأديان، ثم بدأ بتعلم اللغة العربية في أروقة الأزهر، وهو لم يزل بعدُ يهوديًا.

انتقل للعيش في القدس بعد تلقيه دعوة من أحد أقاربه اليهود للإقامه معه في القدس في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وكتب هناك عدة مقالات مهمة أبرزت قلق العرب من. المشروع الصهيوني. ثم انخرط في دراسة متعمقة للإسلام، حتى قرر التحول من اليهودية إلى الإسلام في ١٩٢٦ وهو في برلين وبعد عدة أسابيع من ذلك أعلنت زوجته إسلامها.

وقام بالترحال إلى العديد من البلدان وزار مصر والسعودية وإيران وأفغانستان وجمهوريات السوفييت الجنوبية. وزار عمر المختار ليبحث معه إيجاد طرق لتمويل المقاومة ضد الإيطاليين كما انتقل إلى شبه القارة الهندية التي كانت تحت الاحتلال الإنجليزي، وهناك التقى بالشاعر الكبير والمفكر محمد إقبال عام ١٩٣٢ الذي اقترح فكرة تأسيس دولة إسلامية مستقلة في الهند (التي أصبحت لاحقاً باكستان)، وقد أقنعه محمد إقبال بالبقاء والعمل على مساعدة المسلمين لتأسيس تلك الدولة.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ اعتقل والدا محمد أسد، وقتلا في وقت لاحق في الهولوكوست على يد النازيين. كما أن محمد أسد نفسه اعتقل على يد الإنجليز وسجن ثلاث سنوات باعتباره عدوًا.

فور استقلال باكستان عام ١٩٤٧ وتقديراً لجهوده وتأييده لإقامة دولة إسلامية منفصلة في شبه القارة الهندية، منح محمد أسد الجنسية الباكستانية وتم تعيينه مديرًا لدائرة إعادة الإعمار الإسلامي. وفي وقت لاحق التحق بوزارة الشئون الخارجية رئيسًا لوحدة شئون الشرق الأوسط عام ١٩٤٩، كما عمل رئيساً لمعهد الدراسات الإسلامية في لاهور، وعين مبعوثًا لباكستان إلى الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٥٢. إلا أنه سرعان ما تخلى عن هذا المنصب ليتفرغ لكتابة سيرته الذاتية (حتى سن ٣٢) (الطريق إلى مكة (الذي ترجم للعربية باسم (الطريق إلى الإسلام).

مؤلفاته: منهاج الإسلام في الحكم، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة وتعليقات على صحيح البخارين، رسالة القرآن، الطريق إلى مكة. (انظر: وكيبيديا)

ناصر خسرو (ت ٤٣٣هـ-١٠٦١م)

رحالة فارسي، قدم إلى مصر وزارها خلال الفترة من ٤٣٧- ٤٣٩هـ/ ١٠٤٥-١٠٤٧م. وتناول في كتاب رحلته انطباعاته ومشاهداته في أثناء تلك الرحلة، فوصف القصور والأسوار والأبواب والمساجد وعادات سكان المهينة وتقاليدهم وبيوتهم ومآكلهم، ووصف الاحتفال الذي أقيم بمناسبة فتح الخليج. يعد كتابه من أهم المراجع للقاهرة الفاطمية. ترجم الرحلة «سفر نامة» المستشرق الفرنسي «شارل شيفر» إلى اللغة الفرنسية ونقلها إلى العربية الأستاذ د. يحيى الخشاب سنة ١٩٤٥. (عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، ص ٣٩٢).

المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: السنن والصحاحات

- أبو داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود.- بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م.
- البخارى: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر "صحيح البخاري".- بيروت،.دار ابن كثير، ١٩٨٧م
- النيسابورى: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم .- بيروت: دار اليمامة، ١٩٨٦م.

ثالثا: المعاجم والموسوعات

- مختار الصحاح: الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٩.م.
- معجم الأعلام، الزركلي.
- المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية- مصر، ٢٠٠٢.م.
- معجم تاريخ مصر، جوان فوتشر كنج، ت: عنان على الشهاوي.- المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع٤٠٨، ٢٠٠٣م.
- موسوعة الأمثال العامية، إبراهيم أحمد شعلان- دار المعارف - مكتبة الدراسات الأدبية، ١٩٩٢م.

- موسوعة التراث الشعبى العربى، د. محمد الجوهرى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢.

- الموسوعة المصرية لأغنيات الأطفال، (١) الشعر الشعبي، إعداد وتصنيف: مسعود شومان، المركز القومي لثقافة الطفل ٢٠٠٨م.

- وصف مصر، تأليف علماء الحملة الفرنسية، ت: زهير الشايب.- الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.

رابعًا: الكتب

- إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية.- سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ع ٨٧- ٨٨، ٢٠٠٤م.

- ابن أبي الدنيا: الإشراف في منازل الأشراف.

- ابن الأثير الكامل في التاريخ دار صادر بيروت ، ١٩٧٩م

- ابن الجوزى: المنتظم

- ابن الحاج: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور.

- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

- ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- دار الكتب- مصر.

- ابن جبير، رحلة ابن جبير.- بيروت: دار صادر، ١٩٦٤م.

- ابن حجة الحموي: بلوغ الأمل في فن الزجل.

- ابـن خلكـان: وفيـات الأعيان وأنبـاء أبناء الزمـان، تحقيق: إحسـان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.
- ابن دريد، الاشتقاق . - القاهرة: المطبعة الفاخرة، ١٩٥٨م.
- ابن سعد، الطبقات الكبري.
- ابـن عبـد الظاهـر- الروض الزاهر في سـير الملـك الظاهر- تحقيق: عبـد العزيز الخويطر- الرياض- (١٣٩٦، ١٩٧٦م).
- ابن فارس، مقاييس اللغة.
- ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
- ابن كثير، البداية والنهاية.
- أبي زكريـا بـن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سـيد المرسـلين، مكتبة العلم.
- أبي زكريا يحيي بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشـهور، تحقيق وتقديم: إبراهيم الإبياري.- دار الكتاب المصري، ١٩٨٠ م.
- أحمد السيد الصاوي، رمضان زمان، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧.
- أحمد بن على الدلجي، الفلاكة والمفلوكون.- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ع ١٠٥، ٢٠٠٣ م.
- أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية.- ط٤- مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- أحمـد مختـار العبادي- قيام دولة المماليـك الأولى- دار النهضة العربية- بيروت- ١٩٦٩م.
- إلهام ذهني، مصر في كتابات الرحّالة الفرنسيين في القرنين ١٦، ١٧م.- القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م.
- الإمام الرافعي: التدوين في أخبار قزوين.

- أنـا نجيـب محفوظ، «سـيرة ذاتية»، تقديـم إبراهيم عبد العزيـز، المجلس القومي للشباب، يناير ٢٠٠٦م.
- أندريـه ريمـون، فصـول مـن التاريـخ الاجتماعـي للقاهـرة العثمانيـة.- كتـاب روزاليوسف، العدد ١٧، يوليو ١٩٧٤م.
- أهداف العمل الثقافي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨م.
- أوليـا جلبي: سـياحتنامه مصر، ترجمة: محمدعلى عونى، تحقيـق: د. عبد الوهاب عزام، د. أحمد السـعيد سـليمان، تقديـم ومراجعة: أحمد فؤاد متـولى، دار الكتب والوثائق القومية.
- أيمـن فـؤاد السـيد: الدولـة الفاطميـة بمصر، الـدار المصريـة اللبنانيـة، القاهرة ١٩٩٢، م.
- جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
- جمال الغيطاني، ملامح القاهرة في ألف سنة، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧.
- جومـار، وصف مصر وقلعة الجبـل، ترجمة: أيمن فؤاد سـيد.- مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م.
- جون لويس بوركهات: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة: هتاف عبد الله، الانتشار العربي، بيروت، ط. أولى، ٢٠٠٥م.
- جيـرار دي نيرفـال: رحلة إلى الشرق، ترجمة: كوثر البحيري، مراجعة: د. سـهير القلماوي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- حافـظ محمـود، المعـارك في الصحافة والسياسـة والفكـر، الهيئة العامـة لقصور الثقافة، سلسلة ذاكرة الكتابة، ع ٦٦، ٢٠٠٥م، ص ١٤٠.
- حافظ محمود، المعارك في الصحافة والسياسـة، ط٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٥م.
- حسن إبراهيم حسـن: تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة، ١٩٥٨م.

- حسن إبراهيم حسن، وطه أحمد شرف - المعز لدين الله - مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٤م.

- حسن عبد الوهاب، رمضان، المكتبة الثقافية، ع٨، دار القلم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.

- خيري محمد عامر، «مشايخ في محراب الفن»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة إصدارات خاصة، يناير ٢٠٠٦م.

- الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - القاهرة: مطبعة بولاق، ١٨٦٧م.

- الراهب القمص بيجول الأنبا بيشوى: كلمات العامية المصرية ذات الأصل القبطى، الناشر : كنيسة مار مرقس بالكويت . طبعة تحضيرية - مايو ٢٠١٠ م .

- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ج ١، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، سلسلة الألف كتاب الثانى، ع ١٦١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

- ريتشارد بيرتون: رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور - الحركة الصليبية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٦م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.

- سمية حسن محمد إبراهيم (د.)، العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧.

- سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٤.

- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. -القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.

- شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف.- ط٢- بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م.
- شوقي عبد القوي حبيب، الاحتفالات الدينية في الواحات.- الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع ٥٤، ٢٠٠٠م.
- صفى الدين الحلى، العاطل الحالى والمرخص الغالى، تحقيق: د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف مصر ١٩٦٧م.
- عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة.
- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم.- القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة
.
- عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧
- عبد الشافي محمد بن عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار الوفاء للطباعة القاهرة، ١٩٨٤م
- عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٥م.
- عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.
- عصام ستاتي، شم النسيم.- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية، ع١٠٩، ٢٠٠٦م.
- علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- علي حسني الخربوطلي: الرسول في رمضان- القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ، ع٣١٢، ١٩٦٨م.
- فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، الجزء الثالث، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبوظبي: إبريل نيسان ٢٠٠٤.
- فاطمة حسين المصري، الشخصية المصرية من خلال دراسة الفلكلور المصري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- الفراء: الأيام والليالي والشهور.
- فرقة النيل للآلات الشعبية - القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ، إصدارات الإدارة المركزية للشئون الفنية ٢٠٠٣م.
- قاسم عبده قاسم: رمضان... أقلام المؤرخين وعيون الرحالة، مجلة العربى، العدد ٦٣٣ - ٨/٢٠١١
- قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك .- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٩م.
- قيثارة السماء «الشيخ محمد رفعت».- صندوق التنمية الثقافية.
- كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الأول، القاهرة.
- كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب
- محمد الجهيني، أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية: حي باب البحر، القاهرة: دار نهضة الشرق، ٢٠٠٠.
- محمد الخضري، الدولة العباسية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٩م.
- محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧م.
- محمّد رجب السامرّائي: رمضان في الحضارة العربية الإسلامية، دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية- دمشق، سورية ٢٠٠٢م.

- محمّد رجب السامرّائي، رمضان والعيد.. عادات وتقاليد، نادي تراث الإمارات - أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة.

- محمد قنديل البقلي، الأمثال الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

- محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، ع ٣٨٩، ١٩٨٤م.

- محمد قنديل البقلي، صور من أدبنا الشعبي أو الفلكلور المصري، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢.

- المرزوقي، الأزمنة والأمكنة.

- مصطفى عبد الرحمن، رمضانيات.- ط٢ - القاهرة: دار المعارف، سلسلة اقرأ، ع٤٨٨، ١٩٨٦م.

- المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ١٩٩٩. و: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

- الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.

- نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

خامسًا: المقالات

- إبراهيم حلمي، فنون العرض في الاحتفالات الدينية الشعبية - فنون الفرجة الشعبية: غير دورية، المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، ع١، ٢٠٠٢م.

- إبراهيم عبد الحافظ: الأمثال الشعبية المرتبطة ببعض الحرف التقليدية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد ١٨، الإمارات.

- أحمد حامد الجمال: أربعون عامًا على رحيل فارس الإنشاد والتلاوة «طه الفشنى»، جريدة المصرى اليوم .

- أحمد حسين الطماوى: القطائف والكنافة عند الشاعرين الجزار وابن نباتة، مجلة الثقافة الجديدة

- أحمد حسين الطماوى، صور رمضانية فى القصة والرواية، مجلة الثقافة الجديدة.

- أحمد سليم : عادات البادية بسيناء في أيام رمضان، جريدة الأهرام المسائى.

- أحمد سليم: حكايات رمضانية سيناوية، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

- أحمد فضل شبلول: مكسَّرات رمضان، مجلة العربى، العدد ٦٢١ - أغسطس ٢٠١٠.

- أحمد محمود أبو زيد: شهر رمضان في الأدب العربي، مجلة العربى، العدد ٥٤٠ - ٢٠٠٣/ ١١، الكويت.

- حسين المصري: رمضان زمان، جريدة البديل، ٧/ ٩/ ٢٠٠٨.

- محمد خير البقاعي: رمضان فى كتب الرحالين الأجانب، المجلة العربية - العدد ٤١٦

- دعاء صالح: أطلس المأثورات الشعبية يرصد.. رمضان وآب اللهاب، مجلة الثقافة الجديدة.

- رمضان... في كتابات الرحالة الأجانب، جريدة الوطن - الكويت، ملف الأسبوع ١٧-٧-٢٠١٢،

- زكي مصطفى، «أغنيات رمضان» - سلسلة مقالات، جريدة المساء، رمضان ٢٠٠٦م.

- سامى كمال الدين: الشيخ رفعت.. الأقباط طلبوا الاستماع إلى سورة مريم بصوته، الأهرام العربى، ع ٦٤٨، ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٩.

- سيد عشماوي، «رمضان في مصر المحروسة» -مجلة الهلال، أكتوبر ٢٠٠٥م.
- شوقـي عبد القـوي حبيب، «الاحتفـالات الرمضانية في مصر منـذ عصر الولاة حتى نهاية عصر المماليك» - الفنون الشعبية،ع ٥٤-٥٥، يناير/ يونيه ١٩٩٧ م.
- شوقي على هيكل، رمضان في اللغة.- مجلة الفنون الشعبية، ع ٥٤-٥٥، يناير- يونية ٧١٩٩م.
- طارق هاشم، «الأغنية الرمضانية»- جريدة القاهرة، ١٠-١٠-٢٠٠٦م.
- عباس محمود العقاد: رمضان .. وليلة القدر، مجلة الهلال ، رمضان ١٩٦٠ م.
- عبـد الحميـد حـواس: وداعـا رمضـان.. أهلا بالعيـد، جريـدة القاهرة ، السـنة الخامسة، العدد ٢٣٩، ٩ نوفمبر ٢٠٠٤ .
- عرفـه عبـده علي: رمضـان في دفـتر الذكريات الأوروبيـة.. صور ومعـانٍ باهرة ومؤثرة، مجلة الرافد.
- عزت السعدني: عزيزي لؤلؤ الحاجب، جريدة الأهرام، ٦-٩-٢٠٠٨.
- عزة بدر، رمضان عبر الزمان، مجلة صباح الخير ، ٧/ ١٢/ ١٩٩٩.
- عـلي المـصري وسـوزان حسـين وماهـر إسـماعيل: «رمضـان» الباديـة المصرية، جريدة المصرى اليوم، ١/ ٩/ ٢٠٠٨.
- عمـرو على بركـات: معجزة البدري فرغـلي على قهوة «سـمارة»، جريدة القاهرة ٢٣-١٠-٢٠١٢
- فؤاد سـعيد وهبة، تحديـده فلكيًا.. لا يمكن الاعتماد عليـه!، مجلة العربى، العدد ٥٤٠ - ٢٠٠٣/ ١١، الكويت.
- فاروق شوشة: ترنيمة رمضانية.. ناسـك الزمن للشـاعر محمود حسن إسماعيل، مجلة العربى، العدد ٥٥١ - ٢٠٠٤/ ١٠، الكويت
- قاسـم عبده قاسـم: رمضـان... أقلام المؤرخـين وعيون الرحالة، مجلـة العربى، العدد ٦٣٣ - ٢٠١١/ ٨.

- محمد الصاوي وحنان شافعي وصفاء عبدالرازق: أقدم وأهم طقوس رمضان في الحسين.. قهوة الدراويش والريس سيد إمام، جريدة البديل

- محمد رجب البيومي: «شاعر الربابة في رمضان»، مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٢م. و: حلقات الذكر في «شهر رمضان» مجلة الهلال، نوفمبر ٢٠٠٣م.

- محمد شعبان: رمضان من الملك فاروق إلى مبارك، مجلة الشباب، ١-٨-٢٠١١.

- محمود الشرقاوي: شهر رمضان عادات ونوادر، مجلة العربي، العدد ٤١٢ - مارس ١٩٩٣.

- محمود مسعود، «الطقوس الرمضانية على الشاشة في نصف قرن»- جريدة القاهرة ١٠-١٠-٢٠٠٦م.

- نبيل السهالوطى، شهر رمضان فى جريدة «مصر» ومجلة «الراديو المصرى» عام ١٩٤٠، مجلة الثقافة الجديدة، ع ٢٣٩.

- نبيل حنفي محمود، الأغنية الرمضانية من الفاطميين إلى عصر الإذاعة- مجلة الهلال، أكتوبر ٢٠٠٥ .

- ياسمين فراج: شعبيات الموسيقى الرمضانية، مجلة الثقافة الجديدة

الصحف والدوريات

- جريدة ٢٤ ساعة، ع ٤٢، ٢٦-٩-٢٠٠٧.م.

- جريدة أخبار الأدب.

- جريدة الجزيرة السعودية، ملحق العدد مجلة الجزيرة ع رقم ٥٧/ ٩ رمضان ١٤٢٤ هـ.

- جريدة الرياض: الإثنين ١٤ رمضان ١٤٢٦هـ - ١٧ أكتوبر ٢٠٠٥م - العدد ١٣٦٢٩

- جريدة المصرى اليوم.

- مجلة «الفيصل»، الأعداد: ١٣٥ إبريل ١٩٨٨م/ ١٥٩ إبريل ١٩٩٠م/ ٤٧ إبريل ١٩٨٩م/ ١٨٣، مارس ١٩٩٣م.
- مجلة الثقافة الجديدة، أعداد مختلفة.
- المجلة العربية العدد ٣٠٨ - رمضان ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٢م.
- مجلة الفنون الشعبية، أعداد مختلفة.
- مجلة الكويت، السنة التاسعة (العدد ٩٣) رمضان ١٤١٠هـ إبريل ١٩٩٠م.

المراجع الإلكترونية ومواقع الشبكة الدولية للمعلومات

- حميد أحمد سلامة أبو كلوب سليمان، موقع العدالة الراديكالية، مرجع إلكتروني.
- دار الإفتاء المصرية، فتوى صيام يوم الشك، الرقم المسلسل : ١١٠١، تاريخ الإجابة : ٠٥/٠٩/٢٠٠٧
- دينا حسن : مقاهي الإسكندرية..ثقافة اليونان ومصر في عناق عذب عريق، البيان، عن دار الإعلام العربية، ٦ يناير ٢٠١٣.
- رمضان مصري هلال: التمر: غذاء.. ودواء.. وإعجاز، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.55a.net.
- المسالك.
- مكتبة الإسكندرية.
- المكتبة الشاملة.
- موسوعة الأعشاب الطبية: أحمد محمد عوف.
- الموسوعة الشعرية-دولة الإمارات: دائرة الثقافة والإعلام، أبو ظبي ٢٠٠٦م.
- الموقع الإلكتروني لمكتبة الإسكندرية.

- الهيئة العامة للاستعلامات، www. sis.gov.eg
- الوقت "صحيفة إلكترونية".- ع ٢٤١ - الخميس ٢٧ رمضان ١٤٢٧ هـ - ١٩ أكتوبر ٢٠٠٦م.
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠
٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

امام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - اسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبـــات ووكـــلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة-
بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيـروت - الفـرع الجـديد - شــارع
الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت -
بناية سنتر ماريا
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -
المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦
- الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر-
٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض
(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع
طريق الملك فهد مع طريق العروبة -
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات
والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -
شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة :
٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ -
٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية -
ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت:
٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن
السديرى الخيرية - الجوف -
المملكة العربية السعودية - دار الجوف
للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:
٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب